روح البطولة

الاصلاح في رأي « مكيافيل » وسواه من الدهاة ،سبيل الوصول وذريعة الى النجاح • ولكن المعلم ، ابن مريم العظيم سبقهم فقال منذ الفيءعام : « العضو الفاسد يجب بتره ! » فوضع بذلك حدا للاستغلال ، وفتح كذلك بابا لتحقيق هـــذهالاسطورة •

الا ان البشر منذ آدم مفطورون على النسيان ،ينسون حتى اقوال الحكماء ، فهم ما برحوا ينشدون الاصلاح ••• هكذا كما ينشدون الخبز والماء ، في كل بلد وتحت كل سماء ! انهم يرونه هنا تقويما للعوج وهناك تصويبا للخطأ ، وهناك تطهـيرا للرجس اواستحلابا للطيب من مناجم النتن ، او تكريسا للفضيلة في « خضراء الدمن » •

ألم يضع بعضهم ذنب الكلب في القالب دهراطويلا ، ابتغاء تقويمها؟ ألم يحاول فريق آخر استدراج الفسوق الىحرم الامومة، ابتغاء الباسه ثوبالفضيلة؟فماذا كان ، منذ أبعد الازمان حتى هذا الزمان ؟

كان ان ظلت ذنب الكلب على عوجها الاصيل ،وبقيت « غادة الكاميليا » على ضلالها القديم • وفي أقرب الظن الى اليقين ان فاقد الشيء لا يعطيه ، ولايأخذه كذلك اخذ القادرين على العطاء ! حتى الاشياء الجامدة نفسها تأبى في بعض الحالات ان ترضخ اوتتكيف ، كالبلور اذا تحطم والرخام اذا تفتت ، فكيف يمكن ارضاخ الاحياء لعبوديات لا ترضخ لها الاشياء؟الا ان ينبعث فيها ، من اعماقها صوت الوجـــدان ، ووجدان الارادة ، وارادة الخير ، وخير الاستعدادللعمل !

فالاصلاح بمعنـاه المكيافيلي اسطورة اذن ،اسطورة محال • ان الفاسد لا يعود سليما ، كما لا يعود الزجاج المحطم لوحا سويا ، اما اذا أعدنا خلقهذا ، وخلق ذلك خلقا جديدا ، فصهرنا الزجاج بالنار وكوّنا الانسان بالتربيـة ، فتلك مسألة اخرى ليس مجالها منابر الخطباء ولا بلاغة الساسة الحكماء •

ومن هنا ينفتح الباب ••• باب الاصلاح ! انهباب البيت والمدرسة ! بل هو عمل الام وصنيع المعلم• هذا المعلم في الحق هو نظام التربية الاساسي • وتلكالام في الحقيقة هي ناموس الحياة الاول والاخير • بل ما كان لامر ان يصلح ، ولا لكائن ان يفسد ، الا الا اذا صلح المعلم وصلحت الام او فسدا !

ولئن استطاع الفاتح المغولي ، منذ جنكيزخانالى هولاكو وتيمورلنك ، ان يمحو من شرقنا مظاهر الحضارة ، ويمحق معالم المدنية حتى لا تعود فـيمدى مئات الاعوام ، بل حتى تنحدر شعوبنا الـــى الدرك الذي تتخبط فيه منذ ذلك الحين ــ فان اولئكالغزاة لم يكونوا ليستطيعوا ان يستذلوا هذه الشعوب وفيهم معلمون « معلمون » ، وامهات « امهات » !

ولكن الفاتح المغولي يوم ضرب ضربته ، فجرداللحم وكسر العظم ، لم يجد اما تحيي في النفوس روح الرجولة ، ولا وجد معلما يذكي في القلوب روحالبطولة ! فانهار عندنا الانسان وذل الرجل • بل راح ذلك الانسان ، وقد مسخه الرعب واقعده الفقر ، راحيقدم عنقه لسيف الجلاد كما تقدم الذبيحة نحرهـــا لسكين الجزار !

فما احرى شعوبنا اليوم ، وقد استيقظت علىواقعها المؤلم ، ان تحيي في نفوس الافراد تلك الروح، روح البطولة التي فقدوها ، وتبعث في قلوبهم ذلكالاكسير ، اكسير الرجولة الذي افتقدته الحياة فيهم !

وحينئذ ترتفعفي شرقنا قباب المدارسوالجامعاتحتى توازي ــعلى الاقل ـ قباب القصور والدارات• وحينئذ نعلي في بلادنا منزلة الامهات حتى يساوينـ على الاقل ــ منزلة المغنيات والراقصات •••

اذا فعلنا ذلك ، وسنفعله دون شك وبرغم كـلشيء ، تحققت الاعجوبة ، بل تحققت تلك الاسطورة بالذات ••• كما يحقق العلـم الاعاجيب ، وتنتـجالامهات الابطال وروائع الجمال !

رشـاد دارغـوث

السينما والعالم الانساني

بقلم نهاد التكرلي

*

الفـن والوجـود

اذا كانت ماهية كل فن وغايته الوحيدة تقديم اوجه متقومة محسوسة للواقع ، فمن الواضح ان موضوعه النهائي لا يمكن ان يكون فـكرة خالصة — لان مثل هذه الفكرة ستجعل الاثر الفني ثانويا لا قيمة له — كما لا يمكن ان يكون عالما خياليا صرفا رغم ان الفنان مضطر الى استخدام ما هو خيالي كوسيلة له . انالانسان بطبيعته وتعريفهمخلوق « قصدي » وذلك يعني انه مرتبط بكائن وان مجهوده وهمه لا يمكن ان يتوجها او يفسرا الا هذا الكائن . وهذا يعني ايضا انه لا يمكن ان يفلت من هذا الكائن اي ان يخرج من وجوده في العالم ، وهو لا يسعه الا ان يجعل قصده ينتقل من كائن الى آخر . لهذا يجب ان ننبذ فكرة انة فعالية لا تتخذ الواقع هدفها النهائي . ولما كان الفن فعالية انسانية اصيلة فهو لا يمكن ان يشذ عن هذه القاعدة ، كل ما في الامر ان علاقتنا بالكائن هنا ستكون من نوع مخصوص وسنستطيع تعريفها بانها علاقة « متعالية » . ما معنى ذلك ؟ ذلك يعني بكل بساطة ان علاقتنا « بكرسي » فانكوخ مثلا الذي اراه في هذه الصورة هي ليست من نوع علاقتي بكرسي اعتيادي موجود في العالم الخارجي . ان كرسي فانكوخ هذا بالرغم من تحققه كشيء موجود في العالم — اللوحة والاصباغ والاطار — الا انه موجود « خارج » عالم اهتماماتي اليومية واني هنا « أعلو » على الواقع المتجسم في هـذه اللوحةلا تصل بكرسي فانكوخ في عالم اخر، عالممخصوص له طبيعته وقوانينه الخاصة . ومن الواضح ان علاقتي بالكائن هنا مختلفة عن علاقتي عندما استخدم كرسيا معينا « كأداة » من اجل غاية معينة . فالفن يقدم لنا الاشياء المتقومة بعد ان يخرجها من نطاق مشاريعنا العملية وهو بذلك يجعل علاقتنا بها من نوع مخصوص هو ما اطلقنا عليه اسم العلاقة « المتعالية » .

ولكن العالم المتقوم في الحقيقة غير قابل للنضوب ابدا ضمن حدس واحد ، بالاضافة الى ان هنالك كيفيات متعددة للكشف عن اوجه الواقع . لهذا تعددت الفنون بالضرورة وصار لكل فن اساليبه المختلفة كما صار لكل فن طبيعته وموضوعه الخاص به وحده . فمن الممكن القول مثلا بان فن التصوير يتخذ موضوعا له « المعنى » الاصيل الذي يمتلكه اللون والشكل باعتبارهما لون وشكل « هذا » الواقع المعين : هذا الكرسي او هذا المنظر الطبيعي او هـذا الانسان . بينما يمكن تعريف القصة بانها كيفية معينة في احضار صيرورة حياة انسانية في تجسدها ، باعتبار ان هذه الصيرورة خلال المواقف المفروضة عليها تؤسس معنى هذه المواقف . وعلى هذا المنوال يمكن ان يختص علـم الجمال الفلسفي بتحديد موضوع كل فن ووضع الاسس التي يجب ان تقوم عليها الفنون المختلفة .

اما ما نود بحثه في هذا المقال فهو السينما باعتبارها فنا خالصا . ماذا يمكن ان تكون طبيعة العالم الذي تقدمه لنا ؟ ما هي علاقة السينما بالزمان الانساني ؟ ثم اذا كانت القصة هي المختصة بابراز بسيكولوجيا الشخصيات باعتبارها الفن الوحيد الذي يستطيع النفوذ الى اعماق هذه الشخصيات وتحليل نفسياتها فهل تفلح السينما بصفتها فنا في التعبير عن هذه النفسية وهل بوسع هذاالفن الذي لا يأخذ الاشياء والاشخاص الا من الخارج ان يوازي او يفوق القصة في هذا المجال ؟

السينمـا والعـالم

يمكن القول عن السينما قبل كل شيء انها تكشف عن الحركة ككلية ذات معنى : فهي عندما تمنحنا القدرة على الاشراف على الحركة اي ان نشهدها من دون ان يتحرك الشيء المتحرك بالنسبة لنا — وبالتالي ان يفلت منا — فانها تسمح لنا ان نقرا المعنى الذي يتطور في الحركة نفسها ويؤسس وحدتها الثابتة . فنظر المتفرج في السينما نظر حركة وهو نظر متحرك ولكنه لا يتحرك هو نفسه . اي انه يجد نفسه متحركا بواسطة الكاميرا وان تغير الامكنة لايعود الى المتفرج بل الى الكاميرا التي تقدم اشخاصا تتابعهم كما تريد وقطعا من المكان تطوف فيها حسب اختيارها . والمتفرج يقاد لتأمل سلسلة متعاقبة من العزف والمناظر الطبيعية من دون ان يكون في قدرته الربط فيما بينها بارادته او النفوذ فيها بواسطة تصرفاته الخاصة .

ولكن ما هي طبيعة « العالم » الذي تقدمه لنا السينما وبماذا يمكن ان يختلف عن العالم الذي يقدمه لنا الفن المسرحي مثلا ؟ نلاحظ اولا بان من الضروري ان يكون لكل ما يمكن اظهاره في السينما مظهر « الواقع » اي حقيقة العالم الواقعي . فالاشياء وادوات الزينة والمناظر المستعملة في الفن المسرحي ليست سوى علامات فقط ، علامات

يمكن الاستغناء عنها عند اللزوم كما يستغني عنها المهرج في ساحة السيرك ، بينما نجد ان الرسوم او الكارتون الملون او كل ما يبدو انه معد لتكوين اطار مصطنع وتشم منه رائحة الاستديو ، يصدم متفرج السينما حالا وبصورة مباشرة . يجب ان يكتسب كل شيء في السينما مظهر الواقع الذي لا يمكن ان يتطرق اليه الشك . فهذه القاعة يجب ان تبدو قاعة « حقيقية » ويجب ان يساهم فيها كل شيء — المقاعد والثريات والسجاجيد ومنفضات الرماد — في اظهارها بهذا المظهر . وليس هــذا فحسب بل اني كمتفرج اطلب ان اشعر بالاضافة الى ذلك ان وراء هذه الابواب اشياء اخرى غير الكواليس والمكائن ، اريد ان احزر وراء هذه القاعة غرفا اخرى وبيوتا وشوارع ومدينة بكاملها. اني اريد ان تكون للاشياء « كثافة وعمقا » وهذا ما يجعل السينما فنا للبعد الثالث بكل معنى الكلمة . ولا شك ان هذا هو السبب الذي يجعل الكاميرا تدور حول الاشياء وتتابع الاشخاص فترة قصيرة من الوقت وتصور الاشياء مرة من فوق ومرة من تحت ، وفي بعض الاحيان من زوايا نظر غير معتادة . انها تريد ان تؤكد في نفسي هذا الشعور وتقنعني بان العالم الذي تقدمه لي عالم واقعي مثل العالم الذي أعيش فيه .

انما اذا قلنا بان شيئا من الاشياء « موجود » فذلك يعني ان لهذا الشيء « مكانا » في العالم وانه يرتبط واشياء اخرى بنظام من العلاقات المتبادلة والاحالات المستمرة بحيث يمكن القول ان شكل هذا الشيء نفسه متأثر بالموضوعات المجاورة له والمحيطة به . ان اشكال العالم يحدد بعضها البعض الاخر بصورة متقابلة . فهذا الراديو الموجود امامي على المنضدة والمصباح الكهربائي الموضوع الى جانبه يملكان اشكالا تتطابق مع اجزاء الفضاء واجزاء المنضدة الموجودة فيما بينهما . وحتى خصائص موضوع معين تتعلق جميعها باشياء اخرى غير ذاتها . فلون هذا الراديو الابيض ليس في هذا الراديو ولا متعلق به وحده وبامكان اضاءة اخرى او وسط اخر ان يظهراه ملونا بلون اخر . كما ان ثقل هذا الراديو ايضا ليس سوى علاقة بينه وبين الكتلة الارضية . وكلنا يعلم بان الشيء « الموجود » خاضع لكل ما يحيطه بشروط يحيل بعضها الى البعض الاخر . قد اصعد جبلا في المنام بمنتهى السهولة او يطلق علي الرصاص فلا اصاب بأذى او احرك صخرة هائلة بمجرد النفخ عليها . ولكني في العالم الواقعي ابذل مجهودا كبيرا لنقل كتلة من الحجر من هنا الى هناك . يجب ان اقوم بعمل أي بتحويل متعب للشروط التي كانت تجعل كتلة الحجر (هنا) ثم (هناك) . ولهذا لا يمكن ان يكون الانسان (حرا) في الحلم . ان الحرية تقتضي المقاومة من العالم الواقعي لكي تتحقق وهي لا يمكن ان تتحقق الا في العالم .

وعلى هذا فالسينما كما تبدو لنا تهدف الى ان تمنحنا الوهم بان الاشياء مرتبطة حقيقة بروابط معينة وبعدد لا نهاية له من الفوارق المحيطة بها ، كما هي في العالم الواقعي تماما . وبعبارة اخرى ان السينما تعرض علينا الاشخاص والاشياء بنوع من وهم « الصلابة والعمق » . لقد رأيت قصة « كارمن » في المسرح وفي السينما . كان مخرج الاوبرا قد اكتفى بوضع الواح مصبوغة على شكل صخور لتمثيل منظر الفجر في الجبل وكان ذلك كافيا لي كمتفرج. ان الصخور هنا ليست سوى لغة فحسب . انها موجودة لتقول لنا بان منظر الفجر يحدث في الجبل وبين الصخور. اما في السينما فيجب ان يتخذ الجبل (مظهرا) مقنعا حقيقيا ويجب ان يبذل الفجر مجهودا لتسلقه — حسب الظاهر على الاقل — ليس من شك في ان السينما مليئة بالحيل وانواع الخداع المصطنعة ، ولكن يجب الا يظهر شيء من ذلك على الشاشة والا انهار كل شيء . فالاطار اذن له اهمية كبرى في السينما او بالاحرى ليس هنالك اطار او ديكور ابدا بل هنالك عالم واقعي كامل . حتى اذا كانت هنالك عقدة في السينما فيجب ان تكون متحدة بصورة وثيقة بالعالم المادي . ان الاشخاص في السينما موجودون دائما في « مكان معين » بينما ليس الحال كذلك في المسرح . يخطر ببالي الان منظر الحب في مسرحية « سيرانو دي برجيراك » . لا شك ان المكان هنا ليس مجردا من الاهمية بصورة كاملة : وجود روكسان في الشرفة وسيرانو المتنحل لشخصية حبيبها في أسفل الشرفة والليل والاضواء الباهتة ودار روكسان .. كل هذا موجود ، ولكن بالحد الذي يخدم العقدة . فمتى ما التقت روكسان بحبيبها وعرفنا ان المنظر يجري في هذا المكان المعين لم نعد نعير ذلك اهمية ولم تعد الشرفة تلعب اي دور . ان الموقف الاخلاقي هو الذي يهم وحده وان الحوار المسرحي هو الذي يطوره ويكشف عنه . اما منظر الحب في السينما فانه يختلف عن المسرح اختلافا جوهريا . فسواء أكان هنالك حوار ام لم يكن فان للمكان الاهمية الرئيسية . ففي منظر التقاء الليدي تشترلي بعشيقها الحارس في الكوخ الخشبي الموجود في اطراف الغابة يكتسب المكان اهمية كبرى: الغابة المبللة بماء المطر ، جو الكوخ الدافيء والفراش الذي يدغدغ جسدي العاشقين الممددين فوقه ، كل هذا مرتبط بعضه ببعض وبعاطفة العاشقين اوثق ارتباط . ان الفن المسرحي من الفنون الكلامية ولذلك فان الحوار يلعب فيه الدور الاساسي بينما ليست السينما كذلك . ليس الحوار فيها سوى جزء من العالم ولذلك يمكن الاستغناء عنه احيانا بل من الواجب التخلي عنه في بعض المواقف .

وهكذا فالسينما تهدف الى اشعارنا بصلابة الاشياء وتضامنها فيما بينها وهي لهذا السبب تتابع الاشخاص احيانا في تنقلاتهم وتحاول ان تجعلنا نشعر بان هذا البيت الذي نرى داخله له خارج ايضا وان هذا الطريق يؤدي الى مكان معين ، بينما يكتفي المسرح بوضع امكنة واشياء مبهمة غير محددة .

السينما والزمانية

اما الناحية الثانية التي تختص السينما بابرازها فتتعلق بالزمان لانها كما قلنا تتعلق بالحركة . وهي تبرز الزمن الحاضر . كل شيء يجري في السينما « في الحاضر » هذا الزمان الذي هو زمن الوجود نفسه . من البديهي اننا نحيا في الحاضر دائما وهذا لا يعني طبعا بان الحاضر هو البعد الوحيد للوجود الانساني . ان الزمانية ليست في الواقع سوى بناء كلي وتركيب اصيل يضم في طياته ابعادا ثلاثة هي الماضي والحاضر والمستقبل ، ومن الخطأ الفظيع تقسيم الزمان الى عناصر او « آنات » منفصلة عن بعضها والا انتهينا الى النتيجة العجيبة التي انتهت اليها

الفلسفة الكلاسيكية : وهي ان الماضي لم يعد موجودا والمستقبل لم يوجد بعد ، أما الحاضر فسيكون الحد النهائي او النقطة التي لا بعد لها ومعنى ذلك انه سيتلاشى هو ايضا وبذلك تنهار السلسلة كلها . غير ان قولنا بان الزمانية بناء كلي لا ينفي ان يكون لكل بعد من الابعاد الداخلة في تأسيسها كيانا خاصا به ، فالماضي يتميز بكونه زمن الوجود المتحقق الذي لا مجال للحرية فيه بينما سيكون المستقبل زمن الامكان الصرف ، اما الحاضر وقد قلنا عنه انه زمن الوجود فبأي شيء يتميز ؟ ان المعنى الاساسي الذي يمتلكه الحاضر هو « الحضور » اي اننا في الحاضر نكون حاضرين امام العالم وامام الوجود . أننا نوجد اي نحقق انفسنا في الحاضر وهذا هو معنى الحضور في العالم كما ان هذا هو ما نقصده من قولنا بان الاشياء توجد في السينما في الحاضر . ان فنا كالفن القصصي ـ وخاصة القصة التي تعتمد على السرد او التي تظهر فيها شخصية المؤلف ـ يعتمد في كيانه على الماضي . هذه السلسلة من الجمل متعلقة بحوادث جرت في الماضي وحتى صيغة الراوي نفسها تشير الى ان الراوي قد تجاوز ما يعرضه علينا وان هذه الاشياء قد حدثت وانتهى امرها . حتى عندما يقول لنا « كانت الساعة تشير الى العاشرة صباحا وكانت الشمس تقلص ظلال اشجار الحور بصورة غير محسوسة ، وقد خرج طفلان من القرية . . » هذه الصيغة نفسها تشير الى ان هذه الامور قد حدثت في الماضي وليس في الامكان علاجها .

غير ان هذا الماضي الذي يؤلف نسيج هذا السرد في حركة مستمرة وهو متجه نحو المستقبل دائما وان كنا لا نرى شيئا ابدا . كل شيء يبدو لنا في الخيال وكل شيء يعبر من الماضي الى المستقبل من دون ان يمر بمرحلة الحضور تماما . اننا نعرف بان الاشياء لا تظهر في الخيال كما تظهر في الادراك الحسي الواقعي . « فالصور العقلية » ليست ابدا نوعا من الاحساسات المخففة : اي ان الكرسي المتخيل ليس بأية كيفية كانت نسخة او رسما ضعيفا لكرسي موجود في الواقع . اني عندما اتخيل كرسيا لا اتجه نحو لوحة صغيرة املكها (في) ذهني . لقد علمتنا ظاهرانية هوسيرل بانه ليس هناك (باطن) لشعوري بل كل شعور شعور بشيء معين خارج عنه . ليس هنالك ابدا (باطن) لشعوري وليس بوسع اي كرسي مهما كان صغيرا ان يأتي ويحل في هذا الشعور . ان ما اتجه اليه هو كرسي موجود ولكني اتجه اليه باعتباره (غائبا) . يجب ان نتخلص من هذه الاستعادات الباهتة لادراكنا الحسي وان نفهم الصورة الخيالية باعتبارها اتجاها او تصرفا باطنيا يتألف من كوني اتخذ موقفا ازاء هذا الغياب الذي « اعترف به » للكرسي كما لو كنت ازاء كرسي حقيقي . فانا لا (ارى) كرسيا حقيقيا بل اتصرف (كما لو كنت) ارى واحدا . فالمناظر المرصوفة في القصة اذن لا تظهر لنا حقيقة وان الموضوع الحاضر يعوزنا دائما . اننا نمر مباشرة من الماضي الى المستقبل او بعبارة ادق ليس هنالك في الحقيقة سوى ماض موجه بصورة روائية نحو المستقبل . وليس في هذا ما يضير القصة لانها في كيانها تعتمد على خيال القارىء والاتجاه الخيالي يطرد الادراك الحسي دائما . حتى القصصيون الحديثون امثال دوس باسوس وهمنجواي وسارتر لا يستطيعون الا (ايهامنا) بان الحوادث تجري في الحاضر او ان الاشخاص يحيون امامنا في الحاضر . ان القصة بطبيعتها لا بد ان تخضع لقواعد الكلام والقصصي لا يسعه بالضرورة الا ان (يجرد) أوصافه وعالم شخصياته وحركاتها واعمالها وهو ما يكاد يتدرج في الوصف حتى يجد ان اوصافه التي انتهى منها حديثا قد اصبحت في الماضي .

اما في السينما فالامر على العكس من ذلك لان الحاضر لا يكف عن البروز امام عيني والانسان لا يخرج من الحاضر . كل شيء هنا يجري في نطاق الادراك الحسي ولذلك فان هذه السلسلة من الصور الواضحة والدقيقة بصورة لا شفقة فيها تجعل الحاضر يطرد الحاضر باستمرار ولما كان الموجود يقتصر على نفسه باستمرار فاننا نجد ان السينما تفشل دائما في تمثيل الشيء المتذكر او الخيالي . لا شيء اكثر زيفا من المقاطع التي يقصد بعض المخرجين من وراءها اظهار ذكريات الشخصية او احلامها . اني في القصة اتجه بادراكي الحسي نحو (الكلمات) لاطير بخيالي بعيدا عنها ، بينما هنا على العكس فان المنظر نفسه لا يكف عن فرض نفسه بصورة دقيقة وقاسية .

غير ان هذا القول لا يعني ابدا بان السينما تقتصر على الواقع فقط والا لما اصبحت فنا . ان الواقع كما يقول سارتر ليس جماليا ابدا . واذا كانت السينما فنا فلا بد الا تقتصر على المنظر المأخوذ كموجود فقط . لا بد من اثارة « لا واقعي » عبر هذا الواقع لكي يكون هنالك فن سينمائي . وبكلمة واحدة لا بد ان تكون علاقتنا بعالم السينما علاقة « متعالية » لكي يمكن التحدث عن فن سينمائي وهذا ما سنتطرق اليه عند حديثنا عن جمالية السينما . اما الان فنود ان نبحث في علاقة السينما بما هو نفسي .

السينما والبسيكولوجيا الحية

من الواضح ان السينما لا تتناول الاشياء والاشخاص الا من الخارج ، فهي كما يبدو عاجزة عن النفوذ الى داخل الاشخاص لان ماهيتها نفسها تقتصر على تسجيل كل ما يظهر بصورة سلبية ، ولذلك يحق لنا التساؤل هل بوسعها تعريفنا بالاشخاص وبنفسياتهم ام انها مبعدة بطبيعتها عن مجال الحياة الباطنية التي تختص بالقصة وكتب الاعترافات واليوميات ؟

قبل الاجابة على هذا السؤال يجب التطرق الى علاقة الفن القصصي بعلم النفس بشيء من التفصيل . ما هي القصة النفسية ؟ وكيف يستطيع القصصي تعريفنا بنفسيات شخصياته ؟ يجب القول قبل كل شيء بان العادت جرت على المزج بين « علم النفس » وهو الناحية النظرية العلمية من هذا الموضوع وبين ما نسميه « بالسيكولوجيا الحية » أي العنصر النفسي المتقوم الموجود في كل تجربة انسانية حية ، وان القصة النفسية قامت على هذا المزج نفسه . او بالاحرى ان هنالك تراثا قصصيا كاملا صدر عن هذا المزج . فالقصصي عندما يكتب قصة نفسية يقوم بتحليل او « تشريح نفسي » لشخصياته وكذلك يقوم علم النفس بهذا العمل . كل ما في الامر ان عالم النفس يمارس تشريحه في ما هو مجرد وفي المجال النظري بينما يقوم القصصي بعمله هذا في المحسوس المتقوم اي في تحليل نفسيات شخصياته المحددة بزمان ومكان وظروف معينة والمتميزة بحالات نفسية معينة . ولذلك اعتاد نقاد الادب على القول

بان القصصي استهدف دراسة نفسية مزاج معين او خلق خاص او انه انكب على تحليل وسط مخصوص او طبقة او انه قدم تصويرا ناجحا لبعض الحالات النفسية او ان قصته تحتوي على تحليل نفسي رقيق للغاية وكتب النقد الادبي محشوة بهذه الاحكام . وهذا يعني بان علم النفس عنصر وعامل من عوامل القصة وان القصصي يستطيع عندما يحلو له ان يضع شيئا منه في قصته او لا يضع شيئا منه على الاطلاق . ولهذا نجد ان هنالك تطابقا بين بسيكولوجيا القصصي وعلم النفس السائد في عصره ، وهذا شيء طبيعي لان القصصي عندما يريد ان يضع شيئا من علم النفس في قصته فلا شك انه سيذهب للبحث عنه لدى الاشخاص الذين يمتهنون دراسة هذا العلم . ولذلك لا نستغرب ان نرى ان بسيكولوجيا مدام دي لافاييت هي علم نفس ديكارت ، وبسيكولوجيا فولتير هي علم نفس كوندياك وبسيكولوجيازولاهي علم نفس تيره، وبسيكولوجيا بروست هي علم نفس برجسون . وهكذا انتهى الامر بالقصصي الى انه نسي هذه البسيكولوجيات الحية المحسوسة وصار يشرح لنا علم النفس كما يفعل الاساتذة في المدارس .

كان المفروض فيه ان يعطينا شخصيات في مواقف وان يجعلنا نصبح هذه الشخصيات وان يضعنا في المواقف التي تجد فيها نفسها ، واذا بالقصصي يفصل بين شخصياته وبين مواقفها ويحللها ويفسخها حسب القوانين التي يعرضها عليه علم النفس السائد في عصره . لقد ترك مشروعه البسيكولوجي — هذا النداء الذي يوجه قبل كل شيء نحو تعاطف القارىء وادراكه — لكي يضع شيئا من علم النفس (في) شخصياته . وهكذا لم تعد القصة سوى تطبيق وتصوير لنظريات علم النفس .

والحقيقة هي ان القصصي ليس عالما نفسيا . ان القصصي الحقيقي ليس مؤلفا في علم النفس وليس واعظا اخلاقيا ولا رساما ولا مصورا فوتوغرافيا ، وهو لا يحلل التصرفات ولا يصفها ولا يصورها . انه يقدم للقارىء (عالما) وهو لا يمنحه هذا العالم لكي يراه بل لكي (يعيشه) انه يقدم لنا حياة معينة لكي نعيشها بكيفية معينة ، حياة روكانتان او حياة مرسو ، وهو ليس بحاجة مطلقا الى ان يلجأ الى علم نفس معين لتصوير او تحليل شخصياته بل يكفي ان يظهرها ، او بالاحرى ان يقدمها لي انا القارىء لكي آخذها على عاتقي ، لكي اعيش معها واتحد بها ، لكي اصبح هذه الشخصيات . لا لان هذه الشخصيات مصورة او محللة بصورة جيدة ! بل لانها موجودة فقط . اني انا القارىء الذي سابرهن على وجود دقة بسيكولوجية بعملي الذي سأقوم به باستقبال هذه الشخصيات وفهمها والعيش معها حياتها المتنوعة . فالبسيكولوجيا ليست في القصة وهي ليست حتى في القصصي بل هي موجودة في القارىء . وهكذا نرى ان القصة النفسية ليست سوى نوع مزيف من الفن القصصي . كل القصص يمكن ان تكون نفسية عندما تعطينا شخصيات في مواقف .

اما القارىء فبوسعه ان يتخذ بعد ذلك ازاء هذه الشخصيات موقف علم النفس من الاشخاص الذين يصادفهم في حياته اليومية . سيكون بوسعه بل سيجب عليه ان يسأل هذه الشخصيات ، ان يسألها عن معنى حياتها وعن نفسياتها وستجيبه هذه الشخصيات بواسطة سلوكها او لا تجيب . غير انه ليس من المسموح ابدا للقصصي ان يجيب بدلها . انه اذا فعل ذلك لن يعود قصصيا بل سيصبح عالما نفسيا ، وهو عندئذ لن يخلق عالما قصصيا بل (سيؤلف) في علم النفس .

ومن هذا نستخلص بان علم النفس وما سميناه بالبسيكولوجيا الحية يتناسبان تنسبة عكسية ، اي ان اقل القصص تعبيرا عن البسيكولوجيا الحية هي بالضبط التي تحتوي على اكبر شيء ممكن من علم النفس .

هنالك كثير من القصصيين يتدخلون في قصصهم وهم يعترضون سبيل شخصياتهم ويفسرونها ، وبتفسيرهم لها يقتلونها . لماذا ؟ لان هذه البسيكولوجية الحية التي نتحدث عنها لا يمكن ان تكون « مصنوعة » مقدما بل هي تصنع بالتدريج وبنوع من التعاون بين المؤلف والقارىء . والمؤلف الذي يقدم نفسية شخصياته وقد تم صنعها بصورة نهائية يحذف نصيب القارىء بصورة كاملة . واذا ما حذف نصيب القارىء ماتت الشخصية لانها كما قلنا لا تستمد حياتها الا منه . انها لم تكن تعيش الا لانه كان عليه ان يجعلها تعيش وهو لم يكن يفعل ذلك الا لانه كان عليه ان يسألها وهو لا يجد ضرورة لسؤالها الا اذا وجد ان بسيكولوجيتها غير كاملة الصنع تماما . وهكذا نجد ان المؤلف الذي يجعل القارىء سلبيا امام شخصياته سيقضي على شخصياته لانها ستبدو ميتة في نظر القارىء . فالقصة النفسية هي ليست اذن القصة التي « يوجد فيها » علم النفس بل هي القصة التي تجاهد بمساعدة القارىء للعثور على ماهية مخصوصة هي ما نسميه بالبسيكولوجيا الحية . والبسيكولوجيا الحية هي الكيفية للفرد بان يكون في الزمان وان يعيش الزمان . هي هذا المعنى الخاص به وحده والذي يندفع بواسطته نحو مصيره ، هذا السؤال الذي يلقيه على نفسه والحلول التي يعطيها لسؤاله . ومعنى ذلك ان هذه البسيكولوجيا الحية لا يمكن الاستحواذ عليها بصورة واضحة الا في توتر الحاضر وغموض معناه . انها ليست سوى هذا الحاضر المتجه نحو المستقبل . واذا كنا قد قلنا بان السينما هي فن الحاضر بينما القصة متعلقة بالماضي فهل نريد القول بان السينما اقدر من القصة على التعبير عن البسيكولوجيا الحية ؟

ليس هذا في الواقع ما نريد الانتهاء اليه . ان الفن القصصي في نظرنا له ميزاته الخاصة التي لا مجال لذكرها الان وهو بالرغم من خضوعه للماضي يثير على طريقته الخاصة وهما للحاضر ، والقصة تستمد من طبيعتها كشيء مكتوب امكانيات خاصة بها لاثارة عالمها الواسع الحدود في ذهن القارىء والاستحواذ على خياله ولذلك فهي تعبر عن البسيكولوجيا حسب امكانياتها الخاصة . اما الناحية التي تهمنا هنا فهي امكانية السينما في التعبير عن هذه البسيكولوجيا الحية . كيف يتسنى للفن السينمائي اشراكنا في عالمنا وتعريفنا بنفسية اشخاصه ؟

قلنا منذ البداية ان السينما تقدم لنا اشياء حاضرة ومعنى ذلك انها تجعلنا في حضور مخلوقات معينة في نفس الزمان الذي تعمل فيه وهي تقدم لنا اشياء في الزمان التي تدوم فيه . وعلى هذا فالصعوبة بالنسبة لها على عكس القصة كامنة في العودة الى الماضي . ان الاشياء موجودة هنا ونحن حاضرون امامها ، وللاشياء كيفية معينة في الديمومة ونحن ندوم معها . اننا نعيش الزمان كما

تعيشه هي وليس هنالك بيننا وبينها أي حاجز ولا اية مسافة ونحن نتحد بالشخصيات وبالمناظر الطبيعية وبالمواضيع ومعنى ذلك انه لا توجد خارجية في السينما ولا توجد اية مسافة بين المتفرج وبين المنظر . او بكلمة واحدة ان الواقع هنا ليس شيئا مرئيا بل ديمومة معاشة .

فالسينما اذن في ماهيتها ليست فنا للمكان بل فن للزمان ولذلك فان الصلة التي تربطها بالموسيقى اقوى من صلتها بالتصوير انها لا تقدم مناظر بل تنظم ديمومات ، واللقطة في السينما تعرف بديمومتها اكثر مما تعرف باطارها . وهكذا فالمكان في السينما مشرب دائما ومشبع بالزمان او بالاحرى لا يوجد في السينما مكان صرف بل هنالك دائما مركب من المكان – الزمان . لذلك نجد ان الاشياء تفقد فيها مظهر البرودة والابدية وعدم الاكتراث التي نراها عليه في العالم اليومي لتكتسب دفعة واحدة حرارة الشعور وزمانيته واهواءه . واذا كانت السينما فنا زمانيا وهي قادرة لا على تجديد ديمومة الحوادث والعواطف فحسب ، بل وفرض ديمومة على الاشياء ايضا بحيث توقظها من سباتها ، فمن السهل ان ندرك بانها يمكن ان تعبر عن السيكولوجيا الحية بصورة ممتازة .

هنالك في الفن القصصي كيفيتان في تناول الشخصيات: الاستبطان والسلوكية. ومن المعروف ان على القصصي اختيار احد هذين الاتجاهين ، فاما ان يكون في باطن شخصيته وان يجعلنا نعيش معها من الداخل او ان يكون في الخارج فلا نعرف من شخصيته الا سلوكها فقط. اما في السينما فان هذه التفرقة معدومة لا ن السينما في الباطن والخارج مرة واحدة . هي في الخارج لانها (تظهر) لنا الاشخاص ونحن نرى حركاتها وايماءاتها وسلوكها ، وهي في الداخل ايضا لانها بواسطة الطرق الاصطناعية التي يختص بها المونتاج وبمصاحبة الموسيقى تفرض علينا كيفية في الوجود في الزمان هي كيفية البطل التي تقدمه لنا وهكذا يوجد في نفس الوقت تقديم للشخصية كما يحدث في فن التصوير ، واتحاد بالشخصية كما هو في الموسيقى. أي ان المخرج السينمائي ليس كالقصصي لا بد ان يكتب قصته بصيغة الشخص الاول او الثالث ، بل الاول والثالث في نفس الوقت . اننا هنا ازاء واقع موجود بكل غزارته وسمكه وغموض معناه ، وان علي – انا المتفرج – ان افسره وامنحه معناه . فانا موجود مع البطل في النهاية القصوى للحاضر وانا اندفع معه نحو المستقبل . أي اني هنا لست سلبيا بل ايجابيا دائما .

ان الشخصيات السينمائية تتطور امامنا في الحاضر وتندفع نحو المستقبل ومعنى ذلك ان بسيكولوجيا السينما ليست بسيكولوجيا معطاة ومتحققة بل الشخصيات تحضر امامي وعلي ان افهمها . انها ليست مجهزة ببسيكولوجيا مصنوعة مقدما بل انا الذي يجب ان ابذل المجهود لفهمها بحيث استطيع ان اعيش مع هذه الشخصيات في حاضرها وان اندفع معها نحو مستقبلها ولذلك يمكن ان نسمي هذه البسيكولوجيا « بسيكولوجيا الحرية » . فاشخاص الفيلم احرار وهم يخلقون انفسهم امامنا في الحاضر وهم يخلقونها معنا وبمساعدتنا . وهكذا نجد ان هذا البحث عن الحرية الذي كان ولا يزال هدف القصة الاعظم ، يصل في السينما الى غايته . وهنا ينتهي زمن البسيكولوجيا الميتة التي بقيت القصة مخلصة لها زمنا طويلا : بسيكولوجيا الافعال والحالات والتصرفات التي تجري في الماضي ، لتحل مكانها بسيكولوجيا حية هي بسيكولوجيا الاختراع والانبثاق والجدة التي تولد باستمرار ، بسيكولوجيا الحرية .

اما ما تمتاز به هذه البسيكولوجيا فهي انها « تركيبية » أي انها تقدم الانسان في كليته اي الانسان – في – العالم ، وهي متقومة لا تعرف التجريد ، وهي اخيرا لا تعبر عن نفسها بعبارات عقلية بل تبقى في كل لحظة مباشرة ومحسوسة . لقد قلنا بان القصصي المعاصر يجاهد لتقديم شخصياته في مواقف أي شخصيات ومعها عالمها . وهذا هو ما تستطيع السينما تقديمه لنا منذ صورتها الاولى . ان شخصياتها مقذوفة نحو العالم دائما (المادي والانساني) والعالم يحيل اليها باستمرار . ولذلك فان المخرج السينمائي يقتصر على تأسيس عالم له مظهر الحقيقة وان يكون عالما ذا معنى . اما الاشياء فانها تكتسب في السينما معاني انسانية أي اننا نجدها وقد كتب عليها واقع الشخصيات وهي تبدو لنا محملة بالحضور الانساني . انها لا توجد خارجا عن الانسان بل تكتسب في السينما بعدا لا نهائيا وهي تستدعي انتباهنا واحترامنا باستمرار . فالمفتاح او السكين او الباب يبدو في السينما بصورة مختلفة عما نراه في حياتنا اليومية . ان هذه الاشياء تكتسب ديمومة خاصة وحياة خاصة مستمدة من حياة الشخصيات نفسها .

ولذلك نستطيع القول بان البسيكولوجيا هنا ليست مركزة في الشخصية بل منتشرة في العالم الذي تعيش فيه هذه الشخصية وهذا ما لا يستطيع القصصيون ابرازه بصورة متقنة بسبب طبيعة الكتابة نفسها . ان مركب الشخصية والعالم موجود في السينما منذ اللحظة الاولى وبصورة كاملة وهذا المركب هو الذي يتحتم على المتفرج ان يحلله وان يتمعن فيه وان يسائله . فالبسيكولوجيا الحية هنا ايضا ليست على الشاشة بل في المتفرج كما كانت في قارىء القصة . انها الكيفية التي سيفلح المتفرج بواسطتها في مصاحبة الشخصية في عالمها ، ولذلك فان عمق هذه البسيكولوجيا او ضحولتها مرهونة بعمق نفسية المتفرج او تفاهتها .

ها نحن اولاء اخيرا امام البسيكولوجيا الحية : العالم يكشف لي نفسه وانا اكشف العالم . العالم يقدم لي علامات وانا اقرأ هذه العلامات واجعل لها معنى وهذه هي البسيكولوجيا الحقة . انها ليست معرفة عقلية ولا اتجاها تأمليا خاليا من الغرض بل هي مشاركة فعالة تتطلب مساهمة المتفرج الى حد التنازل الكامل والسحر . ولذلك لا نبالغ اذا قلنا بان السينما اكثر الفنون اتصالا بالواقع البسيكولوجي وتعبيرا عنه .

جمالية السينما

لا نستطيع في هذه الكلمة الموجزة التي سنكرسها لجمالية السينما ان نبحث الاسس التي يمكن ان تشيد عليها هذه الجمالية ، ولذلك نكتفي بذكر الامكانيات التي تتمتع بها السينما لخلق هذا العالم (اللاواقعي) الذي قلنا عنه بانه هو الذي يمكن ان يكون جماليا . ان تقليد واتقان نقل الواقع لا يكون جماليا الا اذا سمح لنا بالاستحواذ على الواقع (كخيالي) وهذا ما يبدو ان السينما تستطيع

المؤتمر الثاني للادباء العرب

بقلم السيدة وداد سكاكيني

o
o o

يرحم الله شاعر لبنان صلاح لبكي فقد حقق وجماعته « أهل القلم » فكرة ابداعية ارادوا منها خيرا لادبنا الحديث وأهله الذين تمرسوا به وعالجوه وشاركوا في بنائه وتوجيهه ، وان توزعتهم كل ارض ، ولم تجمع شملهم وحدة جامعة .

لقد دعت جمعية « اهل القلم » منذ عامين فريقا من الادباء العرب للتعارف وتبادل الرأي في حديث الادب على هضاب لبنان ، وكان الوقت صيفا ، فاستمع الناس لمحاضرات منوعة قراها منشورة من لم يحضر المؤتمر ، ويذكر الذين تتبعوا اخباره ان « اهل القلم » الذين سبقوا الى فكرة المؤتمر يؤلفون مع اندادهم ذوي الندوات الفكرية باقة ضخمة من مواهب الفن والابداع ، تداول الناس اثارها بالاعجاب ، وامدتها حكومة لبنان بالتأييد والتكريم ، لكن « اهل القلم » على رجاحتهم وسمو اهدافهم اصيبوا بالتنازع فيما بينهم وقد مس بعضهم رشاش من التهمة في التحيز والانحراف عن التزام الحق في توزيع الجوائز المالية والتقدير الادبي للكفايات الجديرة بهما ، فانقسموا الى جمعيات ثلاث ، ولعلهم عادوا الى التصافي والسداد .

على ان المهم في هذا الصدد هو ان الوفد السوري قد عاد من مؤتمر الادباء داعيا الى عقد المؤتمر الثاني على صعيده ، دون ان يكون في دمشق جماعة ادبية على شاكلة « اهل القلم » تمارس الادب وتتعهد ما جد من شؤونه ومشكلاته ، وتشارك في الانتاج الحديث وترعى مؤلفيه ، ويكون لممثليها آثار تدل على مجهودهم ومزاياهم في هذا المجال كأمثالهم في مصر ولبنان ، فكانت الدعوة الثانية تقليدا ومجازا وبادرة عهد جديد ، حتى فوجئنا منذ اشهر قريبة بان الحكومة السورية قد ارصدت للمؤتمر الثاني خمسة وعشرين الفا من الليرات السورية ، فاستبشرنا بهذه العناية والمكرمة ، وان الذين يعرفون حقيقة الادب في سورية يعجبون للحياة الادبية التي انبثقت عن المواهب الفردية والجهود الخاصة وتشجيع الصحافة احيانا ، اكثر مما قامت على رعاية الدولة والمؤسسات الرسمية ، غير ان الانصاف يقتضيني ان اذكر فضل المجمع العلمي بدمشق الذي اقام مهرجانين ادبيين في خلال عشرين عاما ، احدهما للمتنبي والثاني للمعري ، وقد اقتصر سعيه على نشر المخطوطات القديمة دون ان يحظى ادبنا الحديث من المجمع

تحقيقه بصورة متقنة .

لقد قلنا بان العالم الذي يبدو في السينما لا بد ان يكون له مظهر الواقع وصلابته اي حقيقة العالم الواقعي ، ولكن السينما عندما تخلق لنا هذا العالم لا تريد سحقنا به بحيث لا نصطدم بغير هذا الواقع ، بل هي تخلق لنا هذا العالم لتثير خلاله لعبا بالانعكاسات بحيث تجعلنا نستحوذ في هذا الواقع نفسه على ذلك النوع من العالم الثاني الذي يمكن ان يكون جماليا . ان المتفرج اذا اعتقد حقيقة انه وسط الحريق او على سطح الباخرة التي تغرق ـ كما يقولون عن المتفرجين الاولين الذين ارتدوا هلعين بسذاجة امام القطار الذي بدا منقضا عليهم ـ فانه سيكون من الخوف بحيث لن تكون السينما مصدر لذة بالنسبة له . ان الانفعال الجمالي انفعال ملاحظة واستحسان وهذا ما يستطيع تحقيقه لنا عالم السينما . . فنحن نرى امامنا عالما واقعيا ولكنه مثار على مسافة منا ، مسافة غير مكانية ، ونحن نشارك فيه بصورة مخصوصة تختلف عن مشاركتنا الحقيقة في العالم الواقعي . اني عندما ارى شجارا في الطريق اساهم فيه بصورة من الصور سواء ازدت ام لم ارد ، بينما عندما ارى شجارا في السينما فان المنظر يكتسب نوعا من البعد الذي يجعله لا واقعيا بالرغم من مظهره الواقعي . ثم ان السينما كما قلنا ليست فوتوغرافا حيا بل هي مع استنادها الى الصور تتجاوز الصور بصورة لا نهائية . انها ترينا اشياء واشخاصا ولكنها تماما عبر كل تريه لنا . انها كما قلنا تكشف عن الحركة ككلية ذات معنى وهنا تكمن قيمتها الرئيسية . وهي بجمعها عدة طرق في التعبير (الصورة وتمثيل الممثلين والاطر وديمومة اللقطات والمونتاجات والحوار والاصوات والموسيقى) تخلق لنا هذا العالم اللاواقعي الذي نتحدث عنه والذي يمكن ان يوضع له علم جمال كامل .

بالامكان التساؤل الان لماذا لا تستغل السينما كل هذه الامكانيات ولماذا بقيت الافلام الجيدة نادرة جدا . لا شك ان علم الجمال ليس من شانه الاجابة على هذا السوآل ومن الاولى توجيهه الى نقابات المنتجين ولجان الرقابة .

باريس **نهاد التكرلي**

بعطف او تقدير ، فلما عهدت الوزارة المختصة الى لجنة كثيرة العدد ، متباينة في المشرب والاتجاه تقوم بالاعداد والتجهيز للمؤتمر العتيد ادركني القلق كما ادرك غيري العجب ، فان الادباء العاملين هم ادرى بحاجتهم والصق بشؤونهم واولى بالتدبير والتقدير ، وقد تساءلت عما يفيد الادب في سورية والعالم العربي من هذا المؤتمر قبل اوانه غير التعارف الذاتي ولقد عرف السوريون اكثر المدعوين اليه . فاذا كان للدعاية والاعلان فانه سيعقد ايام المعرض الدولي الذي اشتركت فيه اثنتان وثلاثون حكومة عربية واجنبية ، وأي اديب مترف او ميسور سيحمل « فلوسه » ويأتي بها من بلاده لينفقها ايام المؤتمر ، فليكن اذن ترفيها للادباء ومتعة وسلوى ، ولو ان الجامعة العربية التي خابت في السياسة وانصرفت الى الثقافة هي التي دعت الى هذا المؤتمر وهي التي تتعهد تكاليفه من ميزانيتها السخية ، كما تفعل في المؤتمرات واللجان التي دعت اليها وشاركت فيها لهان الامر ولما كان في القضية تساؤل ولا حرج ، لكن وزارة المعارف التي لم تعبأ من قبل بالادب ولا بالادباء لا في عهد الاحتلال ولا في عهد الاستقلال ، ترصد للمرة الاولى مبلغا ضخما باسم الادباء لا باسم الادب ، وتعهد الى فريق مشغول من كبار الموظفين ـ الذين لا يتسع وقتهم للانتاج الادبي ، ومنهم من هجر الادب او لم يعرف بموهبته وبرهانه وفيهم من احرار الفكر الاستاذ صلاح المحايري والدكتور امجد طرابلسي والدكتور كامل عياد لم يحضروا الا فترات ـ تأليف لجنة تحضيرية تختار اسماء الوفود والمحاضرين وتنتقي الموضوعات وعناوينها وتحدد ميعاد المؤتمر ، فلا جرم اذن ان يكون هذا الامر مدعاة للحيرة والعجب .

مرة ثانية اتساءل ماذا يفيد الادباء شيوخا وشبابا ، رجالا ونساء من هذا المؤتمر اذا لم يكونوا هم انفسهم الذين يحسون الحاجة اليه ماسة وهم الدعاة والمشاركون فيما ينبغي لهم وقد تهيأ لديهم من مشكلات الادب في محنته الراهنة وقلقه وتلونه ما يحفزهم الى ان يتنادوا فيتبادلوا الرأي والبحث في معالجة الامور الطارئة وتدارس ما جد في ادبنا المعاصر من تطور والتباس واندماج في المذاهب المألوفة والمنحرفة فيكون شانه كغيره من مؤتمرات العلماء والمعلمين ، والاطباء والمحامين ، فانهم يتنادون للاجتماع كلما احسوا حافزا لامر جديد او خطير يتعلق بقضاياهم ، لكن الموضوعات العامة العائمة التي اختارتها لجنة المؤتمر لتكون مدار المحاضرة والتعقيب لا تعدو ما القي من قبل وتكرر في الاذاعات والندوات ، فموضوع « الادب والفنون الجميلة » و « الاديب والناقد » ما اكثر ما كتب فيهما والف حولهما ودار ، في بحث او مناظرة او حديث ولا يقلل من خطرهما على طول الكلام والتكرار الا حاجتنا الى ما هو الزم واولى ، اما موضوع « الادب والدولة » الذي سيلقيه ممثل الوفد السوري فعهدنا بمثله قريب ، ولو ان القارىء المتتبع يذكر ما نشر لعاد الى خاطره موضوعات من هذا القبيل عالجتها اقلام حرة رصينة ، من اصحابها رئيف خوري وميخائيل نعيمه ، فالاول نشر مقاله الرائع « الادب ناقد الدولة » والثاني كتب حديثه الشائق « الادب والدولة » بعد ان استطلعت احدى المجلات الادبية رأيه في مشكلة الساعة وقد احتدمت في تلك الاونة مطارحات حول هذا الموضوع ، ولا يخفى ان المعول عليه في دراسات كل مؤتمر معالجة القضايا المتقاربة والمشكلات الراهنة ، اما الموضوعات المختارة فلا تخرج عما قرا المثقفون وسمعوا من محاضرات فيها ، ولو ان الادباء انفسهم هم الذين دعوا الى هذا المؤتمر وتتبعوا المراحل الاخيرة لتطور الادب مبدعين ونقادا ومنتجين لعرفوا حاجتهم وادركوا ما هو جدير بالتدارس والتداول وما يعود عليهم وعلى ادب بلادهم بجدة محمودة وامل بمستقبله وطيد .

لقد اشتد النشاط الفكري بلبنان في المدة الاخيرة حتى خيل لاستاذنا الدكتور طه حسين ان مركز هذا النشاط قد انتقل من القاهرة الى بيروت حيث ظهرت واثمرت مجلات عديدة حملت رسالة الفكر الى العالم العربي ، وكانت اولاهن واسبقهن مجلة « الاديب » التي ثابرت على خطتها السديدة بالرغم من كل محنة اصابتها ، معتزة بمحبة القارىء الواعي ورضاه ، في الوقت الذي خلا ميدان الصحافة الادبية بمصر من مجلتي « الرسالة » و « الثقافة » وكلتاهما كانت بمثابة مدرسة او سفارة للادباء والمفكرين في مصر والعالم العربي ، وللروابط الروحية بين المتعلمين والمثقفين قبل ان تكون السفارات الدبلوماسية فيها ، ولن تستطيع هذه ان تؤدي جزءا مما ادى الادب وازجى من خير ومتعة وجدوى .

وفي مصر بعد الثورة حدث احتكاك بين الشيوخ والشباب حول الادب واللغة والنقد ، وامتلأت الصحف اليومية والاسبوعية باخبار الاحتكاك الذي ما يزال محتدما، وكان من حظي المشاركة في حركة النقد والمطارحة ، اما في سورية فلم نلحظ تصديا او تحولا في الحياة الادبية ولا هبة عنيفة في تطور او تجديد ، الا اننا رأينا شبابا طموحا حائرا يبدو بعضه مزهوا ببواكيره ، ولا يلقى من الكبار والسابقين اي توجيه او تشجيع ، فأي ضير او غضاضة في ان نسمع صوت الشباب الموهوب في المؤتمر العتيد معبرا عن ادبه ومطالبه ، وهل في الامر شطط اذا وقفت احدى الاديبات محاضرة او ومقررة ، وقد شاركن في الحركة الادبية والثقافية الفكرية مشاركة مرموقة ؟

افما كان الافضل من التعجل باقامة المؤتمر قبل ان نرى عناية الدولة بالادب وتشجيع مؤلفاته واصحابه ان يرصد هذا المبلغ لاظهار ادبنا الحديث بمظهر لائق كما تظهر مصر ادبها بتقدير كتبه وآثاره ومنح المؤلفين المتفوقين جوائز مالية وتقديم هدايا ومكافآت للطلاب الممتازين ؟

ان نشر عشرة كتب ابداعية وفنية في العام لادباء موهوبين مشهورين ومغمورين في سورية ، وتكريم اثنين او ثلاثة من نوابغ الشباب لهو خير واجدى من مؤتمر لم تحدد غايته ورسالته ، ولم تسبقه بوادر الحاجة اليه لاسيما والمجمع العلمي العربي في دمشق يستعد لاستقبال المدعوين من المجمعيين في مؤتمره القريب ، واكثرهم من الادباء البارزين .

الم يأن للادباء في سورية ان يجدوا انفسهم ويجددوا نشاطهم فيجمعوا شملهم ويؤلفوا رابطة لهم كأمثالهم في مصر ولبنان تنطق عن ادبهم ومواهبهم بالحق والواقع ، وبذلك يكونون في هذه النهضة الفكرية الجديدة من دعائمها الراسخة وآثارها الحية الباقية .

دمشق — وداد سكاكيني

رسالـة

✳

هـلّت ، هلـّـت فيـا طيبهـا ! ...
من شميــم الحبيــب شميمُهــا ،
من عَبــق البخـور عبيرُهــا ،
من زغَب المخمل حنكَ خيوطهـا ...
هلــّت ... هلـّت ... فيا طيبها !...

★ ★ ★

وفي العتمـة الداجيـة قرأتهـا ...
علـى نـور الحـب تمتمتُهـا ،
بكلّ رعشة من رعشات جفني غنّيتها...
بكلّ جارحة من جوارح الفؤاد صلّيتها...
هلــّت ... هلـّت ... فيا طيبها !...

★ ★ ★

وخبّأتهـا في صدري :
تلهـّـف الغريـب الـى الغريـب
ذخيرةً مقدسةً مـن عود الصّليب ...
نفساً ملتهباً مـن انفـاس الحبيب
في صدري ... خبأتها ...

★ ★ ★

وأغفت حروفهـا ... علـى قلبي ...
أغفـت حروفهـا في طمأنينة الطفـل
تحلمُ بأختٍ لها ...
ما زالت في ضمير الغيب ،
ظلاً لحلم ...
وخيطا من وهـم ...

الجامعة الامريكية بيروت
موسى سليمان

شعراء المهجر واصداء المعارضة في مصر

بقلم نظير زيتون
عضو العصبة الاندلسية بالبرازيل

ْْ o o
o

اكتب هذا المقال، وقد تكدست امامي عشرات القصاصات والصحف المصرية التي علقت على محاضرة الشاعر المبدع الاستاذ جورج صيدح، بموضوع أثر الشعر المهجري في الشعر العربي، وقد القاها في حفلة اكرامية اقامتها له الجامعة الاميركية في القاهرة.

وقد دلتني هذه القصاصات والصحف على ناحية ايجابية واخرى سلبية. ولو انها دلت على ناحية واحدة، اي ايجابية بحتة او سلبية بحتة، لرثيت المحاضر الكريم، وقلت انه باء بالاخفاق. ذلك ان السلبية المطلقة كالايجابية المطلقة، عنصر اعزل قاصر، يعجز في وحدانيته عن تحقيق التفاعل الانشائي المبدع.

فالمحاضر البارع اذن، كان ناجحا كل النجاح، بما ادت اليه محاضرته من تفاعل فكري.

وكأننا بجورج صيدح، عندما وضع خطوط محاضرته الادبية الدراسية وكتبها، لم يشأ ان يرفع رايته على اكداس من الزلفى والمصانعة، والبخور المحروق والطيب المهروق. وانما اشرعها خفاقة على رابية قامت أسسها على دماغ متحرر، وعى واستوعب، فحقق ودقق. ثم انطادت صعدا على قلب نير خير، ازهر واثمر، فهلل وكبر...

وكان من حسن حظ الادب العربي، ان المحاضر اللوذعي، حمل الى ادباء مصر بضاعة جديدة لا عهد لمعظمهم بها. حملها لا ليغزو بها «الاسواق» وينافس «الانتاج المحلي» او ليستفز ويتحدى، بل ليدل، بدماثة ووداعة والمعية، على شعلة سخية من البيان العربي، توقدت في الغرب السحيق، على افواه العرب المغتربين من ابناء سورية ولبنان، الذين نظروا الى الحياة والعروبة والفن بعيون تحدق الى الشمس، فلا تطرف ولا تضطرب ولا تدمع ولا ترهب...

وكان المحاضر حاذقا لبيبا. فعرض البضاعة الادبية الجديدة عرضا هادئا لبقا رصينا، وكأنه يردد، وقد خفض جناح الدعة، غير مزهو وغير مصعر خدا: هذه قلائد عربية اصيلة، صاغها اخوان لكم تغربوا في المهاجر الاميركية، فشحذت الغربة مواهبهم، وارهفت احاسيسهم وصقلت بداوتهم، وفتحت لهم أوسع الافاق، وحررت عقولهم ونفوسهم وشقت لهم طريق الانطلاق فقالوا الشعر عربيا صافيا، عذبا اصيلا. فكرة واسلوبا، صيغة ومعنى، وقوة وجمالا...

وكأن الارض زلزلت زلزالها واخرجت اثقالها...

ــ اولئك «المتبرنطون» اللحانون في اميركه، يحذقون الشعر العربي ويبدعون! وهل للشعر العربي الرفيع، غير الطربوش المكوي الصقيل؟!

واسمعوا الان هذه الطرائف...

قال الراوي وهو الاستاذ ثروت اباظه، في مجلة الرسالة الجديدة.

«... المهم ان الاستاذ صيدح ظل واقفا زهاء الساعتين يلقي ونحن نسمع ويمدح اخوانه اي نفسه ونحن نعجب. وكان بجانبي شاعران مصريان اجهدا ذراعي في الامساك بهما. فكلما مدح الاستاذ صيدح المهجريين وذم المصريين، جذب واحد من الشاعرين او كلاهما ذراعي يريد ان يقوم اليه... ليجيب عليه... حتى خيل الي انني كنت في حقل مصارعة انا احد ابطاله. ولم ترتح ذراعاي الا حين بدأ الاستاذ عزيز اباظه كلمته، فكأنما كان الشاعران نارا متوقدة القى عليها كلام الاستاذ عزيز اباظه ماء مثلجا».

ارأيتم كيف زلزلت الارض زلزالها؟

لقد ابى الاستاذ ثروت اباظه الا ان يكون ذلك المهذب الواسع الصدر السميح، فعانى ما عانى من جهد جسدي شاق، ليمنع «الشاعرين المصريين» من الهجوم على الشاعر المهجري المحاضر، ونحمد الله انه كان مريرا بئيسا مفتول العضلات حتى استطاع ان يرد الشاعرين المصريين ويحمي، حماه الله، المحاضر الضيف...

هذه مأثرة... نسجلها له بالاطراء!

اما قوله ان الاستاذ جورج صيدح «ظل واقفا زهاء الساعتين يلقي ونحن نسمع» ففيه مجال للتبصر. ذلك ان الحفلة كلها استغرقت ساعة وثلاثة ارباع، وقد تكلم فيها ستة خطباء، وغير معقول بعد هذا ان يتكلم الاستاذ صيدح وحده ساعتين: لا شك ان الاستاذ ثروت اباظه متبحر في علم الحساب تبحره في دراسة الشعر العربي.

ولكن نزاهة الاستاذ اباظه لا تنحصر في النقطتين السالفتين، بل تتجلى ايضا في رواية الاخبار والوصف في هذه العبارة الصاخبة الاراجيف «فكلما مدح الاستاذ صيدح المهجريين وذم المصريين (كذا) جذب واحد من الشاعرين او كلاهما ذراعي يريد ان يقوم اليه...»

والحقيقة ان الذي ذم المصريين هو من اتهم سواه بانه ذمهم. ترى الم يلق الكاتب اسلوبا فعالا في استنفار المصريين، سوى ان يلصق بالاستاذ صيدح تهمة باطلة

مختلقة من الفها الى يائها ؟ وماذا يرجى من الاديب ، عندما يسرف » في الصدق والنزاهة ... ؟

ان ما قاله الاستاذ صيدح في الشعر المصري الحاضر ، يردده العالم العربي قاطبة وهو ان مصر تولت زعامة الشعر العربي في عهد خاموسها الجبار شوقي والمطران وحافظ وصبري والبارودي ، حتى اذا خبت انوارهم ، رحمهم الله ، ولم يتألق في سماء مصر من يدانيهم ليخلفهم ، فقدت مصر هذه الزعامة التي ابت ان تتمصر بعد ذلك الخاموس العظيم . هذا في الوقت الحاضر على الاقل ...

وقال ايضا انه يكفر باصنام الادب ودعاة التقليد والجمود .

فهل في هذا القول ذم للمصريين او اساءة .

ولا يقف الصدق والنزاهة بالراوي الامين عند هذا الحد ... بل يتعداه ليتهم المحاضر ، لا من باب الدس ، معاذ الله ! ، بل من باب الفهم السقيم ، بانه « هاجم ايليا ابو ماضي وقال ان عربيته ضعيفة ، وان اخوانه من شعراء المهجر حاولوا كثيرا ان يصلحوا من شانه فلم يفلحوا (كذا) وحاول ايليا نفسه ان يصلح من شأن عربيته فلم يستطع . فلما اقتنع بعجزه اتخذ ضعف اللغة مذهبا ونادى به » .

« وهكذا هاجم الاستاذ صيدح رفيق هجرته وزعيم مدرسته واراد ان يقيم لهذه المدرسة زعيما جديدا هو الشاعر القروي والحقيقة ان الاستاذ صيدح بذل في سبيل اقناعنا بزعامة الشاعر القروي للشعر في العالم العربي كله (كذا) جهدا احسده عليه اكثر مما احسد عليه الشاعر القروي . فمجهود الاقناع كان ضخما ولكن شعر الشاعر لم يكن كذلك . فلم نقتنع الا بان الشاعر القروي ينظم الكلام فيصبح ذا وزن وقافية » .

والمضحك ان كل ما اورده الكاتب هو من صنع الخيال والاوهام ، ووحي التلفيق المقصود الرامي الى التضليل ، وكنا نلتمس له بعض العذر لو اصاب في شيء واخطأ في آخر ، ولكنه طبع في روايته الادبية الصحفية على غرار واحد من المستطرف والمستظرف ...

فالاستاذ صيدح لم يلق محاضرته باللغة الصينية ، وانما القاها بالعربية الفصحى على حفل كبير ، ثم نشرها في مجلة الاديب ، ويبدو ان المستمع الوحيد الذي فهمها واستوعبها هو الاستاذ ثروت اباظه فترجمها بامانة لا يحسده عليها احد ، وعلق عليها كما شاء له خياله الخصب الشاسع ، ثم زف ما برقشه سما هنيئا مريئا لقراء « الرسالة الجديدة » !

واننا نضن بهذه المجلة الراقية ان تتسع صفحاتها لمثل هذه التقولات المرعة نضن بها ، لان مديرها العام بطل من ابطال الثورة المصرية واميرمن امراء الفكر هو القائمقام انور السادات الذي نكن له في قلوبنا ، مع سائر رفاقه اعمق الحب والاعجاب .

اما ان الاستاذ جورج صيدح هاجم عديله ايليا ابو ماضي . فهذا « الهجوم » من نسج الخيال ، كما ان الرواية التي عزاها الكاتب الى الاستاذ صيدح في صدد عربية ابو ماضي ومحاولته اصلاحها وعجزه وتقصيره في هذا المضمار ، محض اختلاق لا تخطر ببال احد سوى مصنفها، فالجميع خاصة وعامة والاستاذ صيدح في الطليعة يعترفون لابو ماضي بقوة ديباجته العربية المشرقة التي تجري فيها الفصاحة والبلاغة والجزالة ، فكيف ينعون عليه عربيته الضعيفة ؟ بل كيف ساغ للكاتب ان يضع هذه الرواية الوهمية ؟

ثم ان الاستاذ المحاضر لم يخلع ابو ماضي وينصب الشاعر القروي زعيما للشعر مكانه . بل انه لم يتطرق الى هذا الموضوع قط . وكل ما هنالك انه اعترف بمدرسة ايليا ابو ماضي ، كما اعترف ايضا بمدرسة الشاعر القروي . أي ان كلا منهما زعيم في ميدانه ، ولم يقارن بينهما ولا فاضل ، لان المحاضر النهي العميق التفكير والتحليل يدرك كل الادراك انه لا سبيل الى المفاضلة بين شاعرين حلق كل منهما في جو ودار في فلك وسار الى هدف ورسالة . واستوحى نجيه . فهذان الشاعران الكبيران قلما تلاقيا من حيث الموضوع والاتجاه ، في مجنى واحد ، او تساقيا من زق واحد . او تعطرا بطيب واحد . او تناشدا على معزف واحد .

اما العبث العابث والهذيان الهاذي فهما في قول الكاتب الالمعي « فلم نقتنع الا بان الشاعر القروي ينظم الكلام فيصبح ذا وزن وقافية » .

واغلب الظن ، بل كل الظن . ان العبارة المذكورة سقطت منها بعض الالفاظ لخطأ وقع فيه المنضد ... لا الكاتب ، فتشوه المعنى ، وهوذا تصحيح العبارة :

(فلم نقتنع الا بان الشاعر القروي ينظم الكلام فيذيب الشعر ، ويدعو السحر فيصبح ذا وزن وقافية . هو للشعر عينه ان نشدت الشعر ، وهو للسحر هاروته ان شئت السحر . وهو للنسر جناحه ان رصدت النسر . وللزهر اريجه ان شاقك الزهر ، وللبدر نوره ان فتنك البدر) .

وان ابى الاستاذ ثروت اباظه ، واصر على عبارته الاولى المبتورة المهزولة ، قلنا له : علام هذه العواطف السلبية الجارحة الضارية ، تتقيأ حمم البغضاء والعدوان والتعصب والنقمة ؟ وهل يقام لمثل هذه النوازي الحمقاء أي شأن في نقاش ادبي ؟

خذ هذه الامثولة البليغة في الادب والنبالة والشعور القومي العربي ، يلقيها الشاعر القروي نفسه ، في رسالة كتبها على اثر الحملات الطائشة التي اثارتها الاقلام الرعناء في مصر لتهديم الشعر المهجري ، فاسمع ايها « الكاتب الانساني » وتأمل وتدبر « لو ان مصر التي نحبها كل هذا الحب بادلتنا بعضه ، لما عمل ادباؤها على قطع رحم الادب بينهم وبين اخوانهم في سائر الاقطار ، واغلقوا دوننا ابواب قلوبهم على هذا الشكل الذي يؤلم كل عربي ، وعلى الاخص من عاش منا هنا لمصر والعروبة قبل ان يعيش لنفسه ولآله الاقربين » .

ولكن مصر يا شاعرنا الكبير ، بريئة كل البراءة من هذه الحملات العمياء على شعراء المهجر وادباء المهجر . تلك الاقلام الجامحة التي سودت البياض ، واثارت الغبار ، عجاجا فوق رؤوسها ، لا تمثل مطلقا وجه مصر المشرق ، مصر المتفتحة على الحياة والقوة ، والجمال والنور ، مصر التي احببناها في الماضي ، موئلا ومدرسة ، وازداد حبنا لها واعجابنا بها بعد قيام الثورة المحررة ، مصر عرابي ومصطفى كامل وسعد وجمال عبد الناصر ورفاقه ، مصر شوقي وحافظ والمطران والبارودي وصبري ، مصر قاسم امين والكواكبي وجمال الدين الافغاني ومحمد عبده . مصر المازني وابو شادي ، مصر الدكتور محمد مندور وعباس

محمود العقاد ومصطفى السحرتي ومحمد حسين هيكل وكمال نشأت وحسن الصيرفي وعبد الغني حسن وعادل غضبان ووديع فلسطين وحبيب جاماتي ، وعشرات اخرين من كبار الادباء المفكرين المتحررين .

هنا نلقى وجه مصر الجميل النبيل حيث لا مدب بيننا وبينهم للتناكر وقطع الارحام والنعرات . هنا نلقى وجه مصر الذي عاش لنا وعشنا له ، وبرنا وبررناه اما اولئك الذين حاولوا ان يشوهوا هذا الجمال ، فلا نأخذن مصر العزيزة بجريرة طيشهم . لو ان في قلوبهم مقدار ذرة من الحب لمصر او الاخلاص للادب ، لما تنكروا للجمال واستهانوا بالخير واغمضوا عيونهم عن النور ، فاقترفوا ما اقترفوه ...

فاذا ذكرتهم يا شاعرنا الملهم ، فلا تذكر مصر . انها بريئة منهم ومن حملتهم ...

واذا كنا نلقى بين المتحاملين على الشعر المهجري ، ادباء كبارا اكفياء ، فهؤلاء لا نخاطبهم بلغة العاطفة والقلب والحب ، كما خاطبهم الشاعر القروي ، وانما يحلو لنا ان نفتح قلوبهم المغلقة ، واذهانهم الغافلة ، بالنقاش الادبي المجرد من النعرات والتعنت بالنقاش الرصين الحكيم المدعوم بالحجج والبراهين والادلة ، لا بالمزاعم والاوهام والتصورات الكيفية ، وعندئذ لا بد ان تتكشف لبصائرهم واذهانهم روعة الشعر المهجري وفتنة الادب المهجري وعظمة الدولة الادبية التي انشأها السوريون واللبنانيون في العالم الجديد ...

اننا لا نحصر العبقرية في شعراء المهجر ففي سوريا ولبنان والعراق ومصر والاردن شعراء اعلام تحنى لهم الهام . ولا ننادي بزعامة الشعر المهجري ، والميادين كثيرة ولكل ميدان زعامته . ولكننا نصر على ان تجلو للعالم العربي ، ومصر في الطليعة ، بدائع الشعر المهجري وروائعه وخصائصه المشرقة ، وميزاته الرفيعة وخلجاته المتدفقة ، والوانه واساليبه ومذاهبه ، وبالتالي مدارسه الجديدة التي قامت على قواعد الفصحى ، وانطلاقات الفكر والقلب والروح ، فكان بقوته وخصبه وروائه ، كأدواح الغابات وورودها وازاهيرها وثمارها ابنة الشمس والعواصف وثورات الطبيعة والارض البكر ...

وهناك صحافي آخر اسرف في الالمعية والمعرفة ، اسرافا مبذرا ، هو الاستاذ م. ع. محرر مجلة « الصباح » فقد زعم ان الاستاذ جورج صيدح حصر العبقرية في شعراء المهجر ، وهذا قول لا يؤيده برهان ، فليعد الى المحاضرة اذا شاء .

وزعم ايضا ان شعراء المهجر لم ينظموا شعرا الى الآن (كذا) وهذا « اكتشاف بارع » لم يسبقه اليه رائد او بحّار او منجم !

وادعى خالطا خارطا ان الشاعر القروي لم يبلغ منزلة « محمد الاسمر الشاعر المصري المعروف » وهذا الهذيان اسخف من ان نعلق عليه ...

ثم انتصب الكاتب وجمع يديه ورجليه وغاص في الاعماق بحثا عن اللآلىء ، وعاد بعدما كادت تتقطع انفاسه بحفنة من الرمل ، فصرخ وقد حسبها دررا فريدة ، « ان شعر المهجريين خرج عن الاوزان والقوافي واستعاض عنها بالنقاط » (كذا) .

ولا ندري امام هذا الهزر لمن يكتب محرر مجلة الصباح، الاهل مصر والاقطار العربية ام لاهل الكهف ... !

اما النقاط في الشعر ، فنلقاها في بعض الشعر المصري الحديث ، لا في الشعر المهجري . بين ايدينا عدد واحد من مجلة الرسالة الجديدة (العدد ٢٦) وقد نشرت على غلافه قصيدة « قصة جديدة » للشاعر محمد محمود عماد ، بعشرة ابيات واربع وثلاثين نقطة فقط ولا شك ان لكل نقطة ترجمة لا يستوعبها الشعر ولا الوزن والقافية .

والصحيح ان محرر الصباح كان في غيبوبة عميقة عندما علق على محاضرة الاستاذ صيدح ، فخلط وخبط كما شاء له الذهول الفكري فقال بعد ان تمطى وشد ساعديه ، ان الاستاذ جورج صيدح « بايع الياس ابو شبكه بامارة الشعر المهجري ، واين الياس ابو شبكه من شوقي ؟ »

واهل الكهف انفسهم يعلمون ان الياس ابو شبكه شاعر لبناني محلق عاش في لبنان وتوفي فيه شابا ، فهو اذن غير مهجري ، فكيف نصدق ان يبايعه الاستاذ صيدح وهو العليم بشؤون الشعراء المهجريين ؟

وقال ايضا ان المحاضر مجد عمر فرحات ولويس المعلوف (كذا) .

فهل له او لمن اركبه على قصبة مرضوضة ليطارد عقبان الشعر المهجري ، هل لاحدهما ان يعرفنا بعمر فرحات ومن هو ، حتى يدعي الكاتب ان المحاضر مجده ؟

نعرف في البرازيل شاعرا مهجريا من الطراز الاول يدعى الياس فرحات ، فهل هو عمر فرحات ؟ اما لويس المعلوف رحمه الله فهو راهب يسوعي عالم عاش في لبنان صبا الى اللغة العربية فوضع معجم « المنجد » المشهور . فأي علاقة له بشعراء المهجر حتى يزعم الكاتب ان المحاضر اطراه ...

غير ان المهجر البرازيلي — نبغ فيه شعراء كبار ينتمون لآل المعلوف مثل المرحومين فوزي المعلوف وميشال المعلوف ، وشفيق المعلوف وقيصر المعلوف (نزيل بيروت حالا) وكل منهم جدير بالاطراء ، فايهم « لويس » ؟

فاذا كان محرر مجلة الصباح يجهل اسماء الشعراء المهجريين ويخلط فيها ، فكيف لا يخلط في الشعر المهجري ويشن عليه حملة باهرة العقم ...

ونحن ما كنا لنهتم بتفنيد هذه المزاعم والاقوال ، لولا اننا شئنا ان نتقدم الى قراء العربية بعض « النماذج » من اساليبهم في النقاش الادبي وحملتهم على الشعر المهجري .

فاين الصدق والنزاهة في رواية الاخبار والوصف ، على الاقل ، واين الاطلاع والمعرفة ، واين التدقيق والتحليل واين الادلة والبراهين ...

لا اثر لشيء من هذا كله في حملتهم على الشعر المهجري .

لقد قهرنا النفس عندما تناولنا هذه النماذج وفندناها، وتحاملنا على السجية اذ حفلنا بها ورددنا عليها ، بيد اننا اذا تدبرناها وتعمقنا في دراستها ، رأيناها تتكشف عن ازمات فكرية رجعية . وعن عقلية انعزالية مغلولة ، لا يمتد طرفها الى ابعد من التخوم الضيقة المحدودة ، ولا تزن الجمال والخير والحق ، الا بميزان النعرات والاهواء .

ننتقل بعد ايراد هذه « النماذج » الى الحديث عن الاستاذ عزيز اباظه زعيم الشعر التمثيلي ، وزعيم المعارضين للشعر المهجري . وعن الاستاذ محمد زكي عبد القادر رئيس تحرير « الاخبار » المصرية وهما ارصن واقدر من حملوا على شعراء المهجر .

اما حملة الاستاذ عزيز اباظه على الشعر المهجري ، عندما عقب على محاضرة الاستاذ صيدح فقد كانت متوقعة ذلك ان هذا الاستاذ الكريم ، اعلن « عدم رضاه عن الشعر المهجري في المقدمة التي كتبها لديوان « شعراء المهجر » الذي اصدرته مؤسسة فرنكلين في القاهرة ، وكان بديهيا ان يقف عند رايه ويرد على المحاضر الجريء الذي تغنى بالشعر المهجري ردا عنيفا ، وعذره « انه ناقش قضية كلية عامة هي اضخم واكبر من ان يقتصر فيها على التحيات والمصانعات — عزيز اباظه في جريدة الاخبار —

ونحن لا يعنينا شكل الهجوم ، اكان عنيفا ضاريا ام معتدلا رقيقا ، وانما يعنينا في هذا النقاش عناصر الهجوم وحدها فما هي هذه العناصر التي اعتمدها في تقويض دونة الشعر المهجري ؟

من مزاعم الاستاذ عزيز اباظه وهو المتحلي بالادب والخلق الرفيع ، كما روى الاستاذ جورج صيدح ، في حديثه لجريدة الديار البيروتية .

١) ان شعراء المهجر ليسوا فلاسفة .

٢) وان من المهانة لشوقي ان يرد اسمه في معرض الكلام عن شعر المهجر ، فان اسم شوقي اسمى من ان يذكر في هذا المجال .

٣) وان المهجريين ضاقوا باوزان الشعر فلجأوا الى الشعر الحر وقد سماه « النثر المشعور » .

٤) وانهم ازدروا اثواب الشعر ، مع انها مفخرة الديباجة العربية وبدونها لا روعة له ولا تأثير .

٥) ومن هذه المزاعم (ثروت اباظه في الرسالة الجديدة) ان الاستاذ عزيز اباظه « لا يقارن شعراء المهجر بشعراء مصر ، فقد تختلف الاوساط والظروف ولكنه يقارنهم بشعراء لبنان انفسهم ، ففي شعراء لبنان اصالة ، وفي شعرهم عذوبة » .

٦) « اما شعراء المهجر ففيهم رطانة وفي شعرهم خشونة » .

٧) وانه لا بد للشعر من اللفظ الجذل والاسلوب الرصين ، فان خلا منهما لم يصبح شعرا على الاطلاق ، الا اذا قيل عنه انه شعر مهجري أي غير عربي » . انتهى

قلنا ، فهل تنطبق هذه الاوصاف على الشعر المهجري؟ وما هي الادلة والبراهين التي استند اليها الاستاذ عزيز اباظه حتى سوغ لنفسه ان يطبع الشعر المهجري بهذا الطابع الدميم ويجرده من كل الحسنات والميزات ، فلا يلقى فيه سوى العورات ؟

اننا لا نحتاج الى اعمال الفكرة وكد الذهن لنهدم بيسر دونه كل يسر ، كل ما بناه من « القواعد الاستحكامية » بعسر يقصر عنه كل عسر .

١) اما ان شعراء المهجر غير فلاسفة ، فهذا صحيح الى حد ما . ولكن متى كانت الفلسفة شرطا اساسيا للشاعرية ؟ وهل كان مثلا امير الشعر شوقي الخالد فيلسوفا ؟

٢) ثم لا ندري كيف يهان شوقي العظيم اذا ذكر اسمه في معرض الحديث عن شعراء المهجر ، وبينهم الشاعر العملاق ايليا ابو ماضي وهو الذي اشار اليه شوقي نفسه عندما سئل عن اقرب الشعراء المعاصرين اليه أو عن خليفته في امارة الشعر .

وبينهم ايضا الشاعر القروي الذي قال فيه امير البيان شكيب ارسلان رحمه الله :

قل للقصائد كلهن تذللي ... للشاعر القروي وسط الحفل

والقروي هو القائل :

الزهر تعرفني واعرفها فما ... همي اذا جهل الضفادع شاني
والشمس يخفيها القتام عن الثرى ... لا عن عيون النسر والدبران

وبينهم ايضا ميخائيل نعيمه الينبوع الانساني النقي ، المتدفق بيانا وحكمة وخيرا ، ونسيب عريضة الشاعر الصوفي الصداح الذي وشح « الطريق » باغاريد الصبابة والوجد ورشيد ايوب الشاعر الدرويش المتألق ، وندره حداد « الشاعر القديس » وفوزي المعلوف صاحب بساط الريح . وعقل الجر وشقيقه شكر الله وحسني غراب العندليب الحنون ونعمه قازان ، والياس فرحات صنو الشاعر القروي ، وشفيق معلوف صاحب عبقر ، ونصر سمعان وميشال مغربي وزكي قنصل وسواهم ، دون ان ننسى صاحب المحاضرة جورج صيدح .

هب ان شوقيا العظيم ، اميرهم فهم الشيوخ . وهب انه « رئيس الجمهورية » ، فهم الوزراء . وهب انه الملك ، — وهو ملك — فهم الامراء .

ولا يضير الملك ان يذكر اسمه في مجال الحديث عن الامراء ...

الا ان يتعنت الاستاذ اباظه ، ويقنعنا بالادلة والبراهين والنقد المجرد النزيه بان شعراء المهجر غير شعراء ، وهذا امر لا طاقة له به ولو استعان بالثقلين ...

٣) اما ان المهجريين ضاقوا باوزان الشعر فلجأوا الى الشعر الحر او النثر المشعور كما طاب للاستاذ اباظه ان يسميه ، فهذا قول نغتفره لمن لم يطلعوا على الشعر المهجري ، فوصفوه كما وصف الاعمى ساق الفيل ، ولكننا لا نغتفره لشاعر كبير كالاستاذ اباظه ، طالع شيئا من منظومات الشعراء المهجريين .

لقد نشر هؤلاء الشعراء اكثر من مائة ديوان ، ونظموا الوف القصائد ، فلم نلمح في واحدة منها شعرا غير موزون ومقفى ، بل رأيناهم يحافظون اشد المحافظة على قواعد اللغة والعروض ، فهل للاستاذ اباظه ومشايعيه ان يدلونا على قصيدة واحدة من هذا الذي سماه نثرا مشعورا ؟

وعندنا ان الاستاذ اباظه خلط بين الشعراء والكتاب ، فقد برز بين المنشئين المهجريين فئة تعبقرت في الشعر المنثور ، كالريحاني وجبران ، وليس من ينكر ان كلا منهما انشأ مدرسة حافلة لها الوف الطلاب والمعجبين ، فهل بوسع الاستاذ اباظه او غيره ، ان ينكر على الادباء المهجريين او سواهم ، ان يعبروا بشعر منثور وهم كتاب لا نظامون ؟

ثم ان القرآن الكريم وهو آية الآيات وحجة الحجج ، في الفصاحة والبيان واشراق الديباجة العربية ، حافل بالشعر المنثور او التعابير الشعرية الرفيعة المسجعة التي تعجز اكبر النظامين ، فما راي الاستاذ عزيز اباظه ؟

٤) لا ندري ما معنى قول المنتقد بان الشعراء المهجريين ازدروا اثواب الشعر وددنا لو اتانا ببعض الامثلة والشواهد على هذا الازدراء لنقيم لقوله وزنا ، ولكنه سامحه الله ، اكتفى باصدار حكمه الاستبدادي دون الاستناد الى ما يسميه القضاة « حيثيات الحكم » .

والصحيح ان الشعراء المهجريين متأنقون كل التأنق في الاداء والاسلوب والصيغة ، وهم من هذه الناحية لا

يقلون شأنا عن اكابر شعراء العربية ، وكثيرا ما نلمح في ديباجتهم ومضات المتنبي وشوقي ، كما نلمح لفتات الشعراء الامويين والعباسيين والاندلسيين ، ولكنك لا تلمح مطلقا تلك « الضوضاء » اللفظية الجاهلية . فهل هذا ما يريده الاستاذ اباظه ؟ اذن بارك الله له فيه ، غير محسود . .

٥) يانف الاستاذ اباظه او يأبى ان يقارن بين شعراء المهجر وشعراء مصر متذرعا بتفاوت « الاوساط والظروف » اما نحن فلا نقيم شأنا لهذا التفاوت . مع هذا نربأ بشعراء المهجر ان نقارنهم بشعراء مصر الحاليين ، مع احترامنا لبعضهم . ونعود فنقرر مرة ثانية ان مصر اضاعت زعامة الشعر العربي ، بعد افول فراقدها الخمسة أي شوقي والمطران وحافظ والبارودي وصبري . وقد اصفى الشعر فيها اليوم او كاد اذ يصعب علينا ان نلقى في الشعر المصري الحاضر ، قريضا يستطيع على الاقل ان يسير في ركاب هذا الخاموس او يقف على عتبته ، بل بكل اسف نقول ، ان الشعر العربي الفصيح في مصر انهزم امام الزجل العامي ، واذا استمرت هذه الهزيمة ، فسلام على الفصحى !

خذوا بشهادة الدكتور طه حسين . فقد اكد في حديث القاه في الاذاعة المصرية بعنوان الادب واللغة « ... انه لم يكتب في مصر منذ عشر سنوات ادب بالمعنى الصحيح ... لا شعر ولا قصة ولا مقال ... اني اشفق على جيلنا اذا انطوى غدا ، ان يأتي الجيل الثاني بعده ويقرأ ما تركناه له » . فلا يزيد ان يقول : اف ما هذا العبث ؟ اعلى هذا كانوا يقتلون اوقاتهم (جريدة السوري الجديد) .

هذا ما صرح به كبير اهل البيت في مصر وهو لا يجهل ان هناك شاعرا كبيرا يدعى عزيز اباظه ، وان هناك ايضا شعراء آخرين ، ولكن طه حسين ، لا جورج صيدح ولا كاتب هذا المقال ، لم يحفل بهم ، بل نعى عليهم انهم لم ينظموا شعرا منذ عشر سنوات ...

هذه واحدة ، واخرى ، لما اصر الاستاذ اباظه على حصر المقارنة بين شعراء لبنان وشعراء المهجر ؟ الان بين هذين الفريقين صلة النسب اللبناني السوري ، ام لانه يعتقد ان شعراء لبنان دون شعراء مصر منزلة ؟ ام لانه اراد ان يضرب اهل البيت بعضا ببعض ؟

مع هذا ايظن ان شعراء المهجر انانيون متغطرسون جامدون حتى ينكروا على سواهم حق الابداع والعبقرية ؟ انهم يصفقون لكل مبدع عبقري ويتناشدون شعره معجبين وللبنان الشاعر في قلوبهم أصداء مغردة ، وطيوب متأرجة وظلال وارفة غضة نضيره ، ومثلها لسورية والعراق والاردن ومصر . انهم ينشدون الجمال ، لا الاوهام والاشباح . فالاديب الموهوب هو الذي تفتح قلبه على الجمال والخير والحق ، ونشد هذا كله في جميع ما دبج ونظم ، وسيان عنده اتبلج النور في الارز ام على ضفاف بردى والعاصي ، ام على شواطيء دجلة والاردن ، أم على الاهرام والجبال والانجاد ، ام على اسياف الهدسون والامازون ولابلاتا . انه يعنى بالنور ويتجه اليه ...

والعبقرية ليست وقفا على قطر دون آخر . وليست هناك سلالة بشرية واخرى الهية . والتفوق العنصري اسطورة . والحقيقة الانسانية الكبرى هي في الجمال والخير والحق . فلكل شعب اساطيره واغاريده وفتوحاته الحمراء . ولكن السر كل السر في الفتوحات البيضاء . والشعوب كلها ساهمت قليلا او كثيرا في بنيان الحضارة ونشر المعرفة والثقافة والنور ، فلا مجال للتبجح والدعوى العريضة .

وانه لضلال مبين ان ننظر الى الجمال والخير والحق من وراء الاقليمية والمذهبية والحزبية او الاهواء والانانيات، وفي الحديث الشريف ـ اطلبوا العلم ولو بالصين .

والاديب الموهوب من اتسع قلبه للحب اتساعه للجمال فلا يضن على زميل له بالاطراء عندما يجيد ، ولا يخرس عندما يدفعه الاعجاب الى الثناء ، ولا يعمد الى التعنت والتضليل والتشويه عندما يبهره سحر الجمال ، والا كان اديبا مدعيا ، لا ينشد جمالا وخيرا وحقا ، وانما يبحث عن تجارة رائجة وشهرة . ومثل هذا الاديب التاجر لا *شأن لنا به* .

٦) اما التهمة التي نحتسبها عند الله فهي قوله بان في شعراء المهجر رطانة وفي شعرهم خشونة ! ؟

الله اكبر ! افي شعراء المهجر رطانة ، وفي شعرهم خشونة ؟ لا يا استاذنا الفهامة ، هذه عثرة لا نرضاها لك ، ونأسف اذ تعمدتها لتصرف عنه الانظار فلا تقراه مصر ولا تستمتع بجماله .

والمصيبة الكبرى ان الاستاذ عزيز اباظه ، في كل ما الصقه بالشعر المهجري من العيوب ، لم يستند الى اي برهان ولا استشهد على الاقل باضعف الشعر المهجري من الطبقة الثالثة ، في حين ان الاستاذ جورج صيدح ، ما اطرى شاعرا مهجريا ، ولا اثنى على شعر مهجري الا وقد شفع الثناء بالشواهد الكثيرة ، وما عهدنا بالنقاش الادبي ان يقوم على الحدس والخيال والوهم .

٧) وصم الاستاذ اباظه الشعر المهجري بانه غير عربي لخلوه من اللفظ الجزل والاسلوب الرصين .

ونحن نقول ونؤكد ان العكس هو . فالشعر المهجري عربي اصيل بجزالة الفاظه وحسن ادائه ورصانة اسلوبه واشراق ديباجته وبراعة صياغته ، لا ازعم انه بلغ الاعجاز ، ولكنه كان اقرب الشعر العربي الى روح العصر ، ويقظات العصر ووثبات العصر ، ما تفرنج ولا « تجهل » ولا تميع ، بل جاء اصيل الطابع لا تكلف فيه ولا اعنات ، ولا غلبت فيه الصناعة على المعاني ، ولا انقاد الى التقليد والمحاكاة ، ولا اخذ بالمذاهب الشعرية الفرنجية الحديثة التي يحاول بعضهم ان يطبقها على الشعر العربي في بلدان الناطقين بالضاد ...

ومن ابرز ميزاته انسانيته وقوميته العربية وتحسسه المرهف لكل صوت في الشرق العربي ، ولكل خلجة ولفتة .

ومن ابرز خصائصه تحرره من الاقليمية والمذهبية والعقد النفسية والرجعية في ميادين الاجتماع والسياسة والفكر . بفضل ما تهيأ له من افق طليق فسيح تألقت فيه شمس الحرية على « الذاتية الانسانية العربية » .

فاذا كان هذا الشعر غير عربي ، فدلونا على الشعر العربي يرحمكم الله ...

اما اذا كان هذا الشعر « غير عربي » لان بعض الشعراء ارتكبوا لحنا او خطأ لغويا ، فاننا نرد بهذا السؤال: هل سلم من الوقوع في لحن او خطأ ، غير من عصم ربك ؟

[التتمة في صفحة ٦٩]

نظير زيتون
نزيل حمص ـ سوريا

جدار الذكريات

✳

النجم ، والذكرى ، وصمت الدرب يمشي في خطايا
وتثاؤب الجدران من حولي يحشرج في دمايا
ونوافذ سوداء ترمقني وتغلق لي مرايا
وأنا اسير كأنني شيء ، وشيء من بقايا
« ماذا ؟ أتغفر لي ، أتغسل من دمي حفر الخطايا ؟
« أتعود تغفر لي ، أتغسل من دمي حمى البغايا ؟
« ماذا أقول ؟ ولم أعد الا طريقاً من شظايا »

★ ★ ★

وسكتُ ، والآفاق يزحمها ضباب الذكريات
وعلى النوافذ من لهاث الليل ، ليل ، حشرجات
وأنا أسير ، وخطوتي حيرى تسير مع الحياة
وسمعتها ، والباب يغلق ، ثم تعلو تمتمات
« يا وغد ، يا كهف العناكب والوحوش الجائعات
« ماذا تريد هنا ؟ » ومات الجو ، حتى الدرب مات
« ماذا تريد ؟ اتبعث الماضي ؟ لقد أمسى رفات
« أمسى مريض اللون مثلك يا طريق التائهات
« أنسيت ليل الدمع ، والآهات ، تلك الامسيات
« وتوسلي لك ، يا جدار الذكريات الميتات
« اني لالمح في عيونك ظل تلك الذكريات »

★ ★ ★

ومشيت ، والاصداء تتبعني ، وتنأى وتموت
« يا وغد » والاصداء تتبعني ، وفي عمقي تموت
وعلى حدود الغيب اسرار ، شحوب ، وسكوت
وهواجس سوداء تدفعني الى العتم المقيت
وأنا أهيم كطائر أعمى نأى ، ضلَّ المبيت

الجامعة الامريكية بيروت
فؤاد رفقة

قصة لسومرست موم

الدار

ترجمة حسن السعران

تحتضن المزرعة المروج الخضر الواقعة عند «سمرستشاير» ، وبيتا شامخا من الحجر عتيق قديم الطراز، يحيط به بعض مخازن الغلال وحظائر الماشية وبضعة بيوت خلوية اخرى . وعند مدخل البيت على بابه نقش تاريخ بنائه ١٦٧٣ بحروف انيقة تمثل الخط الجميل للعصر الذي كتبت فيه. ويكاد البيت يبدو ــ لما اعتراه من فعل الأجواء التي تقلبت عليه وكسته لونا شاحبا ــ قطعة من المنظر والشجر الملتف من حوله . وتتقدمه من الطريق الى حديقته سكة يظللها من الجانبين شجر الدردار الرائع الذي قد يفخر بمثله قصر في ضيعة . واما اهل « البيت » فهم كالبيت نفسه فيما يتصفون به من جلد وتشبث وعناد وتواضع . ولعل الشيء الوحيد الذي يزهون به هو ان العائلة قد عاشت به سلسلة واحدة غير منقطعة ولدوا ثم ماتوا بين جدرانه ، وانهم قاموا مدة ثلاثمائة سنة بفلاحة الارض المحيطة به . وها هوذا « جورج ميدوز » في الخمسين من عمره وزوجته تصغره بعام او عامين على الاكثر . ومع ذلك فهما ينعمان بالصحة والعافية وسعدان باولادهما ، وهم ولدان وثلاث بنات يفيضون كذلك بالصحة والجمال ، ولا يتعلقون باية اوهام باطلة او يتعالون باراء خداعة ، ولا يحشرون بانفسهم في زمرة السادة الارستقراط . انهم يعرفون حق المعرفة مكانهم في الحياة وهم به جد فخورين .

والحق انني لم ار قط في حياتي عائلة اكثر منهم تآلفا او اشد منهم ارتباطا . كانوا يحيون حياة جليلة في مرح وجد وطيبة . وكانت حياتهم كاملة محدودة اشبه بسمفونية لبتهوفن او بلوحة للفنان تيتيان . وكانوا سعداء جديرين بتلك السعادة، ولكن سيد البيت لم يكن هو جورج ميدوز ، هكذا شاع على السنة اهل القرية ، وانما كانت امه العجوز هي صاحبة الكلمة النافذة . وقيل في القرية انها شخصية تساوي قدر رجلين كابنها جورج . وعلى الرغم من انها في الحلقة السابعة من العمر الا انها كانت طويلة العود منتصبة القامة معتدة النفس . ومع ان شعرها أشيب ووجهها كثير التجاعيد الا ان في عينيها بريقا وذكاء . وكانت كلمتها هي القانون في البيت والمزرعة على السواء . ولكنها الى جانب ذلك كانت لطيفة حلوة المعشر . ومع انها كانت صارمة في اوامرها الا انها كانت طيبة القلب ، يستعذب الناس نكاتها ويرددونها . وكانت تمارس شئون المزرعة بمهارة حتى ليعجز المرء عن ان يغلبها او يفوز عليها . والواقع انها كانت شخصية يندر ان تجد من يمزج مثلها الروح الطيبة بمسحة من السخرية اللاذعة اليقظة .

وفي يوم من الايام ، بينما كنت سائرا في طريقي الى البيت، اوقفتني مسز جورج ، وكانت مسرعة مضطربة (ولم تكن تعرف غير حماتها وحدها التي تدعى مسز ميدوز . اما زوجة جورج فكانت تعرف باسم مسز جورج) .

ثم سألتني قائلة : « ترى من تظنه قادما الينا اليوم ؟ العم جورج ميدوز. لعلك تذكر انه كان في الصين »

قلت : ولكني كنت اعتقد انه توفي.

فقالت : كلنا كنا نظن ذلك .

وطالما سمعت عشرات المرات بقصة العم جورج ميدوز ، وكنت اجدها ممتعة حقا ، لما فيها من حلاوة القصص الغنائي القديم . وما كانت غرابتها المؤثرة الا من قصص الحياة الواقعية . ذلك ان العم جورج ميدوز ، واخاه الاصغر توم كانا هما الاثنان منذ اكثر من خمسين سنة قد طارحا مسز ميدوز الغرام ، يوم كانت فتاة تسمى اميلي جرين . وما ان تزوجت توم ، حتى رحل جورج آنئذ بعيدا الى البحر ثم بلغهم بعدئذ نبأ سفره الى ساحل الصين ، واستمر يبعث اليهم بهداياه بين الحين والحين طوال عشرين سنة . ثم انقطعت عنهم اخباره فجأة. ولما توفي توم ميدوز كتبت ارملته الى اخيه تنبئه بالخبر . ولكنها لم تتسلم منه اي رد ، ومن ثم اعتقدوا انه لا بد قد وافاه ايضا اجله المحتوم. ولهذا ادهشهم اخيرا ان يتسلموا منذ يومين او ثلاثة رسالة من مدير بيت البحارة في بورتسموث . ويبدو ان جورج ميدوز قد اصيب بشلل الروماتزم في السنوات العشر الاخيرة، وعاش نزيلا في بيت البحارة . ولما ان شعر بقرب منيته اراد ان تكتحل عيناه مرة اخرى بالبيت الذي ولد فيه .. ولهذا سافر « البرت » احد اولاد ابن اخيه جورج الى «بورتسموث» ليعود واياه ، والمنتظر ان يصلا عصر ذلك اليوم .

وقالت مسز جورج : تصور انه منذ اكثر من خمسين سنة لم يات الى هنا ، بل لم ير حتى زوجي جورج، وهو الذي يبلغ في عيد ميلاده المقبل الواحد والخمسين من عمره .

فسألتها : وما هو راي حماتك مسز ميدوز ؟

فاجابتني قائلة : انت تعرفها ولا شك . انها تجلس بالبيت وتبتسم لنفسها .

وكل ما تذكره انه يوم رحل عن المزرعة وهجرها كان وسيما جذابا في ريعان الشباب ، ولكنه لم يكن في ثبات اخيه . وهذا هو سبب اختيارها لاخيه « توم » والد زوجي جورج. ولا بد انه اليوم ــ كما تقول ــ هادىء رزين.

ودعتني مسز جورج لزيارة العائلة ومقابلة العم جورج ميدوز . قالت ذلك في بساطة وسذاجة المرأة الريفية التي لم تبعد عن بيتها الى اكثر من

لندن . فهي تعتقد اننا ما دمنا قد عشنا في الصين فانه لا بد ان تكون بيننا مسائل مشتركة . ومهما يكن من شيء ، فقد لبيت دعوتها .

وعندما بلغت الدار ، وجدت العائلة مجتمعة باكملها . كان الجميع يجلسون في حجرة الطعام الفسيحة القديمة ذات الارضية المكسوة بالبلاط الحجري . ورايت مسز ميدوز تجلس في مقعدها المعتاد قرب المدفأة معتدلة في جلستها ، وكانت تسليتي بان اراها وقد تزينت باجمل ثيابها الحريرية ، وجلس حول المائدة ابنها جورج وزوجه وعياله جميعا . اما في الجانب الاخر من المدفأة امامها فقد جلس رجل عجوز تكوم في مقعده . كان نحيلا يكسو جلده عظامه كانه ثوب قديم من ثيابه الفضفاضة ، ووجهه مصفر كثير الغضون ، وفمه خاليا من الاسنان تقريبا

حييته مرحبا وقلت : يسرني ان اراك تعود سالما الى هنا يا مستر ميدوز

فقال مصححا : « كابتن » .

وذكر لي « البرت » ابن ابن اخيه انه مشى على قدميه . اذ عندما بلغت العربة الممر اوقفها واعرب عن رغبته في المشي .

فقال العجوز : لا تنس انني لم ابرح فراشي طيلة عامين . لقد حملوني من الفراش الى العربة ، وكنت اعتقد انني لن استطيع المشي ابدا . ولكن ما وقعت عيني على ممر البيت واشجار الدردار التي تعهدها ابي كثيرا برعايته ، حتى شعرت بقدرتي على المشي . هنا مشيت يوم غادرت الدار منذ ٥٢ سنة ، وها أنذا امشي هنا مرة اخرى اثر عودتي .

وصاحت مسز ميدوز : ارى انها حماقة .

فقال : ولكنها افادتني ، انا احسن حالا بل اشعر انني اقوى مما كنت من عشر سنوات . واستطيع المشي معك مرة اخرى يا اميلي .

فاجابته: لا تكن متأكدا من نفسك هكذا

وأغلب الظن انني لم اسمع احدا طوال جيل كامل ينادي مسز ميدوز باسمها الاول فحسب . وصدمني النداء صدمة خفيفة احسست معها ان الرجل العجوز يتحرر في محادثتها ورايتها تحدجه بنظرة حادة ولكنها باسمة . بينما راح هو يعض لثته .

وكان غريبا ان ينظر المرء اليهما معا ، وقد اجتمع شملهما بعد نصف قرن.

وكان يلوح ان الرجل ظل مقيما على حبه حافظا لهواه كل ذلك الوقت ، في حين انها قد احبت غيره . ووجدتني اعجب ، ترى ما الذي كانا يشعران به حينذاك . وما الذي قاله احدهما للاخر . ثم اتراه يستغرب الان انه بسبب هذه المراة العجوز قد هجر بيت آبائه ، مخلفا ميراثه الشرعي ، مفضلا حياة النفي .

فسألته : هل تزوجت مرة يا كابتن ميدوز ؟

فاجابني بصوته المرتعش وقد كشر عن وجهه : كلا ، لست انا الذي تزوج ، ولهذا أعرف من أمر النساء الشيء الكثير .

فردت مسز ميدوز على اهانته قائلة : هذا ما تدعيه . ولو ظهر الحق لما ادهشني ان اسمع ان لك عشر جاريات سود في ايامك .

ـ الناس في الصين ليسوا سودا يا اميلي ، يحسن ان تكون معرفتك أفضل من هذا ، انهم صفر الوجوه .

ـ ربما هذا هو ما جعلك شديد الاصفرار . وقد قلت لنفسي عند ما وقع بصري عليك انك مريض باليرقان.

ـ قلت انني لن اتزوج غيرك يا اميلي ، وما تزوجت احدا .

قال تلك العبارة بلهجة خالية من العاطفة او الغيظ ، وكأنها مجرد حقيقة عارية ، تماما كما يقول المرء مثلا: « قلت انني سأمشي عشرين ميلا وقد مشيتها » . ولكن كانت في لهجته مسحة من الرضا .

فاجابته : لو فعلت لاسفت وحزنت

وتحدثت مع العجوز عن الصين بعض الشيء .

ـ ليس في الصين ميناء لا أعرفه خيرا مما تعرف أنت جيوب سترتك. لقد أبحرت الى كل مكان تستطيع سفينة الاهتداء اليه ، وبوسعي ان احدثك ستة شهور بطولها فلا افرغ من رواية نصف مشاهداتي .

وقالت مسز ميدوز والابتسامة الساحرة تشرق في عينيها (ولا اقول ابتسامة غير طيبة) على كل حال شيء واحد لم تقم به يا جورج ـ كما ارى ـ وهو انك لم تجمع ثروة من المال .

ـ لست ممن يكنزون المال ، نشعاري « اكسب واصرف » . ولكن شيئا واحدا اقوله عن نفسي : لو اتيح لي الحياة مرة ثانية فانا اقبل حياتي كما هي . وقليلون هم الذين يقولون ذلك او يرتضونه .

فعلقت على قوله قائلا: الحق ما تقول

وتطلعت اليه في كثير من الاعجاب والاحترام . فهذا العجوز الكسيح الاهتم الخالي الوفاض قد نجح في حياته لانه استمتع بها حقا . ولما غادرت البيت طلب الي ان اعوده في الغداة ، قائلا انه سيقص علي من حكايات الصين كل ما اشتهي سماعه.

وفي صباح اليوم التالي فكرت في الذهاب الى البيت والسؤال عنه . وبينما كنت اقطع الممر الحافل باشجار الدردار متجها شطر الحديقة لمحت مسز ميدوز تقطف بعض الزهور فحييتها تحية الصباح ، فانتصبت بقامتها وفي يدها حزمة كبيرة مما جمعته من الزهور البيضاء . والقيت ببصري على الدار فرأيت النوافذ مغلقة (الششن) وتملكتني الدهشة فان مسز ميدوز تحب نور الشمس وتكاد تعبدها .

وقد سمعتها كثيرا تردد : سيجد المرء من حياة الظلام ما فيه الكفاية عندما يوافيه الاجل المحتوم .

فسألتها : كيف حال الكابتن

فاجابتني قائلة : تبا له من متهور. لقد وجدته « ليزي » هذا الصباح ميتا في فراشه عندما دخلت حجرته تحمل اليه فنجانا من الشاي.

ـ ميت ؟

ـ مات في فراشه . وهذه الزهور كنت أجمعها لاضعها له في حجرته . على كل حال ، يسرني انه توفي في هذه الدار العتيقة . فان آل ميدوز يهمهم ذلك . ولشد ما تعبت العائلة كثيرا ليلة امس لتحمله على النوم مبكرا . ولكنه ظل يحدثهم حديثا شائقا عن كل ما صادفه في حياته الطويلة . وكان سعيدا بعودته الى داره القديمة وفخورا بانه ارتقى الممر الى الدار وحده دون مساعدة احد ، مزهوا بانه قد يعيش عشرين سنة اخرى في صحة جيدة . ولكن القضاء كان به رحيما . فسجلت يد المنون نقطة الختام في المكان المناسب .

وقالت مسز ميدوز وهي تشم باقة الزهور التي تحملها في يدها : كم انا سعيدة بعودته الحق انني بعد ان تزوجت من توم ميدوز ، وهاجر جورج بعيدا ، لم أكن على يقين قط من انني احسنت الاختيار السليم .

حسن السعران

ريبة

✳

أرثت بالوعد الاثيم ... جحيم أهوائي الاثيمه
واثرت نار رغائبي ... في الصدر عاصفة ذميمه
خلفتني نهب السقام ... اصرّ أضلاعا سقيمه
واشيح من الم بأبصاري ... عن الذكرى الاليمه
لم يبق من مرح الشباب ... وبسمة الامل الوسيمه
الا شتيت من رؤى ... وحزازة الذكرى القديمه
يا لهفتا لطلائع الآمال ... من مضض الهزيمه
حلم طوته يد الاسى ... ووساوس النفس العقيمه

★ ★ ★

لله اي حزازة ... اججت في القلب الجريح
ايقظت في الصدر الذبيح ... مرارة الامل الذبيح
وبعثت طيفك حين اطبقت ... الجفون على الجروح
وشفيت باليأس المرير ... رغائب القلب الجموح
لما عكفت على الكؤوس ... أعل كالنضو الطليح
ومدامع الحرمان في ... الاجفان تسخر من طموحي
ولنهشة الداء المريب ... لواعج الداء القبيح
فاطل طيفك باسما ... يختال في أفق فسيح

★ ★ ★

حسناء ما أقسى الحياة ... اذا تحكمت الظنون
وتقاسم القلب الكليم ... الشك والداء الدفين
ويح الشجي من الظنون ... اذا جفا القلب اليقين
اذ راح يخبط في الدجى ... والليل جياش حرون
ما افتر ثغر الروض الا ... اغرورقت مني العيون
وشددت من لهف على ... كبد كما شد الحزين
واللوعة الحمراء في ... صدري يؤرثها الحنين
يا للرياض من الردى ... اذ راح يرصدها المنون

★ ★ ★

او ما لجرح القلب من ... برء على كر الدهور
من لي بايمان الصغير ... وبسمة الامل النضير
حسناء لو تدرين ما ... جرعت من داء مرير
لرثيت لو نفع الرثاء ... وجدت بالدمع الغزير
ملكت علي وساوسي ... أمري فمن لي بالمجير
فطفقت اروي من ثغور ... الكأس محموم الثغور
حتى أهدهد ما بصدري ... من حزازات الصدور
وغفوت حين وساوسي ... راحت توسوس في ضميري

باريس

عدنان مردم بك

السيدة الحرة اروى الصليحي ملكة اليمن

بقـلم عـارف تـامر

يعتبر اقليـم اليمن القطر الشرقي الوحيـد الـذي كان محط انظار [الفاطميين] وموضع اهتمامهـم ، ويحدثنا اكثر من مؤرخ ان [الفاطميين] الذين كانوا يقيمون ببلدة « سلمية ـ سوريا » في القرن الهجري الثاني وما بعده كانوا يرغبون اقامة دولتهم الفاطمية في اقليم اليمن ، ولكن اسبابا متعددة جعلتهم يتجهون الى بلاد المغـرب فيقيمون دولتهم فيها بعد ان نشروا تعاليم دعوتهم في اليمن ومهدوا كافة الصعوبات التي كانت تعترض سيرها ؛ وهذه البذور التي غرسوها لم تلبث ان نمت وترعرعت ثم تطورت حتى وصلت الى مصاف الدول الشرقية الكبرى ، وفي عهد الخليفة الفاطمي الامام المستنصر بالله بلغت الذروة واستقرت في الاوج واصبحت ذات شأن كبير . وفي الصفحـات التالية أقدم بحثا موجزا عن امرأة لعبت دورا هاما في حياة هذه الدولة وعملت كثيرا في سبيل توطيد اركانها ، هـي السيدة الحرة اروى الصليحي(١) ملكة اليمن .

كان « علي بن محمد الصليحي » يحكم القطر اليمني على اعتبار انه نائب الخليفة الفاطمي الامام المستنصر بالله ، وخلال مدة حكمه تبودلت بينه وبين الخليفة الفاطمي الامام المستنصر بالله مراسلات هامة تعطي صورة واضحة عما كان بينهما من صلة وثيقة واخلاص ومحبة متبادلة ، وفي عام ٤٥٩ هـ ذهب « علي بن محمد الصليحي » لاداء فريضة الحج واستخلف ابنه « احمد المكرم » بصنعاء ، وبينما هو في طريقه الى مكة اغتاله [سعيد الاحول بن نجاح] (٢) فولي ولده [احمد المكرم] بأمر من الخليفة الفاطمي الامام المستنصر بالله شئون الملكة ، وكان اول عمل قام بـه ان جهز جيشا عظيما وسار به لمحاربة الاحول ، وقد ساعده الحظ وواتته الظروف فتغلب عليه وقتله وبعد ان تم له ذلك واستقرت الامور وساد الهدوء عاد الى صنعاء فسلم زوجته السيدة الحرة زمام الامور مفضلا الهدوء والراحة والابتعاد عن المشاكل السياسية (٣) فنقلت عاصمة ملكهـا من (صنعاء) الى (ذي جبلة) وهي متوسطة بين اليمن الاعلى والاسفل وبها يخصب العيش ويطيب المحـل(٤) ، وكان هذا النقل لم يوافق مزاج (احمد المكرم) فأصيـب بمرض الفالج الشديد وعندئذ أشار عليه الاطباء ان يحتجب عن الناس فترك (ذي جبلة) وطلع الى حصن (التعكر) بعد ان تخلى عن جميع سلطاته وكافة شئون المملكة وقد كـان (احمد المكرم) كما قال عمارة اليمني : « فصيحا خطيبـا مشهورا بالثبات والاقدام ولم يكن في زمانه من يستطيع حمل رمحه وسيفه وقوسه لشدة قوته وعظيم خلقته وقوة ساعده . توفي في شهر جمادي الاول سنة ٤٧٧ هـ .

السيدة الحرة اروى الصليحي

كان اهل اليمن يخاطبونها بلقب (سيدتنا الملكة الحرة) حبا وتعظيما واجلالا . اسمها « اروى بنت احمد بن محمد بن قاسم الصليحي » (٥) . ولدت سنة ٤٤٠ هـ. ابوها هو (احمد بن محمد) بعثه الملك (علي الصليحي) بعد استيلائه على حصن (مشار) مع الوفد اليمني الى القاهرة ليمثـل امام الخليفة الفاطمي الامام المستنصر بالله وليستـأذن الخليفة المذكور في اظهار الدعوة في انحاء اليمن فمات في (عدن) بسقوط البيت الذي كان يسكنه عليه ، وقد كانت (اروى) في ذلك الوقت طفلة صغيرة (٦) ، اما امها فهي (الرداح بنت الفارع بن موسى الصليحي) تزوجت بعدموت زوجها من (عامر بن سليمان بن عبدالله الزواحي) فرزقت منه (سليمان بن عامر) اخو السيدة الحرة لامها (٧) وقد قامت بتربيتها وتهذيبها وتأديبها السيدة (اسماء بنـت شهاب) زوجة (علي الصليحي) فنشأتها تنشئة طيبـة فاضلة وذلك لاهتمام « علي الصليحي » بها فكان كثيرا مـا يقول لاسماء : (اكرميها فهي والله كافلة ذرارينا وحافظة هذا الامر على من بقي منا) .

هذا وتحدثنا المصادر التاريخية اليمنية بانها كانت على جانب كبير من الاخلاق الفاضلة الى جانب ما تمتعت به من جمال الخلقة فهي بيضاء اللون مشربة بحمرة مديـدة القامة معتدلة البدن تميل الى السمنة كاملة المحاسـن جهورية الصوت قارئة كاتبة تحفظ الاخبار والاشعـار والتواريخ وايام العرب (٨) ولها تعليقات وهوامش عـلى الكتب تدل على غزارة مادتها وعلمها وكان يقال لها (بلقيس الصغرى) لرجاحة عقلها وحسن تدبيرها (٩) وقد وصفها ادريس عماد الدين صاحب عيون الاخبار بقوله : « متبحرة في علم التنزيل والتأويل والحديث الثابت عن الائمـة والرسول عليهم السلام » وكان الدعاة يتعلمون منها من وراء الستر ويأخذون عنها ويرجعون اليها (١٠) .

وقد امتازت الى جانب ذلك بالصلاح والتقوى والخبرة

---

(١) نسبة الى (الاصلوح) من بلاد (حراز) باليمن . (٢) عمارة اليمني ـ تاريخ اليمن ص ٢٢. (٣) عيون الاخبار ـ ادريس عماد الدين جزء ٧ ص ١٢٢. (٤) عيون الاخبار ـ ادريس عماد الدين جزء ٧ صفحة ١٢٢. (٥) عيون الاخبار جزء ٧ صفحة ٢٠٣. (٦) تعليق كاي رقم ٢٩ . (٧) عمارة اليمني ـ كاي رقم ٥٩ كفاية ٥١. (٨) عمارة اليمني ـ كاي ٥٩ كفاية ٥١. (٩) عمارة اليمني ـ كاي ٢٨ . (١٠) عيون الاخبار جزء ٧ صفحة ٢٠٨ .

السياسية الواسعة والمعرفة الفائقة باحوال الناس مما ساعدها على ادارة شئون بلادها في ظروف سيئة واضطرابات عنيفة احاطت بمملكتها ، وزاد ادريس عماد الدين فقال : « كانت امراة فاضلة ذات نسك وورع وفضل وكمال وعقل وعبادة وعلم تفوق الرجال فضلا عن ربات الجمال وتستحق مدح الشاعر حيث قال (١١) :

وما التانيث لاسم الشمس عيب	ولا التذكير فخر للهلال

وقال ايضا : « وقد استحقت التقديم والتفضيل على الفضلاء من الرجال وكان الخليفة الفاطمي الامام المستنصر بالله قد اصدر اليها اجل ابواب دعوته فأفادوها من علوم الدعوة ورفعت عن حدود الدعاة الى مقامات الحجج (١٢) » ولقد مدحها الكثير من الشعراء ومنهم (الحسين بن علي بن محمد القم) حيث قال :

اعلمت ان من الرماح قدودا	ومن الصفاح محاجرا ونهودا

ومنها :

اعلى الانام ابا واكرم طينة	واتم اعراقا واصلب عودا
لو كان يعبد للجلالة في الورى	بشر لكانت ذلك المعبودا
او كان في اثوابها بلقيس ما	هابت سليمانا ولا داوودا
هي نعمة الله التي ما ماءها	ثمدا ولا معروفها مجحودا
هي رحمة الله التي ما زال من	فوق البرية ظلها ممدودا

وفي الواقع فهذه الصفات قلما تجمعت في احدى نساء العالم وخاصة في عصر وبلد كان الرجل ينظر فيه الى المراة نظرة الامة المملوكة لابيها اذا كانت في عصمته ولزوجها اذا كانت في حصانته .

حياتها :

لقد اصبح من الطبيعي بعد ما علمنا هذا عن (السيدة الحرة) وبعد ما وقفنا على مقدار اهتمام (علي الصليحي) وزوجته (اسماء) بها ان تختارها زوجة لابنها (الامير احمد المكرم) وقد تم هذا الزواج سنة ٤٥٨ هـ. وكان لها من العمر ثماني عشرة سنة ، فانجبت عليا ومحمدا وفاطمة وام همدان ، فأما فاطمة فقد تزوجت من شمس المعالي (علي بن سبأ بن احمد الصليحي) وتوفيت سنة ٥٣٤ هـ. (١٣) ، واما (ام همدان) فقد تزوجت من ابن خالها (احمد بن سليمان بن عامر بن سليمان بن عبدالله الزواحي) فرزقت منه (بعبد المستعلي) وتوفيت سنة ٥١٦ هـ. وننتقل بعد ذلك لنتحدث عن نشاطها السياسي الذي بدأ في عهد زوجها الملك (احمد المكرم) ، وفي سنة ٤٧٧ هـ. بعد وفاته لاقت وحدها عبء هذه المسئولية الجسيمة واصبحت بتفويض الخليفة الفاطمي الامام المستنصر بالله تتصرف في امور الدولة والدعوة في اليمن والهند وعمان فلاقت بسبب هذه المسئولية مصاعب كثيرة كادت تزعزع اركان الدعوة الصليحية في اليمن ولولا ما جبلت عليه من معرفة وتدبير وحسن تصريف الامور واختيار للرجال لعصفت تيارات الفتن في دولتها وانهارت امام الخلافات الداخلية الخطيرة (١٤) .

وقد قال ادريس عماد الدين صاحب عيون الاخبار : ان (احمد المكرم) عندما توفي كتمت (الملكة الحرة) الامر حتى جاءها سجل الخليفة الفاطمي الامام المستنصر بالله باقامة ولدها الاصغر (عبد المستنصر) (علي بن احمد المكرم) (١٥) وقد امر الخليفة الفاطمي الامام المستنصر بالله ان ترسل جميع المراسلات باسم (عبد المستنصر) وكلفه بالقيام بمرافق الدعوة وامور الدولة (١٦) ولم يكتف الخليفة الفاطمي الامام المستنصر بالله بذلك بل سير (الامير ابا الحسن جوهر المستنصري) مع السجل وكلفه بان يقوم بتعزية الملك (علي بن احمد المكرم) في والده وان يشد ازره ويظهره بالتشريف على رؤوس الاشهاد ليلتف حوله المؤمنون ويجدع انف المخالفين وتجتمع كلمة الامة تحت لوائه وتنقمع نار الفتنة .

وهذه الموآزرة (للملكة الحرة) وابنها (علي بن المكرم) كانت من العوامل التي ساعدت على جمع كلمة اهل الدعوة حولها وحرضت جميع المسلمين على وجوب طاعتها ومن جهة اخرى سببا في ان تخلى (الامير سبأ) عن المطالبة بحقه بالملك وقد تمكنت (الملكة الحرة) بحسن سياستها وتقديرها الصحيح لعواقب الامور من ان تقضي على هذه الفكرة فجعلت (الامير سبأ) نائبا عن ولدها وحاميا لذمار دولته من المعتدين وقد ابلى في ذلك بلاء حسنا وخاصة في حروبه مع (جياش بن نجاح) .

ومهما يكن من امر ففي عهد الملك (علي بن المكرم) قام نزاع بين الصليحيين والزواحيين وكان هؤلاء حماة الدولة الصليحية ولحمتها فشغل ذلك النزاع (الملكة الحرة) حقبة من الزمن لان المخالفين انتهزوا هذه الفرصة ووجدوا في هذا النزاع وسيلة لدك صرح الدولة الصليحية مما دعا (الملكة الحرة) الى ان تعرض الامر على الخليفة الفاطمي الامام المستنصر بالله الذي اسرع في رده وكلف (الملكة الحرة) بوجوب العناية لفض هذا النزاع ، وفي سنة ٤٨٠هـ ارسل سجلا الى الصليحيين والزواحيين يحثهم فيه على تناسي الاحقاد ويأمرهم بوجوب طاعة (الملكة الحرة) وابنه (الملك علي بن المكرم) والتعاضد في نصرة الدعوة ويعتبر هذا السجل شهادة هامة على اعتراف الخليفة الفاطمي الامام المستنصر بالله بفضل الدولة الصليحية على الدعوة الفاطمية كما يعتبر من اهم العوامل التي ساعدت على تثبيت مركز الدولة في الصدر الاول من حكم (الملكة الحرة).

وقد كان من اثر ارسال هذا السجل ان انتظمت الامور واذعن المؤمنون هناك لاوامر الخليفة الفاطمي الامام المستنصر ودانوا بالطاعة (للملكة الحرة) . وتشاء الظروف ان لا يستمر الصفاء مخيما فترة طويلة في تلك الربوع ، فقد توفي ابن الملكة الاصغر (محمد بن احمد المكرم) ثم أعقبه اخيه (علي بن احمد المكرم) فقام عندئذ (سبأ) يطالب بحقه في تولي امور الدولة والدعوة ولكن (الملكة الحرة) لم تمكنه بل ابدت جميع المعاكسات في ذلك (١٧) عندئذ طلب (سبأ) يدها

---

(١١) عيون الاخبار جزء ٧ صفحة ١٢٢ . (١٢) عيون الاخبار ـ ادريس عماد الدين جزء ٧ صفحة ١٣١ . (١٣) عمارة اليمني ـ كاي ٢٩ . (١٤) عمارة اليمني ـ كاي ٣١ كفاية ٥٢ . (١٥) عيون الاخبار ـ ادريس عماد الدين صفحة ١٢٦ ـ ١٣٠ . (١٦) السجلات المستنصرية رقم ١٤ . (١٧) عيون

للزواج معتقدا انها أحسن وسيلة لتحقيق غرضه ، ولما رفضت ذلك جمع جموعه وسار من حصن (اشيح) بجيشه الى (ذي جبلة) لا لمحاربة (الملكة الحرة) ولكن لاظهار قوته وسؤدده ، فجمعت هي ايضا جموعها وكادت رحى الحرب تدور بينهما لولا ان جاء (سليمان بن عامر بن سليمان الزواحي) اخو (الملكة الحرة) لامها فانقذ الموقف بان اشارعلى (سبأ) انيتصل بالخليفة الفاطمي الامام المستنصر بالله ليستعين به في فض النزاع .

وعندما وصل رسولا (سبأ) وهما (القاضي الحسين بن اسماعيل الاصبهاني) (وابو عبدالله الطيب) الى امام الخليفة الفاطمي الامام المستنصر بالله اظهر لهما رغبته في استتباب الامن في اليمن وفي اقرار الوحدة بين انصار الدعوة الصليحية والدعوة الفاطمية فأمر ان يعقد لسبأ على السيدة الحرة وارسل بذلك سجلا مع الرسولين وحينما رجعا الى اليمن عملا على ملاطفتها وخطب ودها حتى اجابتهما الى رغبة الامام المستنصر بالله(١٨) فعقدوا عقد الزواج ولم يلبث (سبأ) ان سار في امم عظيمة الى (ذي جبلة) فأقام فيها شهرا والضيافات والافراح قائمة ، وبعد ان تم هذا الزواج ظل (سبأ) قائما في الدعوة والملك وكان فاضلا عاقلا ورعا تقيا زاهدا ويقول عمارة اليمني : (ان الداعي (سبأ بن احمد) ما وطأ امة قط ولا شرب مسكرا وفوق هذا كان كريم الاخلاق طيب الاسباب والاعراق) ، وقد مدحه (الحسين بن علي القم) بغر قصائده ومنها :

انضامك الدهر فاستعصم(باشيح)او ... اذرى بك القطر فاستمطربنان سبا ،
ما جاءه طالب يبغي مواهبه ... الا وازمع منه فقره هربا

وقال ايضا :

معاليك لا ما شيدته الاوائل ... ومجدك لا ما قاله فيك قائل
وما المجد الا حيث يممت قاصدا ... وما النصر الا حيث تنزل نازل

وقد ظل (سبأ) في حصن (اشيح) يقدم المساعدات الى (الملكة الحرة) في كل ما يعوذ على الدولة الفاطمية بالخير حتى وافته المنية سنةاحدى وتسعين واربع مائة(١٩) وتوفي بعده (عامر بن سليمان الزواحي) سنة ٤٩٢ ، ولما مات (سبأ) خرجت صنعاء عن مملكة الصليحيين الفاطمية وارتفعت ايديهم عنها ولم يبق لاحد منهم فيها ذكر ، فعملت (السيدة الحرة) على تدعيم ما بقي من الملكة ورضيت بالامر الواقع وبدأ جهادها من جديد لتثبيت اركان الدولة الجديدة وقد وقعت بعد ذلك حروب وتقلبات وامور ذات بال كانت تحلها وتقف منها موقف المراة العاقلة التي تعرف أن تسوس الدول وان تفعل العجائب في الحفاظ على دولتها وبعثها من جديد بعثا صالحا .

مآثرها :

اذا كانت الدول الناهضة في العصر الحاضر تعمل جاهدة في سبيل تنمية اقتصادياتها بشتى الوسائل لاسعاد شعوبها وتوفير الرخاء لهم فان السيدة الحرة قد سبقت الحكومات المتحضرة المعاصرة باهتمامها لتنمية الاقتصاديات التي تعهدتها فقد اهتمت برعي المواشي وتحسين النسل لكي توفر للشعب بمختلف طبقاته اللحوم والالبان بل توفر القوة والغذاء وقد اثر عنها انها وقفت اراضي واسعة في نواحي (جبلة) وحقل (قتاب) تصرف غلاتها على شراء البقر كما وقفت اراضي كثيرة ثمينة خصبة لرعي المواشي وهذه الاوقاف لا تزال موجودة الى الان ومعروفة باسم (صلبة السيدة) وقد استعانت بالمستشارين من الدول الاخرى لتنمية ولاظهار الخبرة بجميع المرافق الاقتصادية والزراعية ، وعرفت (الملكة الحرة) ان التجارة تعتبر مرفقا هاما من مرافق الاقتصاد وان هذا المرفق يعتمد على المواصلات التي تعتبر الدعامة الاولى لتسهيل نقل المتاجر فعبدت الطريق من رأس (جبل سماره) الى (السياني) على مسافة ثلاثة مراحل ويعتبر هذا من الطرق الاولى للزراعة المهدة في اليمن ومن افيدها الى الان وقد اولت عنايتها ايضا لحركة التعمير والبناء التي تعتبر الدعامة القوية للاستقرار فانشأت المدارس والمصالح العامة المتعددة وبنت المساجدفهي التيوسعت مسجدصنعاء وصححت عمارته وزينته وبنت مسجد (الغربة) في بلاد (يريم) ودفنت في جامع (ذي جبلة) بمنزل متصل فيه وكانت هي التي تولت عمارته وهيأت موضع قبرها فيه ، وقد رثاها كثير من الشعراء ومنهم القاضي (حسين بن عمران بن الفضل اليامي) فقال :

وقفت على قبر الوحيدة وقفة ... وقد زين منها مسجد وستور
فقبلته واستفت ريا ترابه ... وعاود قلبي رنة وزفير

ومنها :

خلاالقصر في (ذي جبلة) منمكارم ... يحن اليها بائس وفقير
ومن جود بحر بالعطايا نواله ... على مقنعيه عسجد وحرير

ورثاها ايضا القاضي (محمد بن احمد بن عمران اليامي) فقال :

نات ربة القصر الشريف عن القصر ... فايأس راجي النصر فيه عن النصر
سخطت على اهل الزمان لفعلهم ... حقيقون اهل العصر يا ربة العصر

ورثاها (الخطاب بن الحسن بن ابي الحفاظ الحجوري) فقال :

عليك سلام الله والصلوات ... ورحمته ما شاء والبركات
وكافاك عنا بالذي لك عندنا ... اله لديه تضعف الحسنات

ومنها :

أمولاتنا يا من بباهر نورها ... تجلين عن ابصارنا الظلمات
اجلك عن موت بروحك نازل ... وانت لارواح الانام حياة

الخلاصة :

ان ذكريات [اروى الصليحي ــ سيدتنا الحرة ــ ملكة اليمن] ستبقى خالدة في قلوب الاسماعيلية عامة واليمنيين خاصة مدى الدهر كما بقيت الى يومنا هذا مآثرها واعمالها الجليلة التي تنطق بعظمتها وتدل على مآثرها ، ومما لا شك فيه انها وحيدة كل زمان وسيدة العرب وبلقيس اليمن الصغرى ...

سلمية ــ سوريا

عارف تامر

(١٨) عيون الاخبار ــ ادريس عماد الدين جزء ٧ صفحة ١٤١ . (١٩) عيون الاخبار ــ ادريس عماد الدين جزء ٧ صفحة ١٤٣ــ١٤٤ . عيون الاخبار ــ ادريس عماد الدين جزء ٧ صفحة ١٤٣ .

قصة سورية

٣٠ كانون الثاني

بقلم اسكندر لوقا

*

كل الاشياء حولي كانت تبدو بوضوح: جدران الحجرة. خزانة الثياب. مرآة الزينة. حقيبة سفر كبيرة. سجادة هامدة على الارض. مكتب. كرسي. ثمة مجموعة من الكتب المنوعة. ومن ثم مصباح صغير معلق فوق راسي، يزفر ضوءه الاخضر الناعس، فيغمر به تلك الاشياء جميعا بتحنان، ويسبغ عليها مسحة من سحر الظلال...

كنت اذ ذاك مستلقيا على ظهري اتابع فصول قصة ممتعة مؤثرة لكاتب زنجي، بغية اقصاء اهتمامي عما كان يدور في حجرة اخرى مقابلة لحجرتي ولكن عبثا، اذ لم يجدني الكتاب نفعا ولا هدأت القراءة من روعي. كما اني لم اكن افهم من كلام المؤلف سوى القليل!

فلجأت اذ ذاك الى دقات الساعة اعدها «تك تك.. تك تك»، واتذكر قول الشاعر في الحياة:

دقات قلب المرء قائلة له

ان الحياة دقائق وثوان

ومن ثم انشأت اعيد تلاوة هذا البيت عشرات المرات في صوت خفيض وفي صوت مرتفع.. فلم يسعفني التكرار، ولا استطاع الشعراء اجمعين محو الرعشات التي كانت تنتظمني، كلما تساحب من تلك الحجرة نداء مؤلم معطوط.. وهمي في اذني..

لم تجدني، حقا، مراوغة نفسي. ولكن خيل الي بان الليل لن ينتهي ابدا. وبان عذابي سيطول بطوله. وبأن استسلامي لانواع الاحلام ما هو الا من ضروب العبث.. اذ لم اكن اقوى على مفارقة ما كان يجري هناك، في الحجرة المقابلة، التي تفصل بيني وبينها ردهة مؤثثة متواضعة الابعاد..

وكان لا بد من تكرار محاولات النوم. فان الميعاد لا يزال متأخرا. والساعة لم تحن، فانه لن يدخل الى حجرتي احد. على انني فشلت في محاولاتي جميعا. ولم يكن في حسباني الى ذلك الحين ان النوم اقوى مني! اذ كان عهدي به مطيعا رفيقا من قبل، فما باله يأنف الانصياع الي.. ويرفض دعوتي اياه؟ اتراه النداء المؤلم المعطوط الذي كان ينسكب في اذني في الفينة بعد الفينة يروع النوم فيخشاه؟ أم تراه تفكيري المشوش يأبى ان يرقد بسلام في ساعات الصباح الاولى؟

على ذلك رحت احاول تنظيم افكاري. فانشأت اتفرس اثاث الحجرة من جديد: سجادة. كتب. خزانة. حقيبة سفر كبيرة. المصباح الصغير الاخضر. (يجب ان اطفىء المصباح). انتزعت اصابعي من تحت الوسادة وضغطت بها على المفتاح، وما هي الا ان ابتلعت العتمة معالم الحدود والخطوط. فاذا انا في صحراء موحشة من ظلام، لا أكاد اعي الا وجودي في السرير، ومعي قصة الكاتب الزنجي المؤثرة..

وخيل الي — لفترة — اني ارى عمودا اسود من الدخان، وثمة لسانا اصفر طويلا من نار يرتفع بحذاء ذلك العمود، وقوما يتحلقون غير بعيد عن النار ذوي وجوه صارمة حادة. وكانت السماء سوداء والريح تهب في قوة. وثمة صوت جهوري يقول: «ضعوا مقدارا اضافيا من البنزين». وما لبث ان ندت اثر الصوت صيحات مؤلمة واحدة في اثر واحدة، وكل اشد حدة واقصر نفسا من سابقتها. واذا جسد طفل زنجي يلمع ويدور في الفضاء. ومن ثم شمل الصمت وشرعت النار تأكل في لحم بوبو الصغير.. احد شخوص القصة.

وغصت في فراشي الهث لهاثا منقطعا واستشعر قشعريرة. وما ادري كيف ضرفتني صيحات بوبو المسكين عن الصيحات الاخرى التي تناهت الى سمعي من الحجرة المقابلة التي تنام فيها زوجتي، ولا كيف خيل الي باني اسمع صيحات بوبو وليس صيحات ثمة انسان اخر واقرب الناس الي. فاستويت على الفور.. وسمحت للضوء الاخضر ان يتنفس بملء حريته. وما عتمت ان اصخت بسمعي التقط جلبة اقدام مسرعة تقطع الردهة صوب حجرتي. ومن ثم ارتسم خيال المراة المقبلة على الباب الزجاجي، واطل راسها علي، ونادى صوتها الخفيض:

— أانت يقظان؟

— اجل كذلك..

— الم تنم؟

وارتجف صوتي:

— هرب النوم من عيني. ولكن هل حان الوقت؟

— ان بوسعك ان تذهب..

وانتفض قلبي بشدة..

وعادت المراة الى حجرة زوجتي، في حين هبطت من على السرير، ورحت ارتدي ثيابي بسرعة مشوشة ومن ثم غادرت الدار.. وكانت المدينة لا تزال غارقة في سبات عميق..

واحسست — حينما اصبحت في الشارع — بموجة من برد تندلق في صدري وتهز عروقي واعصابي هزا في غير قليل من قسوة. فلقد كانت فتحة قميصي متباعدة من الامام والاعلى، وربطة عنقي غير موجودة في موضعها، وصدري كله

معرض للفحات الريح الشديدة الباردة ..

فاحطت عنقي بمحرمة كانت في جيبي ، ورفعت ياقة معطفي ، ومن ثم شرعت اركض مهرولا في الشوارع الفسيحة كي استطيع حفظ توازني في وجه الريح .. الريح التي كانت تهب بقوة ، من جميع اطرافي ، دفعة واحدة ، ثم تهدأ ، ثم لا تلبث ان تنشط من جديد بقوة مضاعفة — كفرقة قوقازية تؤدي رقصة شعبية من بلادها — فتتجاوب من جراء ذلك اصداء رهيبة ... وثمة جلبة واسعة تنتشر فوق سطوح المنازل ، فاحسب اني ، كتائه ، هائم على وجهي .. في دنيا فناء مهجورة ..

* * *

كان البيت الذي بلغته ، في شارع بعيد من شوارع المدينة ، غارقا في النوم . ولكنه يلتقي — مع البيوت المجاورة — حزما ضوئية تأتيه من مصابيح معلقة على الرصيف المقابل من الشارع ، مصابيح مغلفة بطبقات سميكة من ضباب الليل وبرد الشتاء . وكان ثمة فارق يميز البيت الذي بلغته عن زملائه من البيوت المجاورة : رقعة نحاسية صغيرة الابعاد ، ضيقة المساحة ، مثبتة على بابه الخشبي الواطيء قد نقش عليها بخط فارسي انيق (سيرانوش — قابلة قانونية) !

قرات اللوحة مرتين متواليتين قبل ان امد كفي لقرع الجرس خشية ان ارتكب — بدون تعمد — خطأ ما .

ورفعت قدمي اليسرى عن الارض قليلا ، ريثما يهدأ المها بسبب وقوعها على مسمار في جوف الحذاء ..

وريثما يلتمع ضوء ضئيل معلق فوق الباب اتاح لي قراءة اللوحة النحاسية مرة ثالثة ! في حين انتفض — من الداخل — حبل الباب .. وارتفع مزلاجه .. وصر صريرا مخنوقا ..

وامرتني القابلة بالدخول ..

فدفعت الباب بكلتا يدي . ودخلت . واتيح لي اذ ذاك أن ارى وجه القابلة ، وكان وجهها ساكنا كصفحة بحيرة لا يقربها النسيم ، وينم عن طمأنينة هدأت من روعي كثيرا . كما اتيح لي — في فترة الانتظار — ان اتمكن من تجديد عقدة المحرمة وراء رقبتي باحكام اكثر ، ومن ثم دس قطعة ضيقة من قماش كنت احملها في جيبي لتنظيف حذائي بها حين اللزوم ، بين المسمار ومشط قدمي اليسرى !

حتى اذا تهيأت القابلة للانصراف ، سالتني بلهجة صديقة :

— هل اتاها الطلق ؟

وكان لا مفر من الاجابة على قولها بكلمة نعم .. على الرغم من جهلي معنى الطلق ! اذ كنت زوجا لتسعة شهور وبضعة ايام ، واترقب قدوم ولدي الاول !

وعادت القابلة تسالني في الطريق :

— ومتى اتاها الطلق ؟

فاسقط في يدي ، وغشيني احساس لذيذ بوجوب الضحك ! ! بيد اني تمالكت نفسي ، وقلت لها وانا ابلع لقمة كبيرة من الهواء :

— قبل أن ابرح البيت .. ب .. بساعة !!!

واكتفت القابلة بهز راسها ورفع حقيبة ادواتها الى صدرها الصغير . وما هي الا ان اغذت في السير ، مقاومة — بعناد ملحوظ — تيارات الهواء . واحسب انها كانت تلقى مقاومة وعنادا اشد واعنف من تلك التيارات الجارفة ..

ووصلنا الى الدار ..

وما ادريه بعد ذلك ، ان مفتاح الباب لم يكد يتمرد — كعادته — حتى انزلق في شق « الغال » ، فتباعدت ضفتا الباب ، وغيبتني حجرتي .. وابتلعت الحجرة الثانية جملة من نساء كن قد تهيأن لاستقبال القابلة ، بتمتماتهن .. وهمهماتهن .. التي لم اع منها حرفا واحدا يمكن ان يرسل الى فؤادي بصيصا من امل ، مهما يكن مقداره ، يجعل حكم الله على المرأة في التوراة (بالاوجاع والالام تضعين اولادك) حكما قابلا للتعديل ، مع الجماعات الفقيرة الطيبة ..

واستقبلتني غرفتي صامتة كعهدي بها منذ ساعة . والاشياء كانت لا تزال هادئة مغمورة بالضوء الاخضر الذي بدا لي اشد بريقا واوضح لمعانا من قبل . خلا ستائر النافذة ، اذ كانت تبدو دائمة الحركة تنتاب جنباتها رعشات طفيفة في الحين بعد الحين ، بسبب تساحب هواء الشارع الى جوف الحجرة ..

واما قصة الكاتب الزنجي ، فلقد كانت تحتل موطيء رأسي على الوسادة ، ولكن ما عتمت أن افسحت لراسي مكانا بقربها ، اذ تجردت من ثيابي وغصت في الفراش ، محاولا الهرب من نداء زوجتي المطوط المتكرر وانينها المتواصل الحزين . وكنت قد صممت على ان احبس نفسي عن كل شيء في الوجود . ولكنني لم اقو على الصمود ، فهويت — في التجربة — كما يهوى أي رجل . وكان لا بد اذ ذاك من الاتيان بحركة ابدد بها سكوني بعد تخليص رأسي من تحت الوسادة !!

فاستويت في فراشي .. وحدجت الذباع الصغير الصامت على جانب السرير بعيني .. وحاولت ان ابدد الوقت بالبحث عن محطة عاملة ، فاذا صوت صغير يشق السكون . صوت صغير .. مرتفع .. حلو .. يعلو فجأة ثم يغيب !

وكان ذلك كافيا لان يجعلني أقفز من على السرير ، واتهيأ ، وقلب واجف ، لاستقبال النبأ الذي جعلني التهم كلام المرأة التي حملته الي بجوانحها :

— خلصت ..

— خلصت ؟

— جاءك صبي ..

— صبي ؟

— صبي ..

— صبي ؟

ولم يعد يفصلني عن الحجرة المقابلة ، ثمة ردهة .. او ابعاد .. او هواء ..

دمشق — اسكندر لوقا

صفير القطار

•

الصفير .. الصفير
موحش اسود
هو صوت القطار
صوته المجهد
طافر في الظلام
لحظاتٍ قصار
ويموت الضجيج
في الحقول الفساح
حيث يغفو الاريج

في انتظار الصباح
الصفير .. الصفير
مثقل بالانين
وارتعاش الحنين
لبعيد الديار
وجوى الاصطبار
يحمل الراحلين
في دمي يا صفير
كم معان تثير

غامضات المدى
رحلة وانطلاق
لمكان بعيد
لمكان جديد
الصفير .. الصفير
موحش أسود
هو صوت القطار
صوته المجهد

كمال نشأت

من رابطة النهر الخالد بالقاهرة

غيبوب

•

مرتمىً ...
همُّ الجمالْ منه...
نشوانُ المحالْ
ولهٌ ... والمنتهى
غيبٌ ...
يغنّيه انشغالْ
نغمٌ ابهى
نجيّاه ...
تعرٌ وانفعالْ
وتمنٍ
والغواء الحبُ
أشجاه ابتهالْ

الاغانيُ جنونٌ
هبٌ
مرنومَ السؤالْ
ألهياتٌ ...
فوحها الابعاد ...
يغواها الخيالْ
وانوجاع اللحن
هاوٍ ...
حيرةَ الحب احتمالْ

★

يرتخي
والسعد سكران ..

وأوهام الوصالْ
متعبُ الصوبِ ..
وآه الوجد
توّاق النوالْ
وجع اللامنتهى
غيّا
وبالتيه انحلالْ
حلْماً ...
أطروبة الارحابِ ...
فلتاتِ الدلالْ

جورج رجي

نبضات

بقلم جهان غزاوي عوني

هذا اليوم منذ سنوات خمس ، التقينا ••• وكنا على مفترق طرق متشعبة، وجهتي مثلي العليا التي كنت أنشد منذ صغري ، ووجهتك ••• حياة رتيبة ، اختارها لك اهلك ليقروا بك عينا ، ويستظلوا فيأك ، بعد أن يئسوا من استظلالك وفي كنفك امرأة اخطأوا هم ، أو أنت ، أو القدر ، في جعلها زوجة لك • لم يقدر لها الهناء معك يوما •

وتطلعت الي ، وقد طالما فعلت من قبل ••• وفي عينيك لوعة المحب ، وعلى فمك عتاب يائس ، ولما فتحت شفتيك لتقول كلمة قبل الرحيل ، الرحيل الذي ليس بعده رجوع ••• اطبقت انا باناملي عليهما علي لا اسمع ما قد ينغص علي عيشي ، ويكبت ضميري ما حييت •

ولكن ، ولكن عينيك السخيتين ، اللتين اخذتا تمتلئان بفيض من الدموع ، قالتا لي اشياء كثيرة ، عجز بيانك عن شرحها •

وعرفت في الحال ان الاخلاص لا ينمق ، وانما هو فيض القلب يحاول القلب عبثا كتمانه •••

ولم انتظر ما يجب ان تقول ساعتئذ ، أو ما تحب كبريائي أن تقول ، فاحتويت وجهك بين يدي ، وتطلعت كثيرا ، وبتفكير عميق الى العينين المتسائلتين ، الشفوقتين المبتهلتين •

وكالسراب الخاطف ، ومضت مثلي واضمحلت تاركة وراءها خطا من النور طويلا ، ما لبث ان امحى ، وكأنما تلك المثل لم تكن يوما محرابي الذي اتجهت اليه وحده ، منذ ان فهمت ما هي الحياة •

ايه ايتها الاحلام الخضر ، التي طالما اخذتني روعتك ورمتني على ذراعيك لتهدهدني ، في طفولتي ، وفتوتي وشبابي

أيها الاشعاع اللطيف ، يا من كنت لي هاديا في مهمه الظلمات ، وراعيا في الملمات

ايتها الموسيقى ذات الالحان الدافقة الدافئة ، التي كثيرا ما شنفت اذني بقدسية انغامك ، وفتنة ابتكاراتك

وداعا الى غير ما عودة ، لاني انكرت نفسي ونذرتها لسواي ،

وهكذا رجعت اليك لالتقيك من جديد ، ولكن لم اقل شيئا ، لان فمي كان ملآنا ، « وهل يستطيع التكلم من كان في فمه ماء » ؟ !

ولكنك كنت كريما فلم تسألني شيئا ، وكنت تعلم اشياء ••• ولم تستوضح امرا لا نه كان يكفيك ان تصل اسباب مستقبلك بمستقبلي ، لقد كان يكفيك ان تحصل على قلبي ، لتسجد له خاشعا متبتلا ، وتحفى به حانيا مسبحا ،

وأخيرا ••• قلت لك لكي لا اموه عليك شيئا : ان حبي سيكلفك كثيرا

فقلت لي : وما هو فضل الحب ان لم يكن كذلك ،

وقلت لنفسي : هل اقدر حقا ان اسعده ؟ !

لم تكن ذا مال ، ولم تكن ذا مجد ، ولم تكن عبقريا عظيما ••• وانما كنت تلك النغمة الحلوة المراح التي لا تملها الاذان ، ولا تشيخ في مسامع الزمن

وكنت تلك الجدة التي تدأب ابدا على الخلق والابداع ! فما يحس المرء معها فناء ولا وصبا ، وكنت ذلك المحب الذي لا يألو جهدا في بذل النفس والنفيس لاكون سعيدة قريرة النفس •••

لقد موهت نظرتي القاتمة الى الحياة بوشي من اناملك ذهبي اللون دقيق الصنعة ، حتى طمست طيبتك غروري

ولقد ذللت كل عقبة في سبيل بلوغي امالي ، الكبار منها والتافهة حتى لم يعد لي في الحياة من امنية الاك وحدك

ولقد روض تسامحك انوثتي حتى غدوت سهلة التصرف الا فيما يمس كرامتي او يشينها

وغدا ••• عندما يلقي الزمن ــ زمن مروري الخاطف في هذه الدنيا ــ ما على كاهله من سقط القول ليدفن الباقي في سجل الحياة ••• سوف يحتفظ بهذه النفحات الساذجة ، ذلك لانها اغاني فيك ولك ، ولانها متفجرة من وجدان طالما هزأ بحب البشر المادي

ولو شاء احد ما ان يسألني ماذا احب ان اغدو فيما لو عدت الى مستهل نشأتي ؟ لاجبت على الفور : بأني اريد ان اكون محبوبة من رجل مثلك لا يفرق عنك في قليل او كثير •

أنت يا من الوذ بك واحتمي ، انا التي اتعبت مسامع الناس في امكانية استغناء المرأة عن الرجل ••• هل تراني وفيت حقك علي ؟ •••

[زوجة]

لحن

لسامي مكارم

الجامعة الامريكية بيروت

عزف الجمال·
لحناً من الحب البريء
من قلبكِ الناقي البريء
فاذا الدلال·
نغم" على ثغر المدى
متجاوب الآهات ، محموم الصدى
واذا المنى
تتجسد البشرى فتنصهر الدنى
حلماً كما شاء الهنا
طيباً على درب الخيال·
شعراً يُحَس ولا يقال·
واذا بنا ...

الى شاعرة

الى التي دست في حقيبة حظي املا لا تزال تحبو

جذفي ، جذفي .. يا نوار ...
انشدي الشراع الابيض ، ان فيه من رائحة يدي جدتي ما يشذي الى السفح ، حيث البركات ، والخيرات.
جذفي يا نوار
غنيني ، ان في اغنياتك ما يطفىء غلة ، ويجبر خاطرا ، ويبل ريقا .
لا تزمي فمك يا حلوتي ! اطلقيها اغرودة تشمل نفس الشعراء ، تؤنس من غربتهم .
يبس العود في السفح يا حبيبتي ، وذبل البنفسج ، ودقت اعناق الشحارير ، ولف الجدب مسارب الجداول ومساكب الجوري
تخت عظام « النول » واكل الصدأ جرس الكنيسة في الحارة الشرقية .

وكأنما .. بحت حناجر الرعيان ، وتناثر القصب الجريح بين ايديهم .
غربة .. غربة في السفح ، وحرام عليك ان تزيدنا غربة على غربة ..
لا ... لا جذفي يا نوار . ان في تثاؤب الموج من الرتابة ما يوحش .
في السفح يا حلوتي .. بيتنا ، بيتنا المخروب ، وكرمنا والسنديانة العجوز ، ومرابع الصبا .
وهبطنا السفح ، وخلفنا تثني الماء ، وغربة السرحة على وجهه . ولكن .. لم تؤنس الوحشة ، ولم تضمنا هنيهة مكوكبة وبقينا : غربة .. في غربة .

جميل نمور

بقلم جون هرمن راندل

الحركة الرومانطيكية تقف في وجه عصر العقل

ترجمة الدكتور جورج طعمة

التأكيد على الشخصية الفردية وعلى التعبير عن ذاتها



هذه الحرية الكاملة (١) الممنوحة للفرد في أن يجد ايمانه حيث يشاء كانت تعني بالطبع ان خلق الفرد وشخصيته قد اصبحا هما العامل الحاسم الاهم . فبدل اهمال القرن الثامن عشر لكل ما هو غير عمومي في الطبيعة البشرية ، أخذ الرومانطيكيون يؤكدون الفردية وبشخصية اكثر من اي شيء آخر . وكان المثل الاعلى للانسان في نظرهم ليس في انتشار المعرفة العقلية والعلم بل في نمو الامكانيات الفذة في كل انسان نموا كاملا . وقد رأينا كيف بنى روسو منهاجه التربوي حول مثل أعلى من هذا القبيل ، وتبنى هذا المثل الاعلى كل من بازدوف Basedow وبستالوزي Pestalozzi وفروبيل Froebel ، من الالمان ، كما جاء به هوراس مان Horace Mann الى الولايات المتحدة . وصار المفكرون والشعراء الالمان غوته وفيختة وشليكل وكذلك كوليريدج وكارليل في انكلترا وامرسون في امريكا ينادون بان الغاية الكلية للحياة والثقافة هي نمو الحرية والفردية ومقدرة التعبير عن الذات « كن ذاتك نم شخصيتك : أطلع أقصى ما تستطيع الاطلاع على جميع التراث المؤلف من افضل ما جال في الذهن وتردد على اللسان في الماضي ، واحرص أشد الحرص على الوصول الى أغنى الخبرات واكثرها تنوعا مع اخوانك من البشر ، بهذه الطريقة وحدها تستطيع ان تنمو وتصبح شخصية نبيلة حقا » . وقد فسر بعض الشعراء والفنانين هذه النصيحة بما يلي : « اذا لزم الامر حطم جميع قوانين الاله والبشر لكي تعبر عن ذاتك » . ولكننا نرى بصورة عامة ، ان هذا الاهمال للقانون والعرف ، وهذه الثقة التامة ببصيرة الانسان وغرائزه ، قد بررا نفسهما فيما عاشه الكثير من حياة غنية ونبيلة وساحرة كل السحر . فبالرغم من ان احدا من الزعماء الحقيقيين لم يذهب في هذه النزعة الى حد الدعوة الى عدم الاكتراث بالغير ، وبالرغم من ان معظمهم رأى في العناية بشخصيات الاخرين وخدمتها اداة هامة لنموه الشخصي ، لا جدال في ان تأكيد الرومانطيكيين الملحوظ على الفردية قد كان بمثابة حافز قوي وتبرير محترم للمذهب الفردي الاقتصادي الذي كان يبني نظام المعمل والراسمالية الحديثة عندما دعا رجال مثل جوته Gœthe وايمرسون Emerson الى الاعتماد على النفس ، لم يكونوا يفكرون قط بانتاج رجل الاعمال العصامي و «ملك الصناعة» Captain of industry وهي عبارة تنسب الى كارليل عابد الابطال — ولكن تاثيرهم اخذ سبيله الى مجار منحرفة حتى اننا في ايامنا هذه نرى مجلاتنا تفيض بدعوات مثل : نم شخصيتك — اربح ٥٠٠٠ دولار في السنة — وهي سخرية مرة من المثل الاعلى الرومانطيكي .

ها هنا ايضا نستطيع ان نجد افضل شاهد على غنى الحركة الرومانطيكية وقوتها وضعفها عند غوته ، الذي حاول ان يضمن انتاجه الضخم كل نزعة فرعية من نزعات هذه الحركة . ان تحويره لاسطورة فاوست القديمة هو نوع من الشوق الطويل العارم الى ما في الحياة من غنى وامتلاء ، سكب فيه عاطفته الشابة وطموحه الفني وحكمته الناضجة ، وجماع خبرته الخاصة المتنوعة . فيه نجد فاوست التلميذ المتعب ، وقد أدرك تفاهة كل العلوم ، ورأى سني كدحه وكده تمضي من دون ان تخلف له سوى العلم الجاف . فيلتفت نافرا الى السحر عساه يجد نفسه وجها لوجه امام الحقيقة في الكون المتطور Macrocosm زبدة الحكمة كلها ، لكنه بعد ان يفعل ذلك يشعر ايضا ما شعر به الرومانطيكيون عندما نبذوا علوم القرن الثامن عشر ، في انه حتى العلم الكامل ، وحتى الحقيقة الكاملة لا تكفيان . فهو انما يتشوق الى الحياة لا الى صورة الحياة . ولن يكفيه شيء سوى الخبرة مجموع الخبرة البشرية . ولكنه عندما يتضرع الى روح الارض ويرى تلك الرؤيا المعربدة — رؤيا الحياة كلها مبسوطة امامه ، نراه يخنع ، فالحياة لا تمنح باكملها دفعة واحدة لاي انسان فان يستمتع بها . ومثل هذه الخبرة العامة خليقة بان تحل عرى أية شخصية من الشخصيات . فكان لا بد لفاوست ان يقنع بالاكتساب الطويل الشاق لتلك الخبرات التي يستطيع أن يتمثلها . لذلك يناشد ميفيستوفيليس ، روح ذلك النمو الذي لا بد ان يحوي في طياته تهديم القديم وتبني الجديد أي — بكلمة واحدة ، الخبرة في الشكل الوحيد الذي يمكن ان يظهر للانسان .

(١) هذا البحث فصل من الجزء الثاني المعد للطبع من كتاب « تكوين العقل الحديث » تأليف جون هرمن راندل ترجمة الدكتور جورج طعمة . وقد صدر الجزء الاول منه اخيرا طبع دار المعارف بمصر ونشر دار الثقافة ببيروت .

* راجع عددي يوليو صفحة ٥ واغسطس صفحة ٣ من الاديب

فيؤكد هذا الاخير لفاوست اعتقاده بأن :

كل العلوم ، يا صديقي ، مقفرة جدباء
وشجرة الحياة وحدها هي الخضراء

فيتوق فاوست الى الحياة بمشقاتهـا وحسراتها ، بأتراحها وافراحها ، ويأمل ان يمنحه ميفيستوفيليس النمو والتقدم بواسطة الحياة . فينطلق الاثنان الى العالم ليعيشا وسط الحوادث المختلفة التي قد تقع للانسان من فرح وحب واثم وندم وقوة وغنى وجمال ومجد سالف يبعث في الحاضر ، وفعالية فنية . وفي النهاية يجـد فاوست الرضا في العمل بلا هوادة من اجل ما يعتقد انه ينفـع الاخرين ، وفي تلك اللحظة تنتهي حياته ويتعلم درسه . ولكن ليس هنالك نهاية حقيقية ، بل لا يمكن ان توجد مثل هذه النهاية ، لان النمو بالنسبة للشخص الذي نجا حقـا قد ينقطع غير انه لا يتوقف مطلقا . ومهما تكن السماوات التي يذهب اليها فاوست ، فانه سيمضي في الاستعانـة بالملائكة على انماء شخصيته وفي تـذوق مسرات المدينة السماوية وآثامها :

واليك كلمة الحكمة الاخيرة :
ليس جديرا بالحياة والحريـة
غير الذي يقتحم الحياة كل يوم

انه ذلك المرء الذي يكافح ويضل ومع ذلك يجـد خلاصه في كفاحه وضلاله . ويرتل الملائكة الذين يحملون روح فاوست الى ميادين مسعاه الجديد :

الذي لا يتعبه الكفـاح المتصـل
نحن قادرون على انقاذه

تفسير الطبيعة تفسيرا شخصيا

لكن الرومانطيكيين لم يكتفوا بجعل الشخصية مفتاح الحياة البشرية ، بل خلعوا كفاحها ونموها على الطبيعة ايضا ورأوا العالم المستنير وراء الفيزياء الميكانيكية وكأنـه في قراراته عملية تحقيق لمثل عليا . وحاولوا بشتى الطرق تعليل الكون تعليلا شخصيا لشعورهم بان الارادة والطموح، وهما أعمق ما في الخبرة البشرية ، لا بد ان يكونا مجانسين للقوى الاساسية في الطبيعة . هذا المذهب المبني علـى الايمان يدعى المذهب المثالي Idealism وعقيدته الاساسية هي ان خبرات القلب والنفس ، عندما نحب ان نتوغل الى أبعد مما في وسع العلم ان يمضي ، لهي رائد اكثر امانا من العقل الذي لا يستطيع ان يجد سوى نظام ميكانيكي . ولما كان الايمان شيئا فرديا من هذا القبيل ، ولما كان أعمق ما في الروح البشرية لا يمكن تحديده تحديدا موضوعيا ، فان اتباع المذهب المثالي بطبيعة الحال قد اختلفوا فيما بينهم حول ما ينبغي ان يتخذ من قلب الانسان مفتاحا لحل لغز الحقيقة في العالم . ففي نظر «كانت» كان الشعور بالواجب الاخلاقي اساسيا ، ورأى العالم الواقع بعيدا عن متناول العلم ، كنظام اخلاقي شامل في جوهره . اما فخته ، احد أتباعه ، فلم يكن الواجب بل السعي المتصل نحو الكمـال هو الذي يقلق روحه ، ولذلك كان العالم في نظره معركة اخلاقية كبيرة بين قوى الخير وقوى الشر ، معركة تضع فيها الارادة العظمى امام الافراد الذين لا يزيدون عن كونهم أعضاء فيها ، عوائق يؤدي تغلبهم عليها الى ارتقاء درجات متسامية باستمرار . ورأى الشعراء العالم فعالية للخيال الخلاق ، ورآه المتدينون الهـا يخاطب البشر ، ورآه العلمـاء الرومانطيكيون عقلا اسمى من البشر ينشر ذاته في الزمان والمكان . وقد بدا لفخته ، الذي تباهى بالمعركة الخيرة ، كان العالم ارادة كتب لها ان تواصل السعي حتى تحرز النصر . اما شوبنهور Schopenhawer الذي كان يشعر بعقم الطموح البشري عقما يدعو الى الكآبة ، ذلك الطموح الذي لا يستقر ولا يرضى ، ناشدا باستمرار ما يعوزه ، فبدا له العالم ارادة خرساء بلا هدف ، لا ينجم عن تسكعها القلق سوى الالم والاسى والاسف وحدها . هذه الرؤى الخيالية البعيـدة المدى عما يمكن ان تعنيه الحياة للذين يحيونها ستبقى اشبه بالنصب التذكارية الخالدة لاولئك الذين راوها ، ويكـاد يكون من العسير الحكم عليها بمقاييس الحقيقة العقليـة الحرفية — تلك المقاييس التي نبذها اصحاب هذه الرؤى بازدراء نبذا تاما . ومهما كان الرأي في هذه التصورات من حيث انها اوصاف حرفية للطبيعة كما هي في الحقيقة ، فيبقى صحيحا انها تأملات شعرية عميقة حول امكانيـات الخبرة البشرية . عندما قال فيخته : انه اذا اعتبر المـرء العالم مسرحا لواجبات الانسان الاخلاقية فان العالم يصبح بالنسبة له مكانا من هذا القبيل، عندما قال ذلك كان صادقا كصدقه حين قال : ان نوع العالم الذي يحيا فيه الانسان اي ما يعتبره ذا قيمة وجدارة يتوقف على اي صنف مـن الناس هو ذلك انه من الصحيح جدا ان يقال ان المصلـح يعيش في عالم من الصراع الاخلاقي ، وان الشاعر يحيا في عالم من الجمال الشعري ، وان العالم يحيا في عالم مـن الحقيقة العلمية . لكن الغلطة الوحيدة التي يرتكبها المذهب الرومانطيكي هي اعتقاده بان هذه العوالم التي صنعوهـا هي حقائق بالمعنى العلمي ، اما اذا اعتبرت كتفسيـرات للخبرة البشرية بالنسبة لاهميتها فلا يبقى جدال في صحتها.

وخلاصة القول ان المثالية الرومانطيكية هي شعـر وليست علما ، وان الشعراء هم الذين يعبرون عنها أفضل تعبير . ففي رأيهم ان العالم غريزة ذات روح تستجيب لنداء الانسان ، وان الطبيعة ليست آلة ميتة ، بل قوة حية فيها نقيم ونتحرك وننال كياننا . وهؤلاء الشعراء يجدون مع وردسورث Wordsworth الحكمة الصادقة في الاندماج بالطبيعة ، الحكمة التي تظل حكمة بشرية حقا . ان الحقيقة لا تكمن في العلم بل في رؤيا الشاعر :

نبضة من غابة خضراء
قد تنبئك عن الانسان
وعن الخير والشر
اكثر مما يستطيع ان ينبئك به جميع الحكماء
لذيذة المعرفة التي تمنحها الطبيعة
أما عقلنا المتطفل
فيشوه الاشكال الجميلة للاشياء
اننا نقتل لكي نُشرّح .

ان الكون يبدو الهيا حقا للذي يفتح له قلبه ونفسه بهذا الشكل في كل ناحية

تعلمت النظر
الى الطبيعة لا كما كنت انظر اليها يوم

كنت فتى غرا ، ذلك
انني بالاصغاء المتكرر
للموسيقى الحزينة الهادئة
موسيقى البشرية التي لا تخدش السمع
ولا تؤذيه مع ان لها قوة عظيمة ،
تجعلها تطهر الانفس وتخضعها ، وشعرت
بوجود يحركني بما يبعثه في من متع
الافكار النبيلة ــ انه شعور سام
لشيء ينساب في الاشياء انسيابا عميقا
فتجده في اضواء الشموس الغاربة
وفي البحر المستدير وفي النسيم الحي
والسماء الزرقاء ، وفي عقل الانسان .
انه حركة وروح يحرك كل
المخلوقات المفكرة وكل ما تجول به الافكار
ويتدفق في سائر الاشياء

مهما اختلف الرومانطيكيون في التعليل فقد اتفقوا جميعا في شعورهم بأن وراء الظواهر ارادة عظيمة او قوة او شخصية فوق الشخصية قد لا يكون من غير المناسب اطلاق اسم (الله) عليها ، واليها يمكن ان توجه المشاعر الدينية . ولكن الله كان في نظرهم كائنا مختلفا تماما عن الله في نظر اصحاب المذهب العقلي في القرن الثامن عشر . ففي نظر هؤلاء الاخيرين كان الله هو الخالق والصانع، المنفصل انفصالا مطلقا عن كونه . وقد يستطيع الانسان ان يتعرف على اعمال الله ، أما هو ذاته فمن المستحيل اقامة أي اتصال معه . غير ان هذا الاله الخارجي لم يعد موجودا بالنسبة للرومانطيكيين المثاليين : لان هؤلاء اخذوا يعتقدون ان العالم ليس آلة ، ولكنه حي ، وان الله ليس خالقه بمقدار ما هو روحه وحياته . وتؤلف جميع الاشياء جزءا من حياة الاله الشاملة هذه ، ولكن الانسان على الاخص ، يعتبر اسمي هذه الاشياء كلها تعبيرا عن هذه الحياة . هذه النظرية المدعوة نظرية « القرب » immanence اي كون الله مقيما في الاشياء ، تقرب نظرية «الحلول» pantheism مع فارق رئيسي بينهما هو ان هذه النظرية تفسر حياة الكون من خلال النفس الانسانية بينما تفسره نظرية الحلول بملاحظة مجرى الطبيعة . ولذلك كان امرا طبيعيا ان يحظى سبينوزا الذي طابق على هذا الفرار بين الله والطبيعة ، بشهرة كبيرة لدى الرومانطيكيين .. وقد جاء Herder في كتابه (محاورات حول الاله) ١٧٨٧ Dialogues on God ففسر من جديد دين سبينوزا العلمي ونقله من مصطلح العلم الديكارتي الى الشعر الرومانطيكي . ومن هذا الكتاب الصغير انساب تيار متزايد من الايمان بنظرية « القرب » القائلة بان الكون الهي ، وفي انفتاح المرء لكل تأثير من تأثيراته ، وفي الحياة المنسجمة معه ، وفي نمو المرء تبعا لنمو الكون ــ في كل ذلك تكمن معرفة الله وشعور المرء بانه جزء من روحه . على هذا الاساس وبزعامة من شلايرماخر Schleiermacher حول الناس الايمان الديني وردوا له سابق اعتباره ، ذلك الايمان الذي كاد عصر العلم ان يجعله من الامور المستحيلة بالنسبة للشخص الذكي . وبالايجاز فان الرومانطيكية هي الدين .

ان تفكير الانسان التقي ليس الا وعيا مباشرا من قبل الوجود العام لكل ما هو نهائي في اللانهائي ، لكل ما هو زمني في ما هو ازلي ومن خلال الازل . ان البحث عن هذا والتوصل اليه في كل ما يعيش ويتحرك ، في كل صيرورة وفي كل تبدل ، في كل عمل وكل عذاب ، وحتى في الشعور المباشر بان الانسان لا يحيا حياته ذاتها ولا يعرفها الا وجودا من هذا القبيل ، ان هذا هو الدين . فالدين ، اذن ، هو الحياة في الطبيعة اللانهائية للكل في الواحد ، والكل ، اي في اله ، وانها ادراك كل شيء وامتلاك كل شيء في الله وادراك الله في كل شيء ... ان المفهوم الشاسع الذي يعتبر الله كائنا فردا خارج العالم وخلف العالم ، ليس هو اول الدين واخره ، بل هو ليس سوى تعبير عنه باسلوب يقل فيه النقاء وتنعدم الملاءمة .

العلم الرومانطيكي عن الفرد

ان اكبر الرومانطيكيين ميلا الى جانب العقل لم ينقلوا تأكيدهم على الفردية الى تفسير الحياة البشرية والطبيعة بكليتها فحسب ، بل حاولوا ان ينشئوا نوعا جديدا من العلم في نفس الميدان الذي كان « كانت » قد تركه لسلطان الفيزياء غير المنازع . ذلك أنهم قد عادوا بطريقة من الطرق الى مفاهيم ارسطو والقرون الوسطى عن غاية المعرفة ، واصروا على القول بانه ينبغي حتى للعلم نفسه ، ليكون ملائما ، ان يصف الفرد على ضوء علاقاته بالمجموعات الاوسع التي يكون جزءا منها ، لا ان يقتصر على البحث عن القوانين العامة لسلوك مجموعة لا تحصى من الاشياء المفردة . ان هجل ، اقرب جميع الرومانطيكيين الى المذهب العقلي ، اذا صحت نسبته الى تلك المدرسة بالمعنى الدقيق ، جعل هذا المفهوم للمعرفة كثير الذيوع بين

الناس . ففي رأيه انه لكي نفهم ونفسر حقا أي شيء او حادث في العالم ، ينبغي فصله عن أي شيء اخر في الكون، واظهار مكانته الخاصة في المجموع العظيم للاشياء. وليست الصلة بسبب سابق هي التي تعطينا المعرفة الصحيحة ، بل الصلة بكامل عملية العالم العظيم . والفلسفة ، ارقى الحكمة ، تسعى اذن لتفسير الظواهر على ضوء اهميتها وغاياتها في الكل وقيمتها في خدمة مثل الكون الاعلى العظيم الذي يشغل كل شيء . فلكي نفهم كل ما يمكن ان يعرف عن أي شيء من الاشياء ، كالساعة مثلا ، يجب علينا حقا ان نفهم الطبيعة كلها ، بما فيها من الميكانيك والزمان والحركة وان نفهم كل ما يتعلق بالمجتمع البشري وبحياته خلال التاريخ لان الزمان والعناية بالزمان تلعب فيها دورا في غاية الاهمية . ولا شيء يوجد في ذاته وبذاته ، بل كجزء من عالم بأسره ، مؤلف من افراد يرتبط بعضهم بالبعض الاخر ، وكل شيء مدرج بالضرورة في هذا العالم ومتميز عنه . نستبين هذا المفهوم الى حد كاف في هذه الابيات :

ايتها الزهرة في شقوق الجدار !
ها انا اقطفك من بين الشقوق
وامسك بك ، جذرك وكلك
ها هنا في يدي
ايتها الزهرة ـ لو انني فهمت
ما أنت ، ما جذرك وما كل شيء فيك ، وما كلك ؛
اذن لعلمت ما الله وما الانسان .

هذا المفهوم عن علم الفرد قد دخل كثيرا بعدة اشكال الى غاية المعرفة هو والعلم النيوتوني الخاص بالعلاقات السببية .

الاهتمام بالتاريخ البشري والتقاليد البشرية

ان النزعة التي تحدثنا عنها وثيقة الصلة بموقف آخر من مواقف المذهب الرومانطيكي كان له ، أكثر من أي شيء في المذهب الرومانطيكي ، اعظم الاثر في القرن التاسع عشر . فاذا كانت الغاية من المعرفة تأليف الاشياء في كل أوسع ، واذا كانت الطبيعة حية ونامية ، واذا كانت المشاعر التي تربط الناس بالجماعات الكبيرة وبماضيهم هي اهم من العقل ، يصبح للتاريخ البشري والتقاليد البشرية أهمية حيوية جديدة . فلكي نفهم أية عقيدة أو أي مثل أعلى ، أو عادة ، او مؤسسة ، ينبغي ان نفحص نموها التدريجي منذ بوادرها الاولى حتى شكلها الحالي . وشخصية الفرد او طبعه ، وحضارة الامة هما نتاج نمو طويل ولا يجوز الحكم عليهما او تقويمهما الا على ضوء معرفة كاملة لماضيهما .

واذا كانت حياة الانسان نموا بطيئا الى هذا الحد فان الكون ، الذي تعتبر حياة الانسان اضمن مفتاح لفهمه ، لا بد أن يكون هو ايضا عملية من التطور . وللزمان والتاريخ أهمية سياسية . من خلال هذه النظرة ، تغير تغيرا تاما علم الطبيعة عن البشرية الذي عرفناه في القرن الثامن عشر . اذ نجد كل مفهوم من المفاهيم التي انبثقت من لوك ونيوتن يخلي السبيل الى مجموعة من المفاهيم مختلفة عنه ، فقد حلت الولادية والتاريخية محل الطريقة التحليلية والميكانيكية في الشؤون الانسانية اولا ، ومن ثم في كل فرع من العلوم الطبيعية ، وبعد ان كانت الرياضيات النموذج الحق للعلم ، وجدت نفسها اشبه بشذوذ لا معنى له . وصار مقياس كل مؤسسة او فكرة ليس حظها من المعقولية او النفع بل اصلها وتاريخها . واصبح المعقول هو التقليدي بعد ان كان النافع فيما مضى يعتبر هو المعقول .

وانشد شيللر : « التاريخ هو اخر محكمة للتمييز » Dieweltgschichte ist das weltgericht . اما هجل ، الذي بنى فلسفته كلها على هذا الافتراض فقد لخص هذه الـ dogma « كل ما هو معقول حقيقي ، وكل ما هو حقيقي معقول » مفسرا اياها بأنها العملية الكونية العظيمة التي يجري بها التطور الشامل .

ان المفهوم الرومانطيكي الذي يرى النمو والتوسع والتطور هي الامور الاساسية في الخبرة البشرية ومن ثم في الكون بأسره ، ارتضى بطبيعة الحال مفهوم المذهب العقلي عن التقدم progress كما يمثله كوندورسيه Condorcet في فرنسا وليسينج في المانيا . فهذان الاثنان دفعا معا الناس الى التأكيد على تبدل المؤسسات البشرية بلا انقطاع ، وعلى قيمة كل مرحلة ، وعلى ضرورة التبدل المستمر . وشجبا كلا من الهجمات الفجة على القديم والعداء المر للجديد واعتبرا ان التاريخ يفصح عن سير البشرية بخطوات ثابتة نحو احد الاحداث الالهية البعيدة . وقالا بان كل امة ، وكل دين ، وكل مؤسسة ، وكل جماعة ، هي في اساسها تجسيد لاحد المثل العليا الذي ينفتح طبقا لقوانينه الخاصة عبر الزمان . فواجب الانسان العاقل ان يدرس الماضي ليكتشف قوانين النمو تلك ، ثم يقوم بدوره في عملية التفتح المقبلة . وذاعت كثيرا فلسفات التاريخ التي تزعم الكشف عن هذه المثل العليا ذاتها وقوانين نموها . ونرى هردر في كتابه « فلسفة التاريخ لتربيةالبشر» ١٧٧٤ وفي كتابه « افكار لتاريخ الانسان » ١٧٨٤ قد اصطنع الاسلوب الذي صاغه هجل بمنتهى النظام .

ففي رأي هجل ان اهم شيء في الانسان نمو روحه او عملية التفكير التي تنطوي على عملية مستمرة من اعادة النظر وطرح القديم . واذن فالعالم ذاته ، والوجود باسره في قرارته عملية تفكير من هذا القبيل تماما . فالحقيقة العظمى في حياة الانسان وفي الطبيعة ليست هي العقل بمعنى كونه عضوا خاملا او جامدا لتصوير العالم ، او المنطق بمعنى كونه مجموعة منظمة من القوانين الثابتة ، بل الديالكتيك الذي هو عملية التفكير ذاتها . الوجود ، العالم ، جماع كل الاشياء ، المطلق ـ هذا في جوهره عملية عظيمة من الصيرورة . فالوجود يعني النمو الدائم ، النبذ الدائم لبعض ما في القديم ثم مزجه في قوالب جديدة . وكل مؤسسة عبارة عن سير الروح المطلق عبر الزمان لتحقيق ذاته وما الحياة الا كما بدت لفاوست بطل غوته ، فهي سعي متواصل لادراك هدف لا يدرك قط بينما يكمن معناها واهميتها في السعي ذاته ، وبناء على ذلك رغم ان التوقف عن النمو معناه الموت ، نجد في الحقيقة ان كل مرحلة من مراحل السعي نحو الهدف اللانهائي لها قيمتها ، وهي صالحة في مكانها الخاص بها . ففي رأي هجل ، كما في رأي ليبنز Leibniz وبوب يعتبر حقا كل ما هو موجود ، لكن هذا لا يعني سوى ان كل ما هو موجود هو لحظة لا بد منها للتقدم نحو شيء ابعد . وعلى الانسان ان يتحرى كل مؤسسة ، ويكتشف المثل الاعلى الخاص الذي تجسده ،

ويمضي بها قدما طبقا لقوانين نموها الضرورية . ولذلك كان التمرد على اي شيء من الاشياء هو ذروة الحمق والبعد عن الحكمة ، اما محاولة وقف سير التقدم والتطور والرضا بالمرحلة الحاضرة فهو ، كما في كتاب فاوست ، الموت بعينه .

ان تاريخ الكون هو معرض الروح Spirit في عملية استجلاء المعرفة عن الروح في امكانها . وكما ان البذرة تنطوي في ذاتها على طبيعة الشجرة كلها وعلى شكل ثمارها وطعمها ، كذلك نرى الملامح الاولى للروح مشتملة حقا على كل ذلك التاريخ ... وما تاريخ العالم سوى تقدم الوعي بالحرية . ونحن نصرح بأن مصير العالم الروحي والعلة النهائية للعالم باسره هو وعي الروح فيه لحريتها الخاصة مما ينجم عنه حتما كون تلك الحرية حقيقة ... اما كون تاريخ العالم مع جميع المشاهد التي تعرضها تواريخه هو هذه العملية من النمو ومن تحقيق الروح — فذلك هو التفسير الوحيد لقضية وجود الشر مع وجود الله ، انه تبرير وجود الله في التاريخ ، هذه النظرة العميقة هي وحدها القادرة على التوفيق بين الروح وتاريخ العالم — اعني ان ما قد حدث وما يحدث كل يوم لا يمكن ان يقال عنه ابدا بانه حدث « بدون الله » بل هو في جوهره من فعل الله .

بالرغم من قيمة هذا التأكيد على استمرار التقاليد ، بما يعطيه من معرفة افضل عن القوى التي تعمل فعلا في المجتمع ، من السهل ان نرى كيف انه امكن ان يصبح ، في ايدي المحافظين الذين صدمتهم روح التنوير التي اقحمتها المجالس الثورية ، اداة قوية للرجعية . فقد استغل لهذه الغاية في المانيا من قبل « المدرسة التاريخية » الوطنية التي ابتدأت بالفقه وحاولت ان تحمل الى كل الوان العمل الاجتماعي نوعا جديدا من حرية العمل laisser-faire نوعا ينادي بمنع اي تدخل من اي نوع كان، وكان الغرض منه هو الابقاء على الاشكال والمؤسسات القديمة . فالقانون والمجتمع لا يمكن ان يقادا بواسطة العقل بل يجب ان ينمو كل منهما من ذاته . واصبح سافيني Savigny هو الداعية النظري الرسمي لهذا التطبيق الجديد لمذهب النمو الرومانطيكي في مصلحة التقليد . وهو الذي كان يؤكد ان « كل قانون انما يولد من « قانون العادة » اذا جاز لنا ان نستعمل هذا المصطلح السائد غير الدقيق . أي انه في اول الامر ينشأ عن العادة والايمان السائد ، ثم عن الفقه ، وبذلك فانه ينشأ في كل مكان عن القوى الداخلية العاملة بصمت ولا ينشأ عن اعتباط الفقيه الشارع » .

اذا كان هذا صحيحا ، فلا يعمل أي عصر باسلوب اعتباطي واستقلال اناني ، بل يرتبط ارتباطا كليا بالماضي بروابط مشتركة لا يمكن ان تمحى . فعلى كل عصر اذن ان يعترف ببعض العناصر السابقة ، التي تكون ضرورية له وطوعية في الوقت ذاته ، ضرورية بمعنى انها لا تتوقف على ارادة الحاضر واعتباطه ، وطوعية بمعنى انها ليست مفروضة من جانب ارادة خارجة (كارادة السيد بالنسبة لعبيده) ، بل تأتي من طبيعة الامة التي تعتبر مجموعا واحدا يحيا ويحافظ على كيانه خلال مراحل نموه المتتابعة. وما الامة اليوم سوى عضو من هذه الامة الازلية فهي تريد وتعمل ضمن هذا المجموع ومع هذا المجموع . ولذلك يمكن القول ان كل ما يفرضه المجموع ينجزه العضو بحرية في الوقت ذاته .

هذا الايمان الرومانطيكي بالنمو التقليدي كان على العموم قوة محافظة ومعاكسة للثورة ولا سيما في المانيا ، ولكن افكاره الاساسية عن الاستمرار والتغير رافقتها وجهة نظر قدر لها ان تغير وجه الفكر ، لان هذه الافكار الاساسية كتب لها ان تكون مقولات علم التطور الجديد . ومن الرومانطيكية جاء الحافز الاعظم لدراسة الانسان والعالم من ناحية نموها الوراثي . وهذا هو الدين العظيم الذي يدين به العلم للمذهب اللاعقلي .

ان رد الفعل الرومانطيكي الذي بدأ مع حملة ١٧٩٤ كان يمثل ثورة التاريخ الذي أسيء اليه . فقد رأينا الامة تحصن قواها ضد الافكار الجديدة ببعث الافكار القديمة وجعلت من عصور الايمان والخيال مخبأ تتقي به عصر العقل . فبينما كان عصر النهضة الوثني بعثا اصطناعيا لعالم كان قد دفن منذ زمن بعيد ، نرى النهضة الرومانطيكية تحيي النظام الطبيعي وتعيد الصلات المقطوعة بين طرف وطرف . انها زرعت العطف على ما هو ماض وعلى ما لا يحب وعلى ما لا يمكن الدفاع عنه ، وبشكل خاص على عصر الاضواء والمشاهد التي تؤيد الملكات التي كان المغرمون بالحساب يستخفون بها . ان الكتاب الرومانطيكيين خففوا ضغط الحاجات الانية ، بالرجوع الى جميع الكنوز العظيمة التي ابدعتها الازمان السابقة ، فاخضعوا بذلك ارادة الاحياء وضميرهم لارادة الاموات وضميرهم . وكان اثرهم الباقي فوق ما يتناسب مع انتاجهم المباشر . كان ضعفهم ناتجا عن نشدانهم الدقة والاتقان دون ان يدركوا قط ان الثورة كانت هي ذاتها تاريخية لها جذورها التي يمكن ارجاعها الى العصور السابقة ، وكانت قوتهم في انهم استعادوا المعرفة المفقودة وجعلوا من الممكن ان يفهم المرء ويتذوق بل وان يعجب بالاشياء التي كان تفكير المذهب العقلي قد قضى عليها ووضعها في عداد الخطأ العقيم . انهم عبثوا بالخيال فترة من الزمن ، لكنهم ضاعفوا افق اوروبا ، فادخلوا الهند على قدم المساواة مع اليونان ، وادخلوا روما القرون الوسطى مع روما الكلاسيكية ، كما ان الافكار التي حركوها انتجت كتاب « كرويتزر في « الميثولوجيا المقارنة » Mythology Comparative وكتاب بوب في « التصاريف » Conjugations كما انتجت تحمس Grimm لحرية عباد Odin وعقيدتهم، واثمرت تحمس Otfried Muller لعامل العرق .

الحياة معناها ان ينمو المرء ويطعم اكثر فاكثر من كنوز العالم ، وان يعكس على الحياة البشرية ، اكثر فاكثر ، من الامكانيات غير المحدودة الكامنة في الطبيعة البشرية فيصبح بذلك اشد وعيا للروابط اللانهائية التي تربط جميع الناس بعضهم ببعض ، ولقوى الكون الذي يمثلون هم انبل مظهر من مظاهره — وبعبارة اخرى معنى الحياة ان يوجه المرء جميع قواه نحو خلق عالم اسمى وافضل واغنى ، نحو تحقيق الاله ذاته في الكون . ذلك كان خلاصة حكمة الرومانطيكيين وطموحهم . فلا عجب ان قال وردزورث : « انه لمن السعادة ان يكون الانسان حيا في ذلك الفجر ، اما ان يكون شابا فذلك عين السماء » .

جورج طعمة
الجامعة الامريكية ببيروت

مختارات للشاعرة كريستينا روزيتي

*

ترجمة
الانسة هبة الوادي

•

دمشق

الجمال الزائل

●

ما دامت الورود على ذلك الاحمرار
وما دامت الزنابق على ذلك البياض
أللمرأة أن تشيد بذكر وجهها
لانه ينفث ابتهاجا ؟ !

فهي ليست بعذوبة الوردة
والزنبقة أكثر استقامة منها
ولو أنها على مثل ذلك الاحمرار
أو البياض
لكانت واحدة من ثلاث :

فسواء تضرجت بصيف الحب
أو غدت شاحبة في شتائه
وسواء أبرزت جمالها
أو حجبته وراء نقاب

أو كانت حمراء أو بيضاء
ذات قوام أهيف أو منحن
فان الزمن هو الذي يظفر بالسبق
ويخفيها طي ستائره

فناء

●

كانت تجلس وتنشد دائما
عند الضفة الخضراء قرب الغدير
وترقب الاسماك تقفز وتلعب
تحت شعاع الشمس السعيد

وكنت أجلس وأبكي دائما
تحت أشد أضواء القمر ظلالا
أرقب زهرات مايو
تنذثر بأوراقها في الجداول

كنت أبكي للذكرى
وكانت تنشد للامل الجميل

●

وها قد ابتلع البحر دموعي
وماتت أناشيدها في الهواء

قوة الوداعة

●

أخرج عصفور طائرا
بعد آدم وحواء
حين أغلق الباب دونهما
وجلسا منفردين حزينين ؟ !

لا أظنه طاووس حواء
ذلك البهيج للنظر
ولا أظنه نسر آدم
وانما حمامة اليفة ..

أجاء وحش دافعا
عبر السياج المحوط بالشوك
الى العالم الشوكي الوخاز
خارجا من حافة عدن ؟ !

لا أظنه أسدا
على كونه ذا قوة هائلة
وانما حمل محب نقي
قد يفعل كل ذلك

فاذا الحمامة وعظت على غصنها
واذا الحمل وعظ في حقله
فان الحمامة والحمل
مرشدان رائعان أرسلهما الاله

انشودة

●

حمامتان فوق جذع واحد
زنبقتان على عود مفرد
فراشتان عند وردة واحدة
يا للسعداء الناظرين اليهم

يرونهم يدا بيد
مضرجين بأنوار الصيف الوردية
يرونهم يدا بيد
ولا يفكرون بجهامة الليالي ...

نهاية

●

ان حبا قويا كالموت .. مات
فتعال ننسق له مهدا
بين الورود الفانية الذاوية
ولنضع عشبا ظليلا على رأسه
وحجرا صلبا عند قدميه
كيما نستطيع أن نجلس
في أمسيات المساء الكئيبة

كان قد ولد في الربيع
ثم مات قبل الحصاد
وفي اليوم الاخير من الصيف
تركنا موليا وابى البقاء
حتى مجيء شفق الخريف الرمادي
فلنجلس عند قبره وننشد
انه ذهب بعيدا ..

لننشد المقاطع الخافتة الكئيبة
وأعيننا مسمرة بالعشب
مسدلة بغلالة الماضي
في حين نفكر بما كان
في ذلك الزمن البعيد .

مساء القرية

✳

لنذير عظمه

●

دمشق

●

مساءٌ
ومرت على الافق غيمهْ
وسرب حمامْ
وراء التلالْ
واغنية كالمدام
أظن عتابا
تدل عليها عذوبة نغمه
هنالك عند الكروم
بكوخ الجمال !

* * *

مساء
وأولى النجوم
تعرت .. فيا للبهاء
لكي تستحم بصفو السماء
فلوّن وجه الافقْ
شعور الحياءْ
فكان الشفق !
ودمدمة المطحنهْ
تموت تموتْ
ونفاثة المدخنه
وصوت البيوت !

* * *

مساء
وعودة راع
يسوق القطيع
وزمثور سيارة
طليق سريع
ودراجة تزدهي
عليها يبشر ساع
وفلاحة تلتهي
تفتل مغزلها
وتغزل ما تشتهي !
وعند المصاطب

شباب شباب
فهذا يبرم شاربْ !
وذاك يضم الرباب
وبعض يغني
و بعض يرد الجواب !

* * *

مساء
وعند الصخور
حكايا تدور !
وفلاحتان وراء حمار
عليه سلال العنبْ
وشيخ عجوز
يحز القصبْ
ليبدع منه الطربْ !
ليصنع نايْ

فتعمر سهرهْ
وتلمع جمره
ويعبق شاي
وخلف الكوى
تؤوه الحريمْ
تسمعن بوح الهوى
وبث النديمْ !

* * *

مساء
وسرب عذارى
حملن الجرارْ
يغازلهن الشباب
هنالك عند الجدار
وقوفا حيارى
وقافلة للنَّوَرْ
تشد الخيام
وفي المنحدر
صغار .. تقد الشرار
بضرب الحجر ! !

* * *

مساء
وتنشر ظلمة
ستارا ستار
لصمت وعتمه
وعند المزار
لدى القبة المطمئنة
دعاء مسنَّه !
لفلذة كبد لها
هنالك عبر البحار
وتشعل شمعهْ
لتلهب فيه اذكار
فتنهل دمعه
مساء .

قصة لليون تولستوي

في انتظار الحقيقة

ترجمة زهير محسن

O

في بلدة فالديمير الروسية عاش ايفان ديمتريك اكسينونوف التاجر الشاب يملك بيتا ومتجرين .

كان الشاب رقيقا جميل المنظر ، انيق المظهر ، يشع مرحا وسرورا ، نشأ مدمنا على الخمر ، يشرب فيسرف حتى يعربد ولكنه ما لبث بعد ان تزوج ان أقلع عن الشراب والعبث الا ما جاء عفوا ..

وفي صيف احدى السنين اعتزم الذهاب الى سوق « نزني » وما ان اخذ يودع زوجته حتى قالت له : ايفان ، دع عنك السفر اليوم فقد رايت الليلة من الاحلام ما يزعج . فابتسم الفتى قائلا انك تخافين ان اعود الى الشراب حالما اصل السوق فردت عليه قائلة : « اني لا اعرف مصدر خوفي وكل ما في الامر ان حلما مزعجا الم بي .. لقد رايت انك رجعت من البلدة وتحت قبعتك شعر اشيب كالثلج .

وضحك الزوج ثانية وهو يقول انها علامة الحظ ...

ثم ودع العائلة وانطلق في عربته .

وفي منتصف الطريق قابل زميلا له من التجار فنزلا تلك الليلة في فندق واحد وناما في غرفتين متصلتين .

ولم يكن من عادة صاحبنا ان يتاخر في نومه ، ولذا افاق مبكرا وايقظ السائق ليعد الخيل والعربة ، ثم ذهب الى صاحب الفندق ليدفع له قائمة الحساب وباشر رحلته .

ولم يقطع سوى خمسة وعشرين ميلا حتى وقف ليطعم الخيل وجلس ليستريح قليلا ويعزف على قيثارته ، وفجاة انطلق صوت صفارة انذار ووجد الرجل نفسه وجها لوجه امام ضابط يتبعه جنديان ، وبدأ الضابط في استجوابه سائلا عن هويته وزمن وصوله فأجاب اكسينونوف بما فيه الكفاية ثم دعاه لتناول الشاي معه ... ولكن الضابط استمر في استجوابه سائلا اياه اين قضى ليلته الماضية ، وهل كان منفردا ام بصحبته بعض التجار ، وهل رأى التاجر الاخر هذا الصباح ؟ ولماذا تركه في الفندق قبل الفجر ؟!

وتعجب اكسينونوف من كل هذه الاسئلة وسأل الضابط « لماذا تقاطعني بكل هذه الاسئلة كاني لص او قاطع طريق ؟ اني مسافر في عمل تجاري يخصني وحدي ولا داعي لهذه الاسئلة »

فقال الضابط « اني ضابط الشرطة في هذه المنطقة ، وقد وردني ان التاجر الذي قضيت معه ليلتك قد وجد وراسه مفصول عن جثته ولذا فنحن مضطرون الى التحقيق معك ؟ »

وبعثر الجنود امتعة التاجر ، فعثر الضابط على مدية في احدى الحقائب فصاح قائلا : « لمن هذه المدية ؟! »

وهنا اغمي على الشاب المسكين وارتعدت فرائصه من الخوف . ـ كيف وصل الدم الى هذه السكين ؟! ..

وحاول ايفان ان يجيب ولكنه لم يستطع الا ان يتلجلج بهذه المقاطع « لست ادري ... انها ليست ملكي ! »

ـ لقد وجد التاجر مذبوحا في فراشه هذا الصباح ، وانت الشخص الوحيد الذي يمكن ان تنسب اليه الجريمة فقد كانت الدار مغلقة من الداخل وليس فيها اي شخص اخر . وقد وجدنا هذه المدية الملطخة في حقيبتك وان وجهك وسلوكك يخونانك ! اخبرني لم قتلته وكيف ، وكم سرقت منه من النقود ؟ »

فاقسم الرجل انه لم يفعل شيئا مما نسب اليه وانه لم ير زميله التاجر بعد ان تناولا الشاي معا .. ولكن صوته كان متهدجا ووجهه شاحبا ، وكان يرتجف خوفا كانه المجرم حقا .

ثم طلب الضابط الى جنوده ان يقيدوا المتهم البريء وان يضعوه في العربة ، فاخذ الدمع ينهمر مدرارا على وجنتيه بعد ان تحطمت انفاسه ، فقد جرد من نقوده وبضائعه ومن ثم اودع السجن . وجرت التحقيقات عن شخصيته في فلاديمير حيث قرر التجار والمواطنون ان الرجل اعتاد الشراب والتبذير في مطلع حياته ولكنه بالرغم من كل ذلك كان شابا طيب القلب طاهر النفس .

وحان موعد المحاكمة فاتهم بقتل تاجر من ريازان وسلب نقوده البالغة عشرين الف روبل .

وجن جنون زوجته واخذ الحزن من قلبها مأخذه فلم تدر كيف تسيطر على حركاتها ، اطفالها بين يديها صغار كفراخ الطير بل ان احدهم كان لا يزال يسكن في احشائها..

حملت هؤلاء الاطفال وسارت بهم الى البلدة التي سجن فيها زوجها ، وما زالت تتوسل الى هذا وتسجد امام ذاك حتى اذن لها المسؤولون برؤيته ، وما ان راته مكبلا بالاغلال محشورا بين اللصوص والمجرمين حتى اغمي عليها اغماءة طويلة ... ثم وضعت الاطفال الى جانبها وجلست على مقربة من الزوج السجين تحدثه عن البيت وتسأله عن امره وسبب سجنه فقص عليها القصة ... ثم سألته :

ـ وماذا نستطيع ان نعمل الان ؟..

ـ يجب ان نقدم عريضة الى القيصر ونلتمس منه ان يمنع تعذيب شخص بريء فاعلمته انه سبق لها ان قدمت عريضة للقيصر ولكنها رفضت . فلم يجب واطرق براسه يفكر وكل بقعة في جسمه ترتعش كاشعة النجوم .

ـ اتذكر يوم اخبرتك ما رايت في نومي من ان شعرك اصبح اشيبا ، ان ذلك الحلم الثقيل لم يكن امرا تافها يذهب مع الريح ... وكان عليك ان لا تبدأ السفر حينذاك .

وصارت اناملها تتخلل في شعره ثم قالت : « ايفان ـ يا اعز الناس الي ـ اما تخبرني بالحقيقة ؟ الست انت مرتكب الجريمة ؟! »

ـ وحتى انت تشكين في أمري ؟!

ثم غطى وجهه بيديه واخذ يبكي بكاء مرا ... وهنالك اقتحم احد الجنود المكان ليأمر الزوجة واطفالها بالخروج..

وكان بين العائلة وربها وداع لا لقاء بعده !

واخذ صاحبنا يستعيد ما دار بينه وبين اسرته فتذكر ان زوجته ايضا تشك في امره وقال في نفسه « ان الله وحده يعرف الحق ، واليه وحده يجب ان استانف قضيتي ومنه وحده يمكن ان نطلب الرحمة . »

واستولى اليأس على فؤاده ولم يزد على ان توسل الى ربه بصلاته .

وحكم عليه ان يجلد بالسوط فجلد حتى ادميت كل

بقعة في جسمه ، ثم نفي الى سيبريا مع بعض المجرمين حيث استمرت حياته كمجرم ستة وعشرين عاما اعفيت فيها لحيته واصطبغ شعره بالبياض الناصع .. لقد ولى كل ما كان يعرف عنه من مرح وسرور ، واستولت على جسمه انحناءة ثقيلة ولم تعد ساقاه تحتملان المشي الا قليلا .. فغادرت تلك الابتسامة الهادئة شفتيه ، وقل كلامه ، وكرس كل وقته للتعبد والتقرب من الله فيذهب الى الكنيسة كل يوم احد يرتل بعض الانغام ويطالع بعض اخبار القديسين .

واستطاع ايفان بوداعته وهدوئه ان ينفذ الى قلوب الجميع فاحبته هيئة الكنيسة ، ورفع من شأن زملاءه من المساجين حتى انهم اتفقوا على ان يجعلوه ممثلا دائما لهم لدى سلطات السجن اذا ما عن لهم ن يطلبوا شيئا ، كما اتفقوا عليه حكما وقاضيا في كل ما ينشأ بينهم من خصومات

وفي يوم من الايام وصل السجن فوج جديد من المساجين ، فأخذ النزلاء القدماء يلتفون حول ضيوفهم كل مساء فيسألونهم عن بلدانهم واخبار عائلاتهم ، والتهم التي ادينوا بموجبها ... هذا وصاحبنا يصغي لكل ما يقال ... وفجأة قام رجل قوي البنية فارع الطول من النزلاء الجدد يروي على الجمع قصته . قال : « اخواني اني لم افعل اكثر من ان أخذت حصانا كان مربوطا في مركبة ولذلك اوقفت واتهمت بالسرقة . لقد اقسمت لهم اني لم آخذه الا لكي اصل بيتي بسرعة ثم أتركه يعود الى مكانه ... وان صاحب الحصان كان صديقا شخصيا لي فلم يقنعوا واصروا على اني سرقته . وفي الحقيقة اني ارتكبت اثما من زمن بعيد وكان من الحق ان اكون هنا منذ ذلك الحين ولكن الذنب لم تهتك ستائره . والان ارسلت الى هنا دون ان ارتكب اي جريمة ... آه ، اني كنت افتري عليكم كذبا لالاني كنت في سيبريا قبل اليوم ولكني لم امكث طويلا . » فسأله بعضهم : « من أين انت ؟ »

ــ من فلاديمير ، واسمي ماكار وهم يدعونني ايضا سيمونيخ !.

وهنا رفع ايفان راسه قائلا « اخبرني يا سيد سيمونيخ عن عائلة اكسيونوف التجارية في فلاديمير ؟ اما زالوا موجودين ؟

ــ نعم اعرفهم ، ان ابناء اكسيونوف اغنياء جدا رغم ان اباهم في سيبريا ويظهر انه مذنب مثلنا...اما اخبرتني ايها الشيخ كيف وصلت الى هنا ؟

ولم يرغب المسكين ان يحدث عن تعاسته وسوء حظه واكتفي بان تنهد وقال : « مكثت في السجن هذه الاعوام الطويلة بسبب ذنوبي وآثامي ! » فسأل سيمونيخ « واي ذنوب تلك ؟ »

فلم يزد اكسيونوف على ان قال : « حسنا ، لا بأس ، فاني استحقها ! » وكان يرغب ان لا يعلم ضيوفه اكثر من ذلك . الا ان نزلاء السجن القدماء اخبروا اخوانهم الجدد كيف وصل اكسيونوف الى السجن وكيف ان بعض الناس قتل تاجرا ووضع المدية بين امتعة المسكين وكانت النتيجة ما تراه .

وما ان سمع سيمونيخ هذا الحديث حتى تملكته الدهشة وصاح قائلا : « انه لامر عجيب ولكن يظهر لي انك كبرت كثيرا ايها الجد . انه لعجيب حقا ان نلتقي هنا ايها الفتيان » .

فقال اكسيونوف « ربما انك سمعت بامري ، او ربما انك رأيتني قبل ذلك ! »

ـ ان العالم مليء بالاشاعات ولكنني نسيت ما سمعته لطول الزمن

ـ ربما انك سمعت عن قتل التاجر !

فضحك سيمونيخ وقال « كان لا بد ان يكون القاتل هو الشخص الذي وجدت معه المدية ، وحتى لو صح ان شخصا اخر وضع المدية هناك وكما يقول المثل لا يحسب (المجرم مجرما حتى تثبت عليه الجريمة) وكيف يستطيع شخص اخر ان يضع سكينا في حقيبتك وهي تحت راسك؟ كان لا بد ان توقظك »

وما ان سمع اكسيونوف هذه الكلمات حتى اطمئنت نفسه الى ان هذا الشخص هو القاتل ، فقام وذهب عن القوم ، وظل طيلة تلك الليلة مستيقظا يعيش في شقاء مخيف ، تتابع الصور على مخيلته ومنها صورة زوجته حينما غادرها من البيت ليسافر الى السوق .

لقد رآها كأنما كانت حاضرة امامه وبرزت امام عقله عيناها ووجهها ، بل لقد تخيل انه يسمعها تتكلم وتضحك، ثم تراءت له صور اطفاله ... رآهم صغارا كما تركهم قبل ستة وعشرين عاما . وتذكر نفسه حين كان شابا مرحا متلافا ، تذكر كيف جلس في ساحة الفندق يلعب بقيثارته حيث قبض عليه البوليس ... تصور المكان الذي جلد فيه وسيم العذاب ، تصور الجلاد والقيود والاغلال والسنين الست والعشرين وعمره الذي ذاب اوانه. تذكر كل ذلك فهاج حقده وثارت نقمته وكاد ان يقتل نفسه ... ولكن هذه الفعلة « من عمل الانذال » ثم اخذت فكرة الثأر تداعب فكره ولو كان في ذلك هلاكه ، وقضى ليله يرتل الصلوات دون ان يستطيع كسب شيء من الهدوء والطمأنينة وصار طول النهار لا يقترب من سيمونيخ حتى ولا ينظر اليه ...

وفي احدى الليالي وحينما كان يتمشى حول السجن لاحظ بعض التراب يتصاعد من احدى الغرف التي ينام فيها ووقف يعلم امرها ، وفجأة ظهر له سيمونيخ يزحف من تحت المأوى واخذ ينظر الى اكسيونوف بوجه شاحب وقلب وجل ! وحاول ان يمر دون ان يعبأ به ولكن سيمونيخ شد يده واخبره انه حفر نفقا في الحائط ، وانه تخلص من التراب بوضعه في حذائه وتفريغها كل صباح في الطريق حينما يساق المساجين الى اعمالهم . ثم قال : « وانت ايها الشيخ ما عليك الا ان تسكت وتتخلص معي . واما اذا اكثرت من الكلام فانهم سوف يسلبوني الحياة ولكن لن اموت قبل ان اقتلك اولا . »

وارتجف الشيخ خوفا وغضبا وسحب يده قائلا : « لست ارغب في الخلاص ، وانت لا حاجة لك في قتلي الان فانك قتلتني منذ زمن بعيد ، واني اخبر عنك وقد لا افعل حسب مشيئة الله ...

وفي اليوم التالي لاحظ جنود الخفر احد المساجين كان يفرغ ترابا من جزمته ، ففتش السجن وعثر على النفق وجاء الحاكم يستجوب جميع السجناء فانكروا جميعا اي علم لهم به واخيرا ذهب الحاكم الى اكسيونوف الذي كان يعرف عنه العدل والنزاهة وقال له : « انك شيخ شريف صادق فاخبرني ـ امام الله ـ من الذي حفر النفق ؟ »

وهنا دخل الرجل في صراع عنيف مع نفسه فارتجفت شفتاه واخرس لسانه وصار يتساءل : « لماذا لا اكشف سر الرجل الذي حطم حياتي ؟ لماذا لا اجعله يدفع ثمن ما قاسيت من الالم ؟ ولكني اذا اخبرت عنه فسوف ينتزعون الروح من جسده وقد اكون مخطئا في ظني به ، وفي النهاية اي خير اكون قد فعلت !؟ » ثم اعاد الحاكم قائلا : « حسنا ايها الشيخ اخبرني بالحقيقة كاملة من الذي كان يحفر تحت الحائط ؟ »

فحملق اكسيونوف في وجه سيمونيخ ثم قال : « لا يمكن ان اقول ، ولن اخبر غير الله بهذا الخبر ! افعل بي ما تشاء فاني بين يديك » .. وعلى الرغم من شدة ضغط الحاكم ، لم يشأ الشيخ ان يقول شيئا وكانت النتيجة ان ترك الامر .

وفي تلك الليلة ، وبينما كان اكسيونوف مستلقيا في فراشه وقد بدأ يشخر شخير الوسن ، اذا ببعض الناس يدخل بهدوء ويجلس على فراشه ، ومن خلال الظلام الدامس استطاع الشيخ ان يضاعف حدقة عينيه فيرى سيمونيخ الخبيث ! فسأله : « ماذا تريد مني اكثر من ذلك ولماذا جئت هنا ؟ » ولم يبد الرجل حراكا فنهض الشيخ قائلا « ماذا تريد ؟ اذهب عني والا استدعيت الحرس » ولكن سيمونيخ انحنى ليهمس في اذنه : « ايفان ، اني اطلب منك العفو » .

ـ وعن اي شيء اعفو !؟..

ـ اني انا المجرم الذي قتل التاجر ووضع المدية بين امتعتك واني رغبت حينذاك ان اقتلك انت الاخر ايضا ولكن سمعت ضجة في الخارج فوضعت المدية في متاعك وهربت من الشباك »

واستمع اكسيونوف الى هذه الكلمات المرعبة فلم ينبس ببنت شفة ولم يبد حراكا ثم انسل المجرم من الفراش وركع على الارض قائلا : « ايفان ، اعف عني ، استجير بالله وبحبك اياه ، اعف عني ! وسأعترف اني قتلت التاجر فتنطلق من اسارك وتعود الى بيتك » .

فرد اكسيونوف قائلا : « انه من السهل عليك ان تقول ما تشاء ، ولكنني قاسيت من اجلك ستة وعشرين عاما ، فالى اين اذهب الان ، فلا شك ان زوجتي قد انتقلت الى العالم الاخر ولا ريب ان اولادي قد نسوني ولم يعرفوني فالى اين اذهب !؟ »

ولم ينهض الفتى الراكع واخذ يضرب رأسه بالارض صارخا : « ايفان ديمتريك ارجوك ان تعف عني وتنقذني من عذاب نفسي ، انهم حين كبلوني بالاصفاد لم ينلني من المرارة والالم ما ينالني من رؤيتي اياك الان مع انك اشفقت علي كثيرا .. فاعف عني لوجه المسيح ... اني شخص حقير دنيء وارجو ان تعف عني » ثم اخذ يبكي ويتألم ، فبدأ اكسيونوف يبكي معه ثم قال : « سامحك الله ، اني قد عفوت عنك .. ، رغم اني قد اكون اسوا منك مئة مرة . »

وبعد هذه الكلمات ازداد فؤاده هدوءا واطمئنانا ولم يعاوده الحنين الى الديار ، وماتت عنده الرغبة في ترك السجن وصارت احلى امنياته ان يلقى ساعته الاخيرة فينتقل بعدها الى جوار ربه .

وبالرغم مما سمعه سيمونيخ من اكسيونوف الا انه ذهب واعترف بخطيئته ، وما ان جاء الامر باطلاق سراح الشيخ حتى وافته المنية وكان جثة هامدة .

عمان — **زهير محسن**

لسـبوس

لشـارل بودلـير

ترجمـة

باهر فائق وعبد الجبار النجار

●

بغـداد

○

يا مهبط ملاعب اللاتـين ، ومبعث
شهوات اليونان
لسبوس وفيك القبلات توهي وتفرح
دافئة دفء الشمس ، طرية طراوة
التمر
انها زينة الايام والليالي الزاهيات
يا مهبط ملاعب اللاتـين ، ومبعث
شهوات اليونان

★

لسبوس وفي ارجائك تنثال القبل
كانحدار الشلال
وتترامى بلا وجل في مهاو لا نهاية لها
وتنساب ناشجة مستعبرة
صاخبة في سر ، وفيرة ممعنه
لسبوس وفي ارجائك تنثال القبل
كانحدار الشلال

★

لسبوس وفيك تتغازل فرينه وامثالها
ولكل زفرة على ظهرك صدى
وبك تفتتن النجوم كما فتنت بيافوس
فحق لفنوس ان تغار من سافو
لسبوس وفيك تتغازل فرينه وامثالها

★

لسبوس يا ارض الليالي الحارة المضنية
التي تجعل الفتيات ذوات العيون
الحاجلة
العاشقات اجسادهن امام مراياهن
يداعبن ثمار شبابهن اليانعة
لسبوس يا ارض الليالي الحارة المضنية

★

دعي عنك الشيخ افلاطون ونظراتـه
الصارمة
يا ربة هذا الملك الزاهر ، وتلك الارض
الحبيبة الكريمة
انك تستمدين الغفران من فرط القبل
ومن لذة لا تنضب
دعي عنك الشيخ افلاطون ونظراتـه
الصارمة

★

انك تستمدين الغفران من التضحية
الخالدة
المحتومة بلا هوادة على القلوب الطموحة
التي تجذبها الابتسامة البراقة بعيدا
عنا
ملموحة في السموات الاخرى

انك تستمدين الغفران من التضحية
الخالدة

★

من ذا الذي يجرؤ يا لسبوس بـين
الآلهة ان يكون ديانك
وان يحكم على جبينك الذي اذوتـه
الجهود
اذا ما سبر بمسباره الدقيق طوفان
الدموع
التي دفعت بها مجاريك الى البحر
من ذا الذي يجرؤ يا لسبوس بـين
الآلهة ان يكون ديانك

★

علام تريدنا شرائع العدل وغـير
العدل ؟
ايتها الكواعب ـ يا ساميات القلوب ـ
ويا شرف الارخبيل
ان مذهبك كاي مذهب لعظيم
وان الحب ليسخر من الجنة والنار !
علام تريدنا شرائع العدل وغير العدل؟

★

قد اصطفتني لسبوس من بين الجميع
على الارض
لاتغنى بسر كواعبها الزاهرات
فقدر لي منذ طفولتي ان اطلع
على ما في ذلك الضحك الشديـد
المرعب الممزوج بالبكاء
قد اصطفتني لسبوس من بين الجميع
على الارض
ومنذ ذلك الحين وانا مرتقب مـن
اعالي لوكات
كالخفير ذي اللحظات النافذة الاكيدة
مترصدا زورقا او سفينة او باخرة
ليلا ونهارا
تهتز اشباحها في الافق البعيد
ومنذ ذلك الحين وانا مرتقب مـن
اعالي لوكات

★

لاعلم ما اذا كان البحر رحيما طيبا
فيأتي ذات ليلة الى لسبوس الصفوح
بجثة سافو المعبودة وكانت قدذهبت
والشهيق بين الصخور له رنة وصدى
لاعلم ما اذا كان البحر رحيما طيبا

★

سافو الشاعرة العاشقة (1)
التي تفوق فينوس جمالا بشحوبهـا
الكئيب
لقد تغلب السواد على زرقة العينين فيها
واحاطهما بهالة مظلمة هي من آثـار
الآلام
في سافوا الشاعرة العاشقة

★

انها اجمل من فينوس المهيمنة على العالم
والتي تسبغ كنوز جلالها
واشعاع شبابها الاشقر
على المحيط الازلي المفتون بابنته
انها اجمل من فينوس المهيمنة على
العالم

★

لقد هلكت سافو في يوم جحودها
انها حين اهانت الشعائر المبتدعة
احالت جسمها الجميل مرعى خصيبا
للوحش الذي كانت كبرياؤه تعاقـب
الحادها
لقد هلكت سافو في يوم جحودها

★

ومنذ ذلك العهد ولسبوس تنوح
ورغم الاجلال الذي يغدقه عليها العالم
فانها تعربد كل ليلة بصراخ الآلام
الذي تدفعه شطآنها المهجورة نحـو
السموات
ومنذ ذلك العهد ولسبوس تنوح

(1) في الاصل «La mâle Sapho»

اساليب النقد في الشعر

بقلم هـ. و. غارود

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

ان سنيكا هو اول من قال بان ناقد الشعر ينبغي له ان يكون هو نفسه شاعرا ، وقد تبعه في ذلك بين جونسون وكثيرون اخرون . وكم يحلو لي لو كنت على اطلاع يعينني على تجربة هذا القول باستقصاء واسع في مجال تاريخ النقد . غير ان اطلاعي الراهن النصفي ، لا يرى فيما ذهب اليه سنيكا غير الغلو او الاستصغار . واذا صح لي ان استقرىء من النقاد العظام نتيجة ما ، وهم هؤلاء الذين الفتهم ، فاكبر ظن ــ في الواقع ــ ان ناقد الشعر ، لا بد له ان يكون شاعرا ، ولو لم يبلغ من الاجادة شأوا رفيعا نظم ارسطو شعرا ، ومع انه كان اعظم النقاد ، فشعره لا يمتاز شيء عن منظومات أي انسان ، بحبر (اغاني الفضيلة) . ولو انه كان شاعرا مجيدا ، فقد كبا حظه ، وضاع جده ، لان النقاد وحدهم يعترفون بكونه شاعرا حسب . وكذا الحال مع سكاليجر الكبير ، الذي كان واحدا من النقاد البارزين ، في اوروبا ، فهو لم يكن شاعرا محدود النطاق ، في نتاجه ، بل كان مكثارا . واذا استثنينا سكاليجر الصغير ، فلا اظن احدا غيره اطرى شعره . كان بين جونسن شاعرا وكذلك سدني . وكاي من الناس ، يعجبني كل ما له من صلة بسدني ، وكل ما يفيدني عند بين جونسن . ومع هـذا ، فليس لاحد ان يعـزو مرتبة لاي منهمـا بـين شعراء العالم العظام . وربما لم يكن عندنا من النقاد من يضاهي درايدن . اجل لدينا من الشعراء من هم اسوأ منه ، ولكن اذا وجب ان يكون ناقد الشعر شاعرا ، غـير مجيد كل الاجادة ، فمن يمكن ان يملأ مكانة درايدن ؟

اما الكتاب الذي لن اتمكن من توفية حق الثناء عليه ابدا ، فهو كتاب صامويل جونسن « سير الشعراء » . ومع هذا ، فلكي تعرف ان الدكتور جونسن لم يكن شاعرا عظيما فانت لست بحاجة للمرور بشعره ، انما يمكنك ان تظل مقيما في مكانك بين صفحات « السير » . وكلما اكثر من قراءة النقاد الاخرين ، واكتشف (البرودة) عندهم ، اجد نفسي متعلقا بقرار شخصي بعيد عن الخطأ ، يدفعني دفعا الى عد هازلت كاعظم النقاد الانكليز .

لم يكتب هازلت شعرا ــ وكيف يسعه ذلك وقد كان عضوا في منظمة فرضت عليه الا يكتب بل ان ينغمر فـي حياة هازلة شجية ؟ غير انه رسم صورا في بواكير حياته ، والرسم فن لا يقل صعوبة عن الشعر . فانت لن تستطيع ممارسته ، من غير ان تكون اهلا لذلك . صحيح انه رسم صورا الا انها لم تكن من الطراز الاول : كان رساما ، ولكنه لم يبرع في فنه براعة ذات شأن بعيد . فانت حين تتصور هازلت تتخيل كولبروج ؟ وعندئذ لا تدري ماذا تتصور او تتخيل . غير اني عاجز عن التفكير فيه كما يفعل الجمهور . لان نداء شعره قوي التأثير في ، كما انه يجذبني اليـه بشدة كانسان . بيد ان هاتين الميزتين اللتين تكونان الناقد ، هما ما يفتقر اليهما هذا الكاتب .

كثيرون من الناس ، بل ربما معظمهم يسدون المرتبة الاولى ــ في النقد الانكليزي ــ ليس الى هازلت بل الـى ماتيو ارنولد . ولا يسعني اقصاء لقب الشاعر ، بكمـال المعنى ، عن ماتيو ارنولد ، ولو اني اضعه ــ في سلم النقد ــ في درجة اوطأ من هازلت ، بشيء اكثر من الريبة والخفر . ولذا غدا ناقدا عظيما وكما نوهت سابقا ، حينما تلاشت عظمته الشاعرية . وقد تأثر هذا الناقد بالغ الاثر بسانت بوف ــ احد عظماء النقاد ، واحد الشعراء المجيدين .

فاذا كانت خيرة النقاد ، في مجملهم ، شعراء مـن الدرجة الثانية ، فان الشعراء المبرزين ، متى ما هبطـوا من اجواء الشعر الى حقول النقد ، يصيبهم الوهن ، ويعتريهم الضعف ، وبالتالي يصبحون نقادا ادرياء . في ظني ان غوته هو اعظم شعراء اوروبا في القرن التاسع عشر . ولكن الم يظنه سوئبرن اسوأ ناقد في العالم ؟ وقد علل مدعـاه هذا بفصول من النثر ومقطوعات من الشعر .

ومرة اخرى لنضرب مثلا فكتور هوغو ، فحين يرغب اناتول فرانس في التدليل على انتقاء وجود ما يسمى بالنقد ، والبرهنة على وجود اشياء محبوبة ، واخرى مذمومة يعتمد فرانس على هوغو ــ في شواهده وادلته ، ويذهب الى حد القول : «ان هوغو كان مخطئا اشد الخطأ ، في احكامه على الكتب الكلاسيكية العظيمة ، باستثناء كتاب واحد» . وهذه جريرة اشد ايغالا في الاجرام مما لو كان محقا في احكامه جميعا . وبايرون نفسه الذي بدا لعصره ولغوته شاعرا لا يقل عن شكسبير ــ لفظ احكاما رعناء لا تكاد تصدق على معظم الشعراء .

. اذا يصح الاستناد الى سكوت لنتصور كل ضرب من الشعر صالحا ، وبالعكس فان وردزورث ، يعـد احسن الشعر رديئا الا اذا كان هو نفسه ناظمه . وطبيعي ان احكام هؤلاء الشعراء العظماء ، التي يصدرونها على غيرهم مـــن الشعراء ، او على الشعر عموما ، مهمة مثيرة ، ينبغـــي اقتناصها والاستحواذ عليها ، الا ان معظمها ــ على مـــا احسب ــ لا تمت بصلة الى النقد بل هي انطباعات تصويرية للمزاج الاخلاقي . لان خير نقد يقدمه أي شاعر عـــن الاخرين ، لا يتمثل احسن تمثيل الا في شعره نفسه .

ان خصوم النقد ـ وهم قبيلة لا تقل عددا عن اعداء الحقيقة ـ وجدوا هنا وقودا لضغينتهم . فاذا كان الشاعر العظيم لا يعرف معنى الشعر ، فمن يعرفه اذن ؟ ولماذا هذا السؤال، وجوابي عنه لا يتعدى الناقد الجيد ، والواقع ألست انت ما تتوقع ذلك ايضا ؟ فانت حين تدفع بشاعر لمسك شاعر وبلص للقبض على زميله ، انما تنسى الميزة الرئيسية في كلا المزاجين . واذا كانت الطبيعة البشرية تحب الاثارة ، وتمقت الحراسة الدورية ، فهي تحول بيننا وبين ان نغدوا جميعا رجال امن ، وبهذا يقضى على اللصوص القضاء المبرم .

انا لن اقول ان ولادة الناقد تعني وفاة الشاعر ، ولكنها ـ في الحق ـ تشير الى ايقاف حيويته . وانت يمكن ان تعرف الشاعر العظيم ، بواقع حيويته التي لا تعرف التوقف ، ولا الانصياع الى التأني . لقد ذكرت رجال الشرطة ، وربما كان من الخير الا اذكرهم . ومع هذا فاني لا ازال رجعيا ، اذ هناك من الادلة ما تقنعني بوجود قوانين في (عالم) الشعر ولا شك في انك لو حصلت على القوانين ، لاحتجت الى الشرطة والقضاة وكل متطلبات التشريع . ومن هنا فوظيفة النقد ، التي تتمثل في حراسة دروب الادب ، يؤديها ـ على ما اظن ـ الصحافيون والمعقبون . وربما كنت اذهب في حسن الظن بعيدا ، لو كنت صحافيا خيرا مما انا عليه الان .

ثم اني اجد في عنصر الارتباك نفسه شيئا كثيرا من طيبة الطبيعة ، ولطف الفطرة . ومع هذا فهراوة الارتباك لا ينبغي ان تكون عنيفة في كثير من الجد . وارفع مفهوم للناقد يضعه موضع القاضي ، واذا اقتضى الامر ، ان يكون كذلك ، من اجل محاكمة الشعراء ، فالافضل له ان يشير الى محاسنهم ، بدلا من تركيز جهده في عرض مساوئهم والتشهير بها . ومع هذا ايضا ، فنحن نحسب ارسطو واتباعه وسكاليجر واشياعه ، أعظم النقاد طرا ، في حين انهم لم يكونوا اكثر من مشرعين ولكنهم لا ينفذون سوى القوانين التي اوحيت اليهم ، بترديدهم لما نطق في سيناء من الغيمة الكبيرة .

ومما اجسر على البوح به ـ ان كثيرين من الاشخاص، اقنعوا انفسهم من مدة طويلة ، بانتفاء وجود القوانين في الشعر . وحقيقة هذا الانتفاء تبدو جلية ، لان حرمة القوانين انتهكت مرارا وتكرارا . وبالحجة نفسها ، يسعنا نفي الوصايا العشر . سئل احد الطلاب الاذكياء عن رأيه في الوصايا العشر كقانون اخلاقي ، فقال : « ان على الطلاب المتحنين ان يحاولوا حل الوصية السابعة ولا اقل من اربع اخرى » . (وكان هذا نتيجة لضغط الامتحان) .

صحيح ان قوانين الشعر متعددة وكثيرة جدا ، اذ يكفي بعضها لتكون اقوى من طاقة الشاعر ، او هو لها . واذا ما انصاع الشاعر اليها اخذمنها التبديل مأخذه . وهذه حقيقة ثابتة بالقياس الى القوانين الانكليزية وحتى الامريكية، فكيف لا تكون كذلك بالنسبة الى الشعر ؟ ومتى ما تغيرت قوانين الشعر ، تحتم على الناقد ان يبدأ عمله من جديد ، وهذا شأن القضاء كذلك اذ ينبغي له ان يطبق ما يقتضيه التشريع . ولكن أهذا ما نعنيه حين نتكلم على قوانين الشعر؟ ألسنا نقصد من ذلك كله ان للشاعر قوانين ، ليست في صلة من الصلات بقوانين الدولة ، بل هي اقرب شيء بالطبيعة ؟ وهنا يبدو احد التخوم ، من تلك التي تظهر واضحة واشد نصاعة مما هي عليه .

صحيح ان القوانين البشرية تتغير ، بخلاف القوانين المسيطرة على الطبيعة ، الخالدة ، التي لا تتبدل ، ولا تتحول وهذا أمر تتضاءل حقيقته كثيرا عما يخيل الينا ، لانه مصيب ، بمعنى يختلف عما نتناوله عموما . فنحن حين نغير قانونا بشريا ، وليكن هذا ما له علاقة بالدولة ، فما يحدث ليس تغيرا ، بالمعنى المقصود ، وانما هو (خلق تكيف في الذهن البشري ، والسلوك الانساني لينسجم مع الاحوال المستحدثة سواء أكان ذلك في الحياة الاخلاقية أم السياسية أم في ادراك المفاهيم القانونية الجديدة . فقوانين الطلاق ، مثلا لا تبدل قانون الزواج ، وانما تكيف افكارنا بما يجد حوله . وبالطريقة نفسها ، كيف كوبرنيكوس آراءنا فيما يخص النظام الشمسي ، اذ هو لم يحور ، ولم يحول قوانين الفلك . واذن ، اعتقد بان للشعر قوانين ، هي أقرب ما تكون الى تلك التي تسيطر على الطبيعة ، وهذا ما يجعل أي تعبير عنها غير كامل ، في أي وقت كان ، ومن هنا ، فكلما توسعت تجربتنا وتعمقت تطلبت مفاهيمنا تكيفات مستحدثة . وأغلب ظني ان هذه القوانين واقعية ، ونحن ـ على ما يخيل الي ـ في وضع فكري حسن بالنسبة يفضل كثيرا على حالتنا بالقياس الى تلك القوانين التي تعبر عن معرفتنا للعالم الخارجي .

أليس التاريخ نفسه يشير الى ان قوانين الشعر اكثر استقرارا وثباتا من تلك التي تتحكم في الطبيعة ؟ فدونك مثلا ، تاريخ الشعر من هومر الى هاوزمان ، وقارنه بتاريخ اي علم ، في مدى القرون نفسها . ثم تناول الفلك والفيزياء كما كانا في عهد طاليس واناكسيماندر ، وبعد ذلك فكر في نيوتن وانيشتاين . أليس التباين يعدل سماء جديدة ، وعالما محدثا ؟ اما مفهومنا عن عالم الشعر ، فيبدو بالمقارنة وكأنه لم يتغير قط . وليس من الصعوبة ان نتعرف على سبب ذلك . فالشعر هو ما هو عليه ، لانه من البداية ، يلبي حاجة ماسة من حاجات الانسان الروحية ، ولانه يصور الرغبات الانسانية ، بتطوره على حسب تلك الحاجات . واما الطبيعة من جهة اخرى ، فهي لا تمت بأي صلة برغائبنا ، ولا تهتم قيد شعرة بما نحن بحاجة اليه .

والحق ان احسن هدف لها يبدو غالبا وكأنه موضوع لعرقلة آمالنا ، وانزال الخيبة بساحة حساباتنا . اقول هذا ، لان نقد الشعر كثيرا ما فكر فيه ، او تحدث عنه ، وكأنه في طبيعته فن سطحي متهارش . والواقع اننا كلما نعنى بمشكلات النقد الطارئة ، ننسى غالبا الاتفاق والانسجام السائدين على الرأي المجمع عليه بخصوص احسن الشعر . ومن وقت الى آخر ، قد يأتي شاعر عظيم مثل وردزورث فيحدثك عن قصيدة عصماء ك (مرثاة غراي) ، فينفي عنها صفة الشعر ، لانها ـ على ما يدعوه « صعبة الادراك » ، ومع هذا ، يمكن ان يغفر للانسان اذ هو دعاها القصيدة الوحيدة العظيمة في العالم ، التي يفهمها كل انسان .

ومن حين الى حين قد يتطاول ناقد ، معروف بسداد احكامه ، على شاعر يجدر بالعالم كله ان يتحدث عنه بكل لطف ، وابرز مثل على ذلك هو ماثيو ارنولد عندما انتقص من قدر شيللي . ولكنا نبيح لهذه التحرشات الطارئة ان تلفت نظرنا اكثر مما ينبغي لها . والحق ، ليس من شيء اشد دهشا في الشعر من اتفاقنا على مضمونه الذي يكاد يكون اجماعيا . نحن نتنازع فيما يخص التاريخ ، والعلم

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر

يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة

في الخارج : ديناران او ٦ دولارات ونصف

في الولايات المتحدة ١٠ دولارات

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ٢٥ ليرة كحد ادنى

في الخارج : ٥ دنانير او ٢٠ دولارا كحد ادنى

*

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى

اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

*

تليفون : الادارة ٢٣٨١٩ — المنزل ٢٥١٣٩

Tél. Direc : 23819 — Dle. : 25139

*

صاحب المجلة ورئيس تحريرها : البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ــ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ــ لبنان

ونتشاجر فيما هو اعظم من كليهما ، أعني في الدين نفسه. ولكن النزاع يكاد ينعدم فيما له مساس بالشعر ، واذا ما فعلنا ذلك ، فليس المقصود بذلك جوهر الشعر ، وانما بعض ما يعرض له ، لاننا حين نظن انفسنا منهمكين في الكلام على الشعر ، انما نحن ــ في الواقع ــ نتكلم على شيء آخر. فمثلا ما حدث لمقالة ماثيو ارنولد عن شيللي ، لا يعني ان المقالة رديئة في نقد الشعر ، بل انها جيدة كل الجودة في موضوع آخر هو ــ الاحترام والوقار .

ولا يمكنني الا الشعور باننا ننظر الى النقد بكثير من روح العبث ، من غير ان ندرك ما يتضمنه النقد من حرية وضمانات . ومن الخير ، طبعا معرفة الناقد لحدوده . ومع هذا ، فاني اجد طمأنينة معقولة بالتأمل في المجالات الواسعة ، غير المقيدة ، التي يعرضها النقد علينا . وفي ظني ، ينبغي لنا ان نكون نقادا مبرزين ، ان نحن حسبنا النقد مرجا من الحبور غير المحدود ، لتمرح فيه مواهبنا وقابلياتنا بغير اذى . وغالب الاحيان لا تصيب النقد أزمة ، الا في النادر ، وربما لا يكون ذلك غير مرة في كل قرن . ومن هنا ، فللشعر قوانين كما للدولة . ولكنا لسنا بحاجة الى التفكير في الشعر او في الحياة بمزيد من القلق . اذ ان شعورنا بقوانين الجسم البشري ، ليس حالة اعتيادية ، بل هو حالة شاذة ، غير سليمة . كما هي الحالة بالنسبة الى استدعائك لرجال الامن ، واستئنافك في المحاكم ، او توسلك بالسلطة التشريعية . اما الوضعية الطبيعية فهي تلك التي تمتزج بالحياة ، بكثير من اليسر ، والسهولة . في شروط هينة . وهذا ما يصح في الشعر وقوانينه . انا لا اقول بانه لن يسعه ان يكون خيرا مما هو عليه الان فهو جدير بكل تقدم .

ومع هذه الملاحظات العملية ، في رأيي انه من اللائق في بعض الاحيان الا ننظر الى النقد نظرة مثالية ، او غائية. فالنقد ينبغي ان يكون احد المجالات الباعثة على أكبر الغبطة في الادب ، وهذه حقيقة ثابتة بالقياس الى نقد الشعر خاصة . واذا ما تكلمت على النزعات الشخصية ، فاني أعد قراءة الشعر ارفع متعة أدبية ، ويليها في ذلك مطالعة ما كتب عن الشعر . واحسن ما خطه اليراع في هذا الصدد ، في جميع العالم ، على ما اظن ، هو ما كان مكتوبا بكل حرية ، من غير ازعاج للذهن ، ولا ارباك القلب .

ومن هنا ، فان قوانين النقد يمكن ان تؤدي خدمة ، ليس عن طريق الناقد الذي يحاول دائما تذكيرنا بها حسب ، بل لانها في حرز حريز ، بحيث يسع الناقد نفسه نسيانها احيانا . صحيح ان من حقه الانغماس في مزاجه ، كما يشاء ، ومن حقه ان يمارس شتى التجارب، لان في قدرته ان يكون مخلوقا تتناوبه المسرات والمكاره .

وبعد ، فمن النادر ، ان يسأل الناقد نفسه عما يقرأ ويفسر ذلك قائلا : أهذا هو الشعر ؟ الا اذا شغل نفسه بالشعر المعاصر . غير ان هذا السؤال كثيرا ما أجيب عنه من مدة طويلة ، اذ ليس هو قضية ذات موضوع . ومع ذلك فان الناقد يعرف الجواب دائما ، اعتمادا منه على نعمة الله ، وطبيعة حرفته . وقلما تغرينا الطبيعة بما لا قبل لنا به ، فهي تقدم لنا الشتاء على حسب ما بحوزتنا من صوف ، وتعطينا الضمان المناسب للسرعة التي نحن فيها . ثم اني معجب بكل جد ، بما يفعله الملقون ، فالضعفاء من هؤلاء قليلون بالمقارنة الى الشعراء الارداء . ولست في

الوقت نفسه أتشكى من الملقين ، لكونهم يتصنعون الذكاء ، كما يفعل بعضهم ، فهذا على الاقل خير من تصنع الغباء .

ومما اشعر به ان بعض نقاد الشعراء يتغابى أكثر مما يقتضي الحال . وكلما رأيت ازدياد هذا التغابي ، تعاظم حبي للصحافة الرشيقة . وحين أتساءل عما ينبغي إن يكون هدف النقد او الناقد ، اجد نفسي ميالا الى وضع الامتاع والموآنسة بين اهم واجبات النقد . وطبيعي ان ثمة قديسين في النقد . وقد كنت تحدثت عن احدهم في الاسبوع الماضي. ففي ماثيو ارنولد نتبين موقف الموضوعية، والى أي مدى توصل اليه ، بفنه الرفيع ، بحيث يغدو من السخف حجب اعجابنا عنه . فاذا ما اصدر حكما ، فليس هو مصدره ، بل مجمع القديسين باكمله . ولذا ، فالنقد بالنسبة اليه لا يعرف الاشخاص ، وكذا الشعر — فالشاعر يتيم الوالدين ، لا مكان له في تأريخ الادب ، واذا ما كان له شيء من ذلك ، فهو ضرب من الادعاء الذي لن يشفع له في يوم الدينونة . واذا كان لا بد من وجود قضاة روحانيين ، فخير مبرر لهم ولوجودهم ، هو تمسكهم بالادب الجيد ونجاحهم في اجتياز عراقيله . وايا ما كان الامر ، فخير لي ان اقلب النظر في النقد، من وجهة نظر طبيعية بعض الشيء.

يمتاز النقد ، من مختلف ضروب الفن ، بصلته القريبة بالفن الاجتماعي ، ولعل هذا هو السبب في اخفاق الشعراء في مضماره . فمن الطبيعي جدا مناقشة كتاب او قصيدة، اكثر من كتابة اي منهما. ولذا ، فالنقد، اوضح الاعمال الاجتماعية ، السلوكية . ومن اجل ذلك يبلى بسبب علتين ، اولاهما بعث السرور وثانيهما جعل شخصية الانسان ممتعة . واذا ما تساءلت عن الوسائل الرئيسية التي يستخدمها الناقد لانجاز حرفته والتمرس بفنه ، فاني ارى ثلاث فضائل متداخلة في هذه المسألة ، وهي : مدى اطلاعه ، وتنوع اسلوبه ، وتوكيد شخصيته . ومدى اطلاعه لا بد ان يكون في نطاق الحكمة ، والا تلاشى الناقد في المؤرخ ، وعلى أي حال ، فهذا فن اجتماعي ، حيث يشكل الكلال والملل اول الجرائم . واهم شيء بالقياس الى الناقد ، يرجع بالافضلية على اطلاعه ، هو — على ما يخيل لي — تنوع اسلوبه ، ولا اعرف كيف يمكنه التوسع في هذا الصدد .

كثيرون من النقاد لهم اسلوبهم الاثير لديهم . فمنهم من يستحسن الطريقة التفسيرية ، متجنبا بذلك كل طريقة اخرى . فالخدمة الوحيدة التي يسع الناقد انجازها للشاعر هي شرح ما يعنيه باقواله . وغيرهم من النقاد ، الذين يشعرون بان القصيدة لا تكون كما هي عليه ، الا بالتعبير التلقائي ، لذا فهم يستندون الى الطريقة التلقائية ، في تقييم الشعر ، وهذه تبدأ بالادراك وتنتهي به ، وهذه هي المدرسة الاستظهارية ، البغائية ، التي لها ثوابها دائما .

وقد يفترض ان الشعر يمكن فهمه خير فهم من الشاعر نفسه ، ولذا فدراسة سير الشعراء هي الطريقة الحيوية السليمة . فدعنا نرى صورة الانسان في عاداته ، ومسلكه في الحياة . وبمعنى احسن دعنا نحلله تحليلا نفسانيا . فاذا نحن عرفنا ادواءه ومصائبه وجدناه على حقيقته المفهومة، المثيرة للانتباه .

واخرون من النقاد ، يحاولون ادراك الشعر ، ليس عن طريق الشاعر ، بل عن دراسة الاحوال الاجتماعية والسياسية التي تكون العصر الذي يعيش فيه . وقريبا ساخصص كلمة لهؤلاء جميعا . ثم اني لا ينبغي ان أنسى مدعيات المدرسة الكتبية (البيليوغرافية) فقد قرات من مدة يسيرة كلمة جاء فيها « ان مستقبل شكسبير يتقرر في الدراسة الكتبية » فهنأت شكسبير لانه كان شاعرا ذا مستقبل . ولشد ما تمنيت ان يكون مسرورا بصداقاته .

والحق اقول باني احببت جميع هذه المدارس في اساليبها المختلفة ، بالاضافة الى غيرها ، واحببت في الوقت نفسه مزجها وبخاصة مزج الشعر بالسيرة الشخصية. ومع هذا ، فانا لست على استعداد كبير لتقبل السيرة على علاتها. وعلى ما اظن ان النموذج ، في النقد الادبي هو سانت بوف .

اما التنوع ، عموما ، فيبدو لي نعمة من نعم النقد ، التي أتعجب كيف انها لا تزال قصية عن متناول الباحثين. ثم هناك توكيد الشخصية ، وهي عصية على كل الانجازات في النقد ، في حين ينبغي ان تقيم وتعطى حقها الملائم لها . وهذا هو السبب الذي يجعلني اشعر بمتعة عند هازلت .

وبعد ، نحن نتكلم في النقد ، على الكتب ، وهي أثمن شيء واهمه بعد البشر في العالم . وليس من وجود للنقد الا بسبب هذه الخاصة بالذات . ولذا فالاسلوب المتع ضرورة حيوية . ثم اننا — في نقد الشعر — نتحدث عن صفوة الكتب ، ولذا لا بد ان تكون لهجتنا ملائمة متناسقة مع النبرة المقتضية للمناسبة . وهذا ما يحدو بالطريقة الشيقة ان تتبنى شيئا من الرقة الروحية . ان الشعر يعنى مقصدا ما ، وشيئا له وجوده الخاص ، ونحن لن نبيح لاي كان التحدث عنه ان لم يكن يعنى شيئا له . نحن لا نطالبه بالتجاوز والتعدي ، ولكنا نلح عليه مطالبين ، بتوكيد شخصيته ونغفر له العنف في هذا التوكيد .

قلت كل هذا بمزيد من الثقة والسرور . ولكني على علم باني قد اكون تجاوزت المقصد الذي ذهبت اليه ، كيلا يظن بي بعضهم ظنونا تحددني بالمدرسة الادبية الميتافيزيقية التي تحصر الشعر ونقده في التعبير الذاتي . ذلك باني لا اعد « مدارس النقد » بشيء من محبتي ، اذ ان كلا منها عصبة ، يلتف حولها افرادها ، وهي موجودة في فرنسا اكثر من انكلترا . اما امريكا فانا لا اعرف عنها شيئا ، وقد دفعتني العادة الى ذلك . ثم ان الشك يساورني في هذه المدارس سواء في الشعر أم في النقد ، ومعظمها غريب عن الطبع الانكلوساكسوني . وكيفما كان الامر ، أجد نفسي مهتما أشد الاهتمام ، بتلك المدرسة التي تسبغ على نفسها صفة الذاتية . واذا ما حلا لي يوما الانضمام الى مدرسة ما ، فهذه هي التي سانضوي تحت لوائها . غير اني ساخيب في الحصول على اجازة الدخول ، بسبب اقراري بقوانين الشعر ، الامر الذي يربطني بالمدرسة الموضوعية . ومع ذلك فانا احب — في أعماق قلبي — النقاد الذاتيين ، لحيويتهم الرفيعة ، وتزويقاتهم البديعة ، اما محاولة التلبس بلبوس الموضوعية ، فاشعر ان فيه عنصرا من اللامبالاة ، والتعنت والتشدد .

ويبدو النقاد الذاتيون الان ، وكانهم متمكنون من قبضة السلطة في العالم باجمعه ، وعلى قدر مودتي لهؤلاء ، يشتد رعبي من انتشار طراز نهجهم ، اذ ان محبتي لهم لا تعني اعتقادي بهم . وبينا يحلو لي العنصر الشخصي في النقد ، حتى ارى من حق أي كان ان يصنع له انجيلا ، اذ بهؤلاء النقاد يتجاوزون هذا الحد نفسه ، فيخلقون اجواء تتعدى الطبيعة نفسها . ولا ادري عما اذا كان من حقي ان اعدهم في صنيعهم هذا عتاة متعصبين أم متكالبين غواة؟

واكبر ظني ان هذه الميتافيزيقا مخطئة كثيرا ، وسأضحي بما تبقى من وقتي لنقدها وتشريحها .

واحسن تعبير نموذجي لعقيدة هؤلاء النقاد ، يمكن ان نجده عند اناتول فرانس ، الذي سبق لنا ذكره ، ففي كتابه (الحياة الادبية) جمل معروفة ، دقيقة التصويب ، كما نتوقع وهي : « ليس ثمة شيء يدعى النقد الموضوعي ، كما انه ليس هناك شيء يسمى الفن الموضوعي ، لان أي انسان بلغ به الغرور حد التصور انه يضع في نتاجه شيئا غير نفسه ، انما هو فريسة خرافة مضحكة . والحقيقة البينة تقرر عجز الانسان عن التخلص من نفسه والفرار من اهابه ... وفي رأيي من الخير لنا ان نتقبل هذه الوضعية ، بكل ارتياح واطمئنان ، معترفين بذلك ، واذا لم يكن لنا من حسن الذوق ما يجعلنا نضبط ألسنتنا ، فما نتحدث عنه هو انفسنا دائما . » ومن هنا ، فان الادب والنقد ، والشعر وكل ما له صلة بهذه الموضوعات تبدأ وتنتهي بالتعبير الذاتي . يعجبني في هذه الاقوال ظاهرة الحرية ، وفسحها المجال للفردية لتقوم بدورها في النقد .

ومع هذا ، فحالما اسائل نفسي عن المقصود بالتعبير الذاتي ، أرى الصعوبات والمشاكل تتلبد في سماء النقد الذاتي ، بحيث يأسرني التعجب ، فابدأ بالتساؤل قائلا : أليس من الخير ان يكون الانسان موضوعيا ، مع برودة هذا المنحى ؟ صحيح اني لا اتصور مجالا اشد اشراقا ، من التعبير الذاتي بالنسبة الى مؤهلات الشباب . وهذه المحاولة لها اغواؤها النبيل ، وبخاصة حين يتظاهر الناقد والشاعر بهذا التعبير ، متحملا في ذلك الاوصاب والالام ليكون شيئا ما . فالتعبير عن أي شيء له اهميته العظيمة ، وحين يكون الامر متعلقا بالتعبير الذاتي ، حتى لو كانت تلك الذات تافهة ، فهو من الامور المثيرة للاهتمام في العالم كله ، فيما اذا توافرت الصراحة والصدق . ومع ذلك ، فماذا نقصد بتصوير انفسنا ؟

وهنا أنا اتفق مع الناقد الذاتي بصعوبة اصدار احكام واقعية مطلقة ، وقوانين عامة ، لان مثل هذه القوانين في الشعر لا تنحصر في اطار الواقع ، بل هي نماذج تتحقق في الذات الانسانية بصورة بطيئة . لكن قولك ان الصدق وضع نسبي جزئي شيء وقولك انه ذاتي محض شيء اخر . (كما هو مفهومي من أقوال النقاد الذاتيين) ولو كانت حقائق الشعر شخصية ، وجماله كذلك ، فما ابعد حديقة الرضوان عنا ، سواء في ذلك من نظم القصيد ام من استساغه من النقاد انفسهم ! اذ علينا ان نصنع ما نريد ، او نتسلم ما صنع لنا ليكون ذلك ملكنا الخاص ... ذلك بان التعبير الذاتي لا يعني شيئا مهما تعددت اوصافه .

ومن السهولة بمكان ان نقول بان الشعر هو رد الفعل الشخصي لشاعر ما وانطباعه عن العالم ، وما النقد الا انطباع الناقد عن الشاعر . اما ردود الفعل هذه ، فما هي متى ما تأملتها سوى حالة شخصية بدرجة تكاد تكون تافهة ، اذ هي في مادتها الرئيسية نتاج اجماعي . فالانانية ، كنظرية ادبية ، في الواقع ، معرضة للاحتجاجات التي قدمت ضدها كنظرية سياسية او اخلاقية . وللاشخاص الذين يرغبون في توكيد ذواتهم ، والتفكير كما يحبون ، والعمل على حسب ما يشتهون — لكل هذه الطبقة من المتحللين هناك جواب عادل واحد هو : (دعهم يحاولون ذلك) ولن يستطيعوا انجازه — لان العالم لم يخلق شبيها بما يريدون فهو لم يتكون من الذات والاخرين والاشياء .

والحاجز الذي نضعه بيننا وبين الاخرين ، ولو انه طبيعي بدافع العادة كما نظن ، فهو بناء اصطناعي ، سفسطائي بعض الشيء . ومع قدرتنا على الهاء انفسنا بادراكه ، فهو لا يفرض نفسه على الروح في صحتها السليمة . وهذا هو السبب الذي يحدو بالنظريات الاخلاقية الانانية الى ان تعجز عن تلبية رغائب أي منا . ذلك بان الاثرة ليست السبب الرئيسي في تكوين الطبيعة البشرية، وكذلك التعبير الذاتي ، هو ايضا ، ليس العنصر الاساسي في الفن . فحين أسأل نفسي من انا ؟ واحاول الاجابة عن طريقة التعبير الذاتي ، أراني امام اكتشافين . واولهما هو أني أجد نفسي مضطرا الى أن اجيب ، او اعبر عن نفسي بعبارات او كلمات ليست تعود لي ، ولا للفن نفسه ، ولكن لهذه الاشياء قيمتها كجزء من تقاليد لا حدود لها .

والى هنا فالادب ليس للتعبير عن النفس ، بل هو يمكن فهمه بعده ضربا من الضغط النفسي . واعني بذلك حصر مادة شخصيتي في صور الفن ، التي هي صور عامة شعبية ، وما انا فيها سوى جزء متمم لها . وثانيهما ، اني في كل محاولة للتعبير عن نفسي ، يدفعني التأمل الى سجل من القيم او المواقف ، التي لا حقوق ملكية لي فيها اصلا . فأين تكمن قيم أي منا ؟ واعني بهذه القيم كل ما يهمنا او له صلة بنا . تكمن قيمي فيما أدعوه منظر حياتي ، في العالم الخارجي ، واحسن جزء في هذا العالم هو الذي يضم اصدقائي وكتبي او ربما حقولي ، وفي هذه الاشياء التي لا تخصني وضعت قلبي . فانا لست من انا . وحالما اجرد نفسي من البيئة الطبيعة او البشرية ، تلك البيئة التي هي مادة تفكيري ، اصبح مدركا صغر شأني ، وتفاهة قدري ، كما كنت من قبل ، وكما انا الان ، وهذه هي ذاتي .

وقليلون جدا منا يعرفون مدى فراغ اذهاننا . ومع ذلك فهذا الفراغ الروحي هو نوع من القوة . اذ نحن لا نملك أفكارا خاصة بنا ، وليس لنا ما نقوله . ففي أشد سخافاتنا ، واحسن تناقضاتنا الظاهرية ، ما نحن سوى مساهمين في شؤون العالم، وحدودنا الناتجة عن ذلك، هي احسن تعويض لنا ، واعظم ضمان يدفع عنا السوء . وكذا الحال حتى بالنسبة الى الشاعر ، فروح النبوءة لا تعبر عن نفسها . وانما « عن روح العالم العظيم » ومما هو معلوم ان نجاح أي مسرحية يعتمد كل الاعتماد ، على النظارة اعتماده على الممثلين .

ومن هنا يسوغ لنا القول ان الجمهور هو الذي يمثل المسرحية ، وهذا هو السبب الذي يجعلنا غير اكفاء لشكسبير ابدا . أقول ان الجمهور هو الذي يمثل المسرحية ، أي انه هو الذي يكتبها . فجمهور شكسبير الذي كان خليطا كاملا من الناس ، كان في الوقت نفسه صالحا لان يفرض على شكسبير الكتابة ...

ومرة اخرى بدأت أتحدث اكثر مما اعني ... فاذا لم اكن مسرورا بالنقاد الذاتيين ، او بالتعبير بين الفرديين ، فأنا كذلك غير مرتاح الى مدرسة النقد التي تنتهي من دراسة الشعر الى ملاحظة الاحوال الاجتماعية والسياسية التي تبعث الحياة فيه واعني الشعر ، لان هذه المدرسة تحاول اقناعنا بعدم وجود شعراء عظام ، وكل ما هنالك اناس يمثلون ضروب الحياة ...

يوسف عبد المسيح ثروة
بعقوبة — العراق

لولا نجمة

*

الصباح الآتي يموت .. وقلبي مبهم اللحن .. يمضغ المجهول ..
كيف يا ليل لا تعانق آلامي وأنت المحبَّب المأمول ؟
تحت أظلالك الشذيَّة أقتاتُ .. وماذا أقتاتُ غير الذهول ؟
كدتُ يا ليل أنكر العمر لولا نجمة لي وراء تلك التلول ..

سؤال

*

أسائلها عنكِ وهي التي | تحبك كالصدق والعفةِ
ويزلق طرفي على شفتيها | ترى ما تبوحان يا وردتي ؟
أحار .. فغابات فكري يجفُّ | بها كل ضوء وترتيلة
وذاك العبير ، عبير البحار | العماق يحشرج في لهفتي
وأسأل ظنّي .. فيا شقوتي | سأفتح للظن خمّارتي !

اذا مررت

*

يرتع الثغرُ ، والجراحُ اليتيماتُ بصدري ، اذا مررتِ بدربي ..
وتغنّي يدي اللعوبُ وتشتاقك ان تقعدي مع الليل قربي
يا غرامي ، زهّرت كرمةُ شوقي .. فانشريها على التلال الرحب !
واملئي العودَ من حنيني اليكِ . حسبه ان يذيع قصة حبي
أنا عُمري ، لولاكِ ، أنشودة خرساء مشنوقة على فم صبٍّ !

حلب — علي الزيبق

ملاحم رأس شمرا

بقلم محمد حاج حسين



تفيض ملحمة بعل (١) ، سيد الارض ، بشتى الانغام ، وتلتحم فيها الاحداث ، تتجمع في موكب هائل من النضال والعراك ، وهي تتناثر في اقسام متباينة ، كل قسم منها ، يغني حدثا مثيرا نسايره بلذة .

ان القسم الاول ، من هذه الملحمة الرائعة ، قد انتظم في قرابة اربعمائة بيت من الشعر ، بيد ان الزمن عدا على اكثرها ، ولم يبق منها سوى مئة بيت ، نستطيع بوساطتها ، ان نتفهم اغوار الملحمة ، التي تهز المشاعر .

وموضوع هذا القسم من الملحمة ، يدور حول معارك ضارية نشبت بين « يم » اله البحر ، وبعل سيد الارض ، وكان يساعد اله البحر « يم » في هذه الحرب الضروس ، الاله نهر والالهة عشتاروت .

تبدأ الملحمة بنزاع عنيف ، يتضرم بين الالهين ، بعل ويم ، فيتبادلان التهم ، ويصفعان بعضهما ، بدفع وجذب . كل منهما يقذف الاخر بصواعق غضبه . ولا نستطيع ان نعرف سبب هذه المخاصمة ، لان البداية المنقوشة على صحائف الفخار ، في حالة رديئة ، تتنافر فيها الكلمات ، ولكن الابيات التالية ، ترشدنا لمعرفة سبب هذا الخصام الحاد ، بين الالهين . الا وهو الذهب ، فكل منهما يود حيازته والاستيلاء عليه .

ومهما يكن من امر ، فان الالهين يهددان بعضهما ، ويتراشقان بالوعيد ، مما لا يدع مجالا للشك ، في حقيقة العواطف ، التي يكنها كل منهما للاخر ، فقوامها الكراهية والحقد ..

أما اليم ، اله البحر ، فتعصف به غضبة منكرة ، وتبرق في لهجته نغمة ، تدوي ببأس شديد لاستئصال شأفة خصمه ، ونراه يدعو الالهة اشهتارت حارسته لتسارع اليه ، وتنقض على بعل ، بهجمة عنيفة ، تطيح براسه في هوة سحيقة .

ولم يكن بعل مجردا من الحماية ، فهو محسوب الالهة « اناث » التي لا تظهر في هذا القسم من الملحمة ، ولا يتشابك الالهان بمعركة على الفور ، بل يكتفيان بالكلم اللذاع ، وتبادل النظر الشذر ، وينسحب بعل ويبقى اليم في مكانه .

ان « بعل » سيد الارض ، يحس احساسا عميقا ، انه دون اليم قوة ، فتهيب الموقف ، ولم يرد ان يخوض المعركة ، فآثر السلامة ، منسحبا بتؤدة ورفق ، ليفزع الى ابيه ، آل ، اله الالهة ، الذي كان يربض بشموخ وعزة ، في قلب جبل (لول) مع آلهته ، حيث يجد الطمأنينة والراحة ، بعد تلك اللذعة ، التي انتابته من اليم .

ويتقرى اليم ، مكان بعل ، ليدق عنقه ، ويعلم أخيرا ، انه في مثوى ابيه ، فلا تكتنفه الرعدة ، ولا تأخذه الهيبة ، بل يعتزم ، ان ينال منه بغيته . ويرسل رسله الى آل ، يطلب منه بلهجة قاسية ، ان يطرد بعل ، ليتاح له الانتقام منه .

وعندما يقترب هؤلاء الرسل من الجبل المقدس ، نرى الالهة ، الذين كانوا جالسين ، على الارض يأكلون ، يطرقون برؤوسهم . ويشده بعل ، لهذه الاطراقة ، وتلم به وجسة من هذه الحركة ، فيلتفت اليهم ، متسائلا بقلق ، عن علة هذه الاطراقة المريبة . انه يريد ان يعلم السبب ، الذي حدا بهم ، الى هذه الحركة ، ويلح متسائلا عنها ... غير انهم ، لا يعيرونه لفتة ، ولا يتبرع واحد منهم ، بنقع غلته ، بالرد الشافي ، الذي يخنق هذه الغصات ، التي لاعته .

ان الآلهة تعتبر نفسها ، غير مكلفة باجابته ، لانها غير مسؤولة ، الا امام كبيرها وخالقها آل ، الذي له ملء الحق في سؤالهم .. ولهذا ظلوا لا ينبسون ، تاركين بعل ، فريسة للقلق ، من هذه الحركة ، التي جاءت مفاجئة له .. والتفتت عيناه ، الى آل تتوسلان ، لمعرفة كنه الحقيقة .. بيد ان آل ، ظل مغرقا في صمته ، لا تخرج من فيه المقدس ، كلمة تقضي على هذه اللوعة ، التي تفتك بابنه بعل .

ووصل رسل اليم الى الجبل المقدس . وها هم يتصاغرون ويترامون بخشوع امام آل ، يتلمسون منه البركة والرضوان ، وقد فاض بهم ايمان عميق ، تجلى على ملامحهم ، ثم ينهضون ، ليقرأوا الرسالة التي حملهم اياها يم ..

كانت الرسالة وجيزة ، تنتظم بعبارات قوية . في لهجة آمرة ، تطلب من الاله الاكبر ان يسلم ابنه بعل الى اليم ، وكان ختامها هذا الوعيد السافر ... سأستحوذ على ذهبه الخاص .

وعندما يفرغ الرسل من قراءة الرسالة ، يقول آل بعزم : ان بعل خادم يم .

وهكذا حكم آل ، على بعل ، سيد الارض ، ان يخضع لليم ، اله البحر ، ويدفع له ذهبه ، فانتصار اليم ، قد بدا وضاحا لا شك فيه .

ولكن بعل ، لم يخضع لارادة آل بل تنمر وصرخ : لن أدفع له شيئا .

وهجم على الرسل ، يوسعهم ضربا ، وقد طما به حقد كريه ، واشتعلت به رغبة مضطرمة للانتقام ، ويتداعى الرسل أمام وقر ضرباته الاليمة ، ويتدافعون ويتصايحون ، وهو يمطرهم بوابل من اللكمات والصفعات ، معلنا ثورته على ارادة ابيه آل .

وتتدخل الالهة ، اشهتارت ، حامية اليم ، في صالحه ، فتلقي بنفسها على بعل الثائر ، الذي يفري بضرباته الوجيعة ، الرسل المساكين .. ولكن عبثا تفعل ، فان بعل ، قد انفلت من قبضتها الهاصرة ، وراح يمعن ضربا اليما ، في هؤلاء الرجال ، الذين حملوا رسالة اليم الى آل .. واخيرا تحتضن اشهتارت بعل ، وتشده من اليمين والشمال ، فكان ينسرب

---

(١) راجع عدد اغسطس الماضي من الاديب صفحة ٢٢

منها بقوة ، ويشفي غليله من الرسل ، الذين يتدافعون امامه كالاغنام ، يتلقون الضربات الهائلة ، فيخرون تحت وطأتها الفادحة .

كيف كانت نهاية هذا الفصل من المأساة الدميعة ؟.. لا ندري .. لان نهايته قد ضاعت مع الزمن ، ولم تصل الينا .. ولكننا نستطيع ان نستنتج من اجزاء الملحمة المتنافرة ، ان رسل اليم ، قد هووا صاغرين ، يتلقون الضربات ، لا يستطيعون فعل شيء ، امام هجمات بعل ، وغضبته اللاظية ، فقد فعل رب الارض ما يشاء ، في هؤلاء المساكين ، الذين لا يملكون دفعا لبطشه الذي يهد الجبال .

وتنفصل المقاطع الثانية عن الاولى بقرابة مئة وخمسين بيتا قد تبددت ، ولكن من المؤكد ان كبير الالهة آل ، امر كشهير ، مهندس الالهة ، ان يبني قصرا شامخ الذرى ، وطيد الاركان ، لليم والنهر ، ليرتعا في أبهائه ، وينعما في فيئه .

عنا الاله كشهير لارادة آل ، وببراعته الفائقة ، ارتفع القصر الشامخ ، بيد ان كشهير ، بعد ان انتهى من تشييده ، انحاز فجأة الى جانب بعل ، وانضم الى حزبه ، وها هو يشجعه على الفتك بعدوه ، بعبارات تتقد بالحماسة ، ويهتف به بصوت مرنان : اضرب عدويك .. ابطش بهما .. يجب الا يعروك الخوف منهما ، اذا اردت ان تحتفظ بالسيطرة الى الابد ..

ولا يكتفي كشهير بالعبارات الحماسية ، بل يضع كل مقدرته لنصرة بعل ، فهو يصنع له حربتين ، يبرق الموت في نصليهما ، ويقدمهما له ، طالبا منه ان يفتك في عدويه اليم والنهر ، ليتسنى له المجد والغلبة الدائمة .

ويرامق بعل الحربتين ، بعينين تفيضان حبا واعجابا ، ويقلبهما ، بشغف وحنو ، فهما الوسيلتان اللتان سيخمد بهما انفاس عدوه ، ثم يخاطبهما بقوله : اقفزا بسرعة وطيرا كالنسر ، واضربا اليم على جبهته وبين كتفيه .

ثم يسرع بعل الى قصر يم ، ويصوب اليه طعنة قاتلة في ظهره ، واخرى قاضية في جبهته ، فيقع تحت وطأة الضرب ..

وفي اللحظة ، التي يقع فيها ، ينهار القصر المنيف ، كانه لم يكن ..

هل مات اليم ؟.. لا ندري ، فالابيات الضائعة ، كان لديها الجواب على هذا السؤال ، ولكن الذي لا شك فيه ان اليم قد غلب على امره ، وانتصر بعل ، مزهوا بقوته .

أما الالهة اشهتارت ، التي كانت تستطيع ان تساعد اليم ، فلا تظهر الا اخيرا ، يصيح الغضب في عينيها ، وتصرخ في بعل : يجب ان يعروك الخجل .

ومن المؤكد انها قالت الشيء الكثير ، ولكن الخمسين بيتا ، التي ضاعت من هذا القسم من الملحمة ، تحوي حديثها الغاضب .

بعل واله الموت

تنشب المعركة ، بين موت ، اله الموت ، وبعل سيد الارض ، الذي تشد ازره أخته العذراء أنات ، التي تظلله بحمايتها ، وتدرأ عنه القوى الشريرة ، التي تهاجمه .

ان أنات ، ليست أخت بعل فحسب ، بل هي محبوبته ، يتجه اليها بعواطفه ، فهي مهجع احلامه ومهوى فؤاده .

وكان لبعل ثلاث بنات : الصاعقة ، والندى ، والارض ، وهو يعيش في برزخ بين الارض والسماء . ولسنا نعلم ، اذا كان الابن الاكبر لآل ، ولكننا على مثل اليقين ، انه لم يكن الابن الاثير لديه ، بل على العكس ، فهو دوما في نزاع معه ، ولا نعلم السبب لهذا اللدد بينهما ..

هل اقترف بعل خطيئة ، استحق عليها غضبة كبير الآلهة ؟ أم انه كان يرهبه ، لانه كان طماحا ، يتطلع الى عرش الاله الاكبر ليحكم العالم ..

منذ اللحظة الاولى ، التي يلتقي فيها بعل ، مع موت ، يتكشفان عن عدوين شديدي الوطأة يصيح فيهما حقد كريه فكلاهما يجتوي الاخر ، ويتمنى له الهلكة .. ويهجم كل من الالهين على الاخر ، كالثيران المتوحشة ، يود كل منهما ان ياكل الثاني ، ثم يتراكضان بسرعة فائقة ، كما تفعل الخيل في حلبة السباق ، هدف كل منهما ان يمزق الاخر. ولكن ، اذا كان الموت قويا ، فان بعل قوي ايضا ..

وهكذا اسفرت المعركة بينهما ، عن لا شيء ، فقد تراجع كل من العدوين المتقاتلين ، يشحذ قواه ، ليفتك بالاخر ، ويرديه حتفه .

وتدخلت أنات ، لتقسر الموت ، للخضوع لبعل ، ويقدم له الغذاء والشراب ويبدو ان الموت ، قد انصاع لرغبة أنات ، ولكن هذا في الظاهر فقط .. انها مجرد خديعة قام بها الموت . فبينما نراه ، يسرع لخدمة بعل ، ويقدم له ما يحتاجه من غذاء وكساء ، اذا به يلهب حماسة جميع السكان ضد خصمه اللدود ، حتى انه لا يتورع ان يثير عليه خدم الالهة انات نفسها ، ليسعوا للبطش به .

ويستبد الغضب بأنات ، لهذه الخدعة الشنيعة ، وتتوتر أعصابها ، ويثور الدم في عروقها ، وتعتزم الانتقام الهائل ، فتضرب ضرباتها القاصمات ، ابناء المدينة ، ثم اولئك الذين يعيشون على شاطىء البحر ، واخيرا سكان الشرق ، فتصب على هؤلاء المساكين ، جام نقمتها ، وتمعن فيهم تقتيلا وتدميرا وهي لا ترتوي من الدماء المسفوحة ، التي تخضب الارض .

وعندما تنتهي هذه المجزرة الدموية ، وتشفي أنات أوامها من الانتقام ، يتعاورها فرح طاغ ، وتداعبها منى زاهرة عندما ترى الرؤوس ، التي قطعتها ، تتجمع كبرج مشيد امامها ، فتدلل غريزة الانتقام فيها ، ثم تزداد فرحتها ، عندما تبصر الايدي الجمة ، التي قطعتها ، تتطاير في الهواء كالجراد الزاحف ، فتشعر بان غضبها قد انفثأ ، وتداعبها نشوة حالمة ، لانها انتقمت لاخيها وحبيبها بعل ، من الموت الغادر ، الذي كاد ينشب مخالبه في عنقه ، ويغيبه عن هذه الدنيا الزاهرة ، التي تومض بالبهاء ، وتنبض بالجمال .

وفي زهو وطرب ، تجمع أنات هذه الرؤوس المذبوحة ،

قصة تونسية

نهاية اديب

بقلم السيدة ناجية تامر

٥

— لقد اثار مقال البارحة ضجة كبرى في الاوساط.. وابنما ذهبت وتوجهت اسمع كل فرد من الافراد آخذا بمدحك والثناء عليك ... انك لكاتب اكتب واديب اشهر .

— حقا ؟ ستقول ان الفضل في هذا يعود اليك !..

— الي انا ؟ وهل هناك من احد يستمع لما اكتبه لو اني اضع امضائي في اسفل مقالاتي وقصصي ؟ انت يا سيدي ذو فضل كبير علي ، فبواسطتك انت اجد متنفسا لما يدور في صدري من افكار وآراء ...

— وفوق هذا ، فانت تربح ماديا ما يجعلك في غنى عن مد يدك للسؤال .

— ربحي مادي ومعنوي في آن واحد ، فكيف انكر جميلك العظيم وفضلك العميم ؟

— هل اعددت قصة الاسبوع ؟

— لا تزال الخاتمة ، وغدا ستكون جاهزة باذن الله ، فهذا لا يستدعي اكثر من بضعة اسطر !

— خذ ، هذه الف فرنك لمقال البارحة ، وغدا سأمنحك مثلها اذا كانت القصة جيدة ...

— شكرا لك ! لولاك ما كنت اعرف كيف استطيع العيش ، فالعيش لدي ليس في الخبز والادام فقط ، بل في الكتابة والادب ... وانك لا تستطيع ان تقدر السرور الذي يغمرني حين يطالع الناس مقالاتي بلهفة بالغة وحبور كبير ..

— مقالاتك ؟

— ماذا يهم ان لم يذكر اسمي في ما اكتبه ؟ المهم ان تجد مقالاتي وافكاري صدى في صدور الناس وعقولهم.. انا مؤمن بحقيقة كبرى ، وهي لو اني تجاسرت على الجهر باسمي لقابل الجمهور آرائي بالسخرية والازدراء بدلا من التمجيد والاكبار !..

— انت تقر اذن بان الناس يمجدون الاسم لا الافكار؟!

— وكيف لا اقر ذلك وقد جربت وفشلت ، ولولاك ما كنت لاجد في جيبي ثمن رغيف من الخبز !..

— اياك ان تغلط ويدعوك الغرور للجهر بالحقيقة !..

— وهل سيصدقني الناس لو ذكرت مثل هذا الكلام ؟ ان مقالاتي تصدر باسمك من خمس سنوات ، ولم

والايدي المقطوعة المتطايرة وتضعها بكيس ضخم ، تحمله على كتفيها ، مزهوة بفعلتها التي اتاحت لها ، ان تنتقم من الموت ، الذي لم يصخ لكلماتها ، عندما طلبت اليه ، ان يقدم لبعل الغذاء والشراب ، الذي يحتاجه . وهكذا لاقى الموت هذه المجزرة تحل باتباعه جزاء وفاقا ، لتمرده على انات ، المتولهة ببعل ..

لم يكن هؤلاء الذين ذبحتهم انات المجرمين فحسب ، بل هنالك عصاة اشد خطرا وعلى انات ان تنتقم وتقيم مجزرة اخرى ، لا تقل عن الاولى عنفا فالموت بحذاقته ولسانه المعسول ، قد استطاع ان يؤجج الثورة في نفوس خدم انات وجندها .. اولئك الذين كانوا يقومون على حراسة هيكلها وخدمته ، فقد استجابوا ، لسوء حظهم ، الى نداء الموت ، فاعلنوا العصيان على انات ، وثاروا عليها ، ليتخلصوا من قبضتها الهاصرة . ويترامى النبأ الصادع الى انات ، فتصعق لهذا التمرد المشين .. وسيكون انتقامها حديث الآلهة في عنفه وعسفه ، فهي ستكسر اعناقهم ، وتدوس على اجسادهم ، بعد ان تستل ارواحهم الشريرة ، التي نهدت الى التمرد عليها ، والتألب مع خصمها ضدها.. فيا ويلهم من بطشتها البكر وغضبها الذي لا يبقي ولا يذر .

وتسرع انات الى هيكلها العتيد ، لترتوي من الدم المهدور ، تطفيء به هذه الثائرة التي تحرق صدرها ، الذي يعلو ويهبط بوجيف جبار ، من جراء هذا العصيان المجنون، الذي قام به جندها واتباعها .

ووصلت الى هيكلها ، وقد احمرت عيناها ونزا فيهما الدم .. وها هم اتباعها يتراءون لها ، فتنقض عليهم انقضاض الصاعقة ، وتأخذ اساس بيتها .. الكراسي والموائد ، وتضرب بها اتباعها ، الذين تنكبوا الطريق السوي ، فيتدافعون امامها كالقطيع ، ويهوون تحت ضرباتها التي لا ترحم .. وها هي تطيح الرؤوس ، وتفجر الدماء ، وظلت تضرب وتضرب .. دون شفقة حتى طفحت الارض بالدماء، وصارت كبحيرة لكثرة ما تفجر من الدم المراق ، ومشت انات بهذه البركة من الدماء حتى ركبتها ، فشعرت بالفرحة، وامتلأ قلبها بالحبور ، وفاضت بالضحكات الطروبة .. واخيرا غسلت يديها ، بهذه الدماء ، التي فجرتها كالسيل واطلقت اهزوجة محملة ، بكل عوامل المسرة ، التي ازدهت بها ، من جراء هذا الانتقام الشديد ، الذي غسلت بهنقمتها اللاهبة ، على اتباعها ، الذين غرر بهم الموت .

وهكذا انتقمت انات الراعبة ، لشرف بعل ، وانقذته من الموت ، الذي كاد يحرم الارض من سيدها .

اللاذقية ـ سوريا — محمد حاج حسين

يدفعني الغرور قط الى الجهر بالحقيقة ... ان في ذكر بعض الحقائق جنونا لا احسبني اقدم على مثله . وهل هناك جنون أعظم من قطع رزقي بيدي ودفن آرائي في صدري ؟ ان الجمهور اذ يقبل على انتاجي فذلك للاسم الذي يحمله ، ولو ادعيت بغير ذلك لعدني معتوها او مجنونا ...

ـ من الفضيلة ان يعترف المرء بالواقع ، ولا يدع نفسه تنساق مع الاوهام !

ـ ان كل من يذوق مرارة الواقع ، لا بد ان يحس بحقيقته ، لان هذه المرارة تظل عالقة في حلقومه ، مهما حاول تجاهلها وغض النظر عنها ، فهي تذكره بالماضي ولا بد ان يشعر بها ، ولو في قرارة كأس طافحة بالحلاوة يجود بها عليه الزمان فيما بعد ، فكيف به والزمان ضنين ولو بقطرات قليلة من الحلاوة والصفاء ؟..

ـ لولاي لمت جوعا ولما أبه لمن كان مثلك احد .

ـ يكفيني ان تعترف انت وحدك بكفاءتي ، وهذا يعزيني في محنتي . لولا وجود زوجتي واولادي لما خلت كأس حياتي من بعض الحلاوة التي لا بد ان يتذوقها كل انسان !..

ـ ما كان لواحد مثلك ان يقدم على الزواج !

ـ ما اقدمت عليه الا هربا من وحشة نفسي ، فاذا بي اجدني في وحشة اكبر ، وبدلا من التفكير في شخصي اصبح علي ان افكر في غيري ...

ـ ليس لك ان تطمع في كرم اعظم من كرمي ، فانا امنحك ثلاثين الف فرنك في الشهر تقريبا مقابل انتاجك !

ـ ما كان لي ان اطمع في كرم اعظم من هذا ، فانت سبب حياتي وحياة عائلتي ، وبودي لو ان ابواب افكاري تتفتح عن مقالات وقصص اكثر جودة لاستطيع ان افيك حقك من العرفان بالجميل .. جزاك الله خيرا !.. الديك شيء آخر توصيني به ؟..

ـ لا ! لا تنس قصة الغد !

ـ ليطمئن بالك ! فما كان لمثلي ان ينسى !..

* * *

وخرج « نجيب » من باب المكتب متجها الى منزله ، وهو يفكر في خاتمة الرواية ، وكان شابا نحيل الجسم اصفر الوجه ، ولكن عينيه واسعتان جميلتان حافلتان تفيضان ببريق يشع بالوداعة والذكاء ، وقد نشأ يتيم الاب والام فكفله عم له وضعه في مدرسة فاظهر تفوقا واجتهادا بارزين ، ولم يكن عمه على يسار ، ولهذا اضطر لاخراجه وهو في منتصف مرحلة التعليم ليساعده في ادارة حانوته الذي كان يرتزق منه . ووجد الغلام نفسه في حانوت بقالة يقيد الحسابات ويراقب الداخل والخارج ، ولكن عمله هذا لم يمنعه من مطالعة الكتب التي كان يشتريها مما يوفره من مصروفه ، وبهذا كان يعيش بجسده في الحانوت ، وبفكره في عالم آخر مشحون بالرؤى والخيالات يخالف كل المخالفة العالم الذي يعيش فيه .

ومات العم بعد مرض قصير ولم يجد الغلام الصغير المقدرة الكافية على ادارة تجارته الصغيرة بمفرده ، فباع الحانوت ، واخذ ينتقل من عمل الى عمل ، وليس له في هذه المرحلة من الحياة الا محطة يستريح فيها من عناء النهار بالتهام الكتب التهاما في ساعات الليل ! ..

واطلع بعض الكتاب على اسلوبه فاعجب به وعرض عليه ان يجرب نفسه في امتحان الادب ، ولكنه فشل في هذا الميدان فشلا ذريعا ، فاين الذي كان يشق بمقدرة الاديب الصغير ونبوغ البقال الحقير ؟ واين هو ذاك الذي يدفع ثمنا لما يكتبه ذلك الناشيء الغرير ؟!..

وحاول الكاتب في اسداء خدمة له باستخدامه في مطبعة يديرها احد الموسرين واطلع صاحب المطبعة على بعض انتاج البقال وراق له ، وعرض عليه ان يكتب له بعض المقالات باسم مستعار . وشاءت الصدف ان تلاقي مقالاته قبولا حسنا من الكثيرين ، واخذوا يتساءلون عن اسم الكاتب الحقيقي . وحينذاك خطرت على بال صاحب المطبعة فكرة، فكرة نسب المقالات له ، ودفع الثمن للناشيء الفقير ...

ورضي « نجيب » بهذا الواقع ، وما هو اسمه ليتعلق به كل هذا التعلق ، ويأبى الا ان يسطع بدوره في كبد السماء ؟.. افكاره تشع وتجد صدى في العقول ، وهل للاسماء قيمة ما امام الافكار ؟..

* * *

يا الهي !.. لقد وجد الخاتمة ! عليه ان يسرع ليسجلها في دفتره ... لقد مرقت في فكره كما يمرق السهم ، وليس من البعيد ان تسهو عنها حافظته بعد حين ... واسرع في السير ، وتقدم للامام ليقطع الطريق ، وفي نفس اللحظة برزت سيارة كبيرة مسرعة ، فصاح به سائقها مغيظا محنقا ليبتعد ، ولكن بعد فوات الوقت ، فقد صدمه مقدمها وسقط بين عجلاتها ، ولم تسجل في تلك اللحظة الرهيبة الا صرخة خافتة صدرت منه .. وصرير عجلات السيارة ...

* * *

وتساءل الناس بعد حين ، لم لم يعد يكتب فلان ، ولم يحرم الناس من ادبه الرفيع ؟ وقيل انه قد اصابته مصيبة أزهدته في الكتابة ، وتحسر الكثيرون وتململوا من حرمانهم من ادبه الرفيع ، ونادوا به ان يكون اكثر شجاعة لتلقي ضربات الحياة ... ولم يجبهم فلان الا بالسكوت ...

فزادهم سكوته تحسرا وتأسفا ... وبقي القمر محتفظا بلألائه رغم ان اشعة شمس فكر الاديب الحقيقي قد طواها القبر ... ولكنها استطاعت ان تخترق التراب وتفرض نفسها .. وان تكن قد اتخذت لنفسها اسما آخر.

ان افكاره اشعة الشمس التي كانت تشرق على القمر ، فيبدو من خلالها لامعا مضيئا ، وما القمر الا ذلك الرجل الذي اتخذه مطية للاشتهار والاثراء ، يراه الناس لامعا متنقلا في السماء بينما هو في الحقيقة جامد لا ضياء فيه ولا رواء ...

لقد شاع ذلك الاسم واصبح يبهر العيون والابصار ، وبقي الاسم الآخر ، اسم الاديب المغمور ، وعائلته المحطمة الفقيرة لا يذكرهما انسان !...

تونس — ناجية تامر

الفلاح الشيخ

لهنري موسى حاماني

وتسيح تتمح خطاه
وذاك الطريق طويل ...
طويل كليل الالم
الى منتهاه ... يجرُ القدم
تدبُ السنون على ظهره
وتشقى رؤاه
ففي عمره ... فراغ وغم
وفي ثغره ... هتاف العدم
وتلك الدروب السحيقه
ترد اليه صدى ذكريات عتيقه
فتشهق عيناه ... :
الى أين امضي ... ؟؟
انشرُ في الكون بعضي
وانأى شريدا غريبا بارضي
الى أين امضي .. ؟
خطى تقلق المطلق الساكنا
ويسخرُ مني الزمان
كأني صغير يلاعب دميه
ويلهو ، لملء الفراغ ، برميه
ويجدب حولي المكان !!
الى أين امضي ؟
خطى تقلق المطلق الساكنا
ترجع اصداء بقيا منى

* * *

ويمشي ، ينقُ
على كل انّه ... عصاه تشقُ
على كل عنّه ... خطاه تدقُ
وتسودُ في لفتة الطرف رؤيه
فيوثق مشيه
يحدّق ... لا ... لا يرى
ويطرقُ ... لا يسمعُ
هنا منجلٌ يلمعُ
هنا معولٌ في الثرى
هنا ساقيه
هنا كرمةٌ طاب ... فيها النبيذ
ترى باقيه
وتلك العواصف تصعقُ صعقا
وتخلق فينا البطولة خلقا
وذاك الربيع يلوّن قلبه
ويغرسُ في كل قلب محبّه

* * *

ثقيلٌ ... ثقيل هواه
يداه ثقيله

تكاد تنوء عصاه
تكاد تمل غلوله
تمل سبيله
وترجف ، ان تلمس الكف ، قرًا
تهزُ كطفل غدا مقشعرًا
فيوقف اطياف ركبه
ويخلع عنه عباءة ندبه
واذ يمشيان الى السنديانه
يراجع كل متانه
تقول عصاه :
« أماه ...
ضمي غروري اليك
أكاد اذوب فراقا عليك »
فيلهث .. بائا مع اللهث غلّه !
وهذه قزت من العمر قلّه
ايا ويح امسي
ففي كل نقله
يصادف رمسي
فيوقظ غفله
بنفسي ... وذلّه
يقولون مات شبابي
وماتت زنودي ومات ربابي
وذاك الفتى ...
ما تراهم يقولون فيه
لغيري صنعت شبابه
لغيري صقلت اهابه
لطيش لتيه
لهزء ... فكل الدنى تزدريه
يترّع ، للحاقدين ، حنوه
وصدرا لفتك الحديد ـ وقوه

وتوقا ... وشهوه
... بيادرنا ... غاب عنها الذهب
وكرمتنا ... جف فيها العنب
سيول الشتاء تقصف اشجارنا
وتقذف للنهر اعمارنا
وبحيا ، بنيّ ، ليشعل قمه
ويوقظ امه !!!

* * *

وسار يجرر همه خلفه
ويفتح للريح فاه ... وانفه
هو الليل ... حيث يحل
يطوف من الغيب ظل :
« بلادي عشقت عليها الهي
وليت الهي يحب بلاده
يدوس الزمان رباها
يذلل من كبرياها
ويسحقنا ... يسحق الحب فينا
ويسبي بنينا
بلادي عشقت عليها الهي
وليت الهي يحب بلاده !!
وشعبي غرير
بخطو الغرور يدوس المجره
ويعبث من كل نجم بغرّه
ينقل في التيه احلامه
طروبا ... كشلو بشهقه
وينقش في الوهم اصنامه
شقيا يقلص افقه
ويبدأ ... يبدأ في كل يوم جديدا
فلا يكبر ... ولا يعتق
ولا يصغر ... ولا يمحق
يجول هياما ... يمل القعودا

* * *

هو الفجر ... الله ... هل يخطر
وعن ناظري ترى يحسر
أحب البقاء وان في الفراغ
وان في الزواغ
واعشق يبسي واستقطر
اذا مت مات هواني
ومات شعوري بظلم الثواني
احب البقاء
طريد الفناء
اسامر موتي وانتظر .



ستار يا ليل

لجاذبية صدقي ـ مجموعة قصص ـ ١٥٧ صفحة ـ «الكتاب الذهبي» بالقاهرة

ليس ثمة اقتل وافتك بادب القصة من الصحافة الاسبوعية واليومية كلتيهما بما تتطلبان من نسغ وغذاء تسدان به الرمق وتبلان ما يستعر في صفحاتهما من صدى وغليل . والصحافة ـ بنوعيها هذين ـ ليست تبالي بجودة ما يدفع اليها من القصص وسائر فنون الادب ، وانما هي تنظر في هذا المضمار الى توفر عنصرين : شهرة الكاتب ، وعنصر التشويق والاثارة بدغدغ احاسيس القراء ويهيء لهم ضربا من التسلية وتزجية الفراغ لا يكلفهم التمتع به اكثر من فرنكات معدودات ثمنا لمجلة اسبوعية يتناولونها من يدي بائع الصحف على الطريق . والضررعلى ادب القصة من هذه الصحافة مصدره ذلك الصدى فيها الذي تصر معه على ألا ترويه الا من كؤس كاتبين معينين ، او ممكني التعيين ، مما يدفعهم الى السرعة في الكتابة ؛ فتأتي آثارهم فجة ، أقرب الى الاسفاف ، يعوزها المزيد من التركيز والتروي والاتقان . والسيدة جاذبية صدقي اديبة تملك المقومات التي تجعلها حقيقة بان تسهم في خلق القصة الادبية العربية الرفيعة ، لولا ان راودتها الصحافة تلك ، فاذا هي تستجيب ؛ ملقية الى جانب بمقوماتها الابداعية ؛ لتبقي في جعبتها على مجرد خيال واهن يرضى عن ادنى فكرة تومض فيه ، فتتشبث بها باستماتة ، وتروح تصوغها صياغة خاطفة ؛ غير آبهة بما اذا واكبت الفن ام نبت عنه ، ما دام ثمة مجلة فاغرة فاها تترصد ما يقذف الى جوفها من كاتبيها المسمين .

والسيدة جاذبية ـ في مجموعتها هذه التي اخرجها في تموز (يوليو) الماضي « نادي القصة » في سلسلة « الكتاب الذهبي » ـ تبدو متعجلة غير معنية بتقنية القصة ، وانما هي حريصة على ان تلبي نداء المطبعة الملحاح ؛ تومض في خاطرها « الفكرة » ، فلا يكون منها الا ان تتناول القلم ، وتضع القصة كيفما اتفق وفي مخاض غير عسير ؛ فاذا القصة هزيلة باهتة الروح . ان « الافكار » لنجدها حيثما حط بنا الخيال ، وما كل فكرة تومض بالخاطر بصالحة لان تكون موضوعا لقصة ؛ وعلى القاص ان يصطفي الافكار الاكثر صلاحية ، ثم يعيش تجربة شخوصها الزمن الكافي ، وبعدها يطلق سراحها على الورق لتستوي قصة حية نابضة يكتب لها النجاح والبقاء ... فهل « اصطفت » الكاتبة الكريمة الافكار الصالحة ؛ وهل تمثلت تجربة ما اصطفت ؟.. لا . نقولها باصرار ويقين !

في المجموعة سبع عشرة اقصوصة ، ثمان منها فقط استوفت ـ مع شيء من التجاوز ـ الشروط الفنية « للاقصوصة » ؛ اما « اخي المغربت » و « نعيم الدنيا » و « حبيب قلبي » و « جلاء » ، فانها مجرد « صور » عابرة ، في حين نجد ان مواضيع خمس اخرى ـ « المجنونة » ، « الباحثة عن نفسها » ؛ « دجاج » ، « زكريا » ، « ستار يا ليل » ـ اقرب الى مواضيع « الروايات » ، كما في « الباحثة عن نفسها » ؛ فقد وقعت اول احداثها والبطلة طالبة علم في سن الحداثة وانتهت وهي في سن الكهولة ، ولكي تقطع المؤلفة كل هذا المجال الزمني البعيد فانها تلجأ في ثلاث منها ، الى الطريق المألوفة وهي سرد القصة على لسان البطل بضمير المتكلم حيث يتقبل القارىء هذا القفز دون ما عناء .

ولقد اسفرت هذه المجموعة عن ولع السيدة جاذبية « بالاستطراد » ، انها تتركنا حيث تشاء لتقص علينا خبرا خطر في بالها او نكاهة تروق لها ، ثم تعود لتستأنف السير في طريق القصة المستقيم . وقد يطول استطرادها ونحن في الانتظار ، فيصيبنا من امرنا ضيق وملال ، وربما هممنا بان نتركها ونمضي آسفين لولا ايثارنا ورغبتنا الصادقة في ان نطالع نتاجها هذا الذي عزمنا على ان ندرسه ونكتب فيه .

ولكي لا يظن بنا الغلو والتجني ، نقول : ان قصة « الصعيد من فوق » ـ مثلا ـ ضمت « مقدمة » تجاوزت خمس الصفحات ليست من صميم القصة في شيء ، ولو نحن حذفناها لما احس القاريء بفراغ ، فهي تضم خواطر البطلة ـ الراوية ـ حول « الصعيد » وذكرياتها فيه ، وانه ليصلها في تلك اللحظة خطاب من صديقتها هناك تنهي اليها فيه نبأ مرضها وسوء حالها ، فتعزم الراوية على السفر اليها ، فيأبى زوجها عليها ذلك ، فتبكي ؛ فيرضى .. ثم تصل الى الصعيد . وهناك .. تبدأ القصة. اما في قصة « عيناها عيناها » فتستطرد البطلة الراوية ـ وللمؤلفة غرام بالسرد على لسان البطلة ـ ذاكرة عدد اخواتها وموت ابويها وتشتت الاخوة بالزواج لولا ان يجمعهم الاخ الاكبر في منزله في منتصف كل شهر ، ولا يفوت الراوية ان تقول : و « لي ابن اخت صغير جميل يأتي معه بماعزة لا يزيد طولها عن شبر ... وهي لا تستحي ابدا ، وتجيب داعي الطبيعة فوق اروع سجادة يمتلكها اخي .. » (الصفحة ١٢١) . ونظل في الانتظار صفحتين، الى ان تقول المؤلفة: « وفي احدى المرات..» ثم تبدأ القصة . وفي « الباحثة عن نفسها » ، تريد البطلة الراوية ان تنهي الينا انها خطبت في حداثتها ولكنها تأبت على الزواج ، فاذا هي تنساق في تعداد اساليب الخاطبات في امتحان محاسن الفتاة : تتحسس احداهن نهديها البكرين ، وتقرص ذراعها ، وتقبلها من فمها بل تحتوي شفتيها في القبلة .. وتشم بدنها ؛ وتمتحن سلامة نظرها ومتانة اسنانها. وقد كنا نستسيغ ذلك لو اننا بصدد قصة تعالج افانين الخاطبات تلك كموضوع رئيسي لها . وفي القصة ذاتها تريد الراوية ان تقول انها حملت ـ بعد زواجها ـ ووضعت بنتا ، فاذا هي تنشغل بوصف متاعب الحمل منذ تشعر الام في احشائها « بالنبضة الاولى » الى ان « يمسك الزمن ناقوسه يدق به ظهرها » .

على ان اعجب استطراد في المجموعة ذاك الذي وقعنا عليه في قصة « قطط بيومي افندي » . فعلى الرغم من انسانية الفكرة التي تدورحولها القصة ، الا ان الاستطرادات المتوالية اجهزت على تقنية الموضوع وجعلته مسخا شائها . تصور .. تمر البطلة وطفلتها وضيفتها بالمطعم لتناول وجبة الغداء ، فيعرض الساقي فنجان القهوة على الضيفة ، فترفض ؛ فيلح ؛ فاذا بها تضرب « يده ضربة اطاحت بالقهوة الساخنة على الارض..» وهنا تسرع صاحبة الدعوة الى محفظتها « وسحبت ورقة مطوية ظننتها قطعة من فئة الخمسة قروش ودستها في يد الساقي » .. و « لكنني فوجئت بالساقي يجذب يدي ثم يهوي عليها بشاربه الكث كالشوك » ، ثم يلوح ويقبل « الجنيه الذي اعطيته اياه .. خطأ » (٤٤) . ثم ان الطفلة تتملص في المطعم من امها وتروح « تركض في ارجاء المكان وتقفز وهي تفرغر بالضحك ، وكان هناك رجل يتغدى وحيدا في ركن .. رجل مكفهر السحنة ، فانقضت « سوسو » على فردة حذائها وقذفته بها وهي تصيح : « لا احب وجهه » .. وجذبت غطاء المائدة والتفعت به ، وسارت تتبختر ... » (٤٥) .. هذا اكثر من ان تتحمله اعصابنا وتتقبله اذواقنا يا سيدة جاذبية !

ان الكاتب عندما يأخذ في وضع القصة ، يترى في خياله حشد من الخواطر والصور لا حد لها ولا رابط بينها ، وعليه ان « يصطفي »

منها ما تشده الى « الحدث » الرئيسي اواصر القربى ووشائج الوحدة ، كيما تصبح القصة كلا متماسكا لا لغو فيه بحيث لا يمكن ان يحذف منه ايما جزء ، فان حذف تخلخلت القصة وتزعزع بنيانها وبان فيها حيز يستدعي ان يقوم فيه ما يسد فراغه . ولعل قصة « هاك قلبي » خير ما في المجموعة من حيث السرد والوحدة الفنية ، فانها تبدأ بصعود الفتاة الى سيارة اجرة في طريقها الى بيتها في مصر الجديدة ، وتستعرض القصة خواطر الفتاة وهي داخل السيارة ، الى ان يقع الحدث الرئيسي بان تنفلت احدى عجلات السيارة ويختل توازنها فيغمى على البطلة ويحتملها السائق الى منزلها . فالقصة ـ فنيا ـ متماسكة بعيدة عن اللغو الذي لا غناء فيه .

اما مدى ما بلغته المؤلفة من التوفيق من حيث الاقناع والصدق الروائي .. فيمكننا ان نقول ـ ههنا ـ ان السيدة جاذبية قد حالفها النجاح بوجه عام فيما سردت من حوادث واحداث انتظمتها قصص هذه المجموعة ، لولا بعض المواقف التي شابها غير قليل من التكلف والمبالغة والبعد عن الواقع .

من ذلك ، الفتى الصعيدي ـ في قصة « اخي المفريت » ـ الذي يحضر بالطربوش والجلباب الجوخي شديد الزرقة الى احتفال تقيمه مدرسة اجنبية لتخريج فتياتها . على ان ما يسترعي الانتباه حقا ان الفتى خطيب لاحدى الطالبات المحتفى بهن ، التي تتعرف في الحفل الى اخي زميلتها ، فيتحابان وينفردان في ركن من الحديقة يتطارحان الغرام ؛ فيلحق بهما الفتى ، فيتظاهران امامه بانهما انما يقومان باجراء تجربة لتمثيلية ستقام بعيد قليل على مسرح المدرسة ، فيصدق الفتى الصعيدي ذلك بل يطرب ويصفق ! ثم ما تلك القساوة والاستبداد اللذين خلعتهما المؤلفة ـ في قصة « المجنونة » ـ على الاب ـ الصعيدي ايضا ـ في معاملته لابنته ؟ أيمكن ان يكون لمثل هذا الانسان وجود على مسرح الحياة ! والعسكري ـ في قصة « قطط بيومي افندي » ـ لم كل هذه الغلظة منه عندما تحكي له النسوة خبر جريمة قامت بها احدى النساء بخطف طفل ؟ والطبيب الذي تذهب اليه البطلة ـ في قصة « الباحثة عن نفسها » ـ لم هذا الجفاء يبديه نحو الفتاة في عيادته ؟ أثمة وجود لمثله بين الاطباء .. في اوربا ؟ ومن أين واتت « القرشي » ـ ذلك الفتى الابله ، في قصة « دجاج » ـ كل تلك الحنكة والجرأة اللتين دفعتاه الى التحايل على زوجة الخواجا ديمتريتو اذ يقول لها : « انا مخبر من اعوان الشرطة، ارسلني زوجك الخواجا لاحضر له سترته التي نسي في عجلته ان يرتديها، الي بها بسرعة يا سيدتي ، لا بد انك واجدتها في حجرته .. » ! (٩٨) . والعجيب في الامر ان الزوجة تؤخذ بادعائه وتسلمه السترة فلما يمضي بها وينقب في جيوبها ، يعثر على رزمة من الاوراق المالية ، فيعدها فاذا هي تبلغ المائتين من الجنيهات ! أفيعقل ان تسلم امرأة سترة زوجها الى انسان لا تعرفه ولم تقع عينها عليه من قبل ، الا ان تكون بلهاء ، وهذه الزوجة ـ فيما علمنا ـ في غاية من الحرص ! اما « ستار يا ليل » ـ الموسومة بها المجموعة ـ فقصة امرأة مات عنها زوجها الموظف مخلفا لها البنين من غير مال ، فتعمل راقصة في غفلة من اولادها لتنفق عليهم في مدارسهم ، الى ان يأتي يوم يذهب فيه اكبرهم الى احد الملاهي بصحبة اصدقائه الذين يحتفون به بمناسبة حصوله على اجازة الحقوق ، وهناك يعجب الفتيان براقصة ، فيطلبونها اليهم ؛ فاذا هي ام المحتفى به ! فهل يصدق ان تعمل امرأة راقصة طوال سنين لا ينكشف خلالها لبنيها مكنون امرها الا على هذه الصورة المتصنعة !

وانا لنتساءل ـ بعد ـ عن المتعة الجمالية التي خلصت لنا فيمطالعة هذه الاقاصيص ؟. واول ما يلاحظ في هذا المضمار ان السيدة جاذبية معنية العناية كلها برصد حوادث الحب من وجهة نظر المرأة . وانها بذلك لتصيب خظا من النجاح . ومن أقدر على معالجة الحب من وجهة نظر المرأة من المرأة نفسها ؟ والقاريء يستنشم عبير الحب والانوثة هذا في معظم اقاصيص المجموعة .

ولعل اروعها جميعا قصة « تلك القلوب الفضة » ، فانها ، وان كانت أقرب الى « الصورة » ؛ الا ان المؤلفة قامت فيها برصد المراحل النفسية والفسيولوجية الظاهرة التي تمر بها الفتاة في طور البلوغ ، و « عشق الذات » الذي يعمر خيالها الغض ، رصدته بنجاح كما لا يمكن ان يرصده كاتب قصة رجل مهما أوتي من العرفان وسعة الخيال .

وثمة امور عن المرأة ما كان لنا ـ معشر الرجال ـ ان نستكنه حقيقتها لولا ان اجتلتها لنا المؤلفة ههنا ، فهي تقول : « ليست في الوجود نشوة كالتي تهز المرأة وهي تعرف وترى بعينيها نزالا يقوم بين رجلين من اجلها .. » (٨٩) . وتقول ايضا في معرض وصفها لاحدى الحدائق العامة : « والهواء المشاكس يحبس انفاسه لحظات .. حتى اذا امن الجميع جانبه تسلل الى ذيول الفتيات والسيدات وانقض يرفعها بغتة فوق رؤوسهن ، فتعلو الصرخات المرحة واللعنات الجذلة .. » (٤١) ، وكنا نحسب ان صنيع الهواء هكذا بالمرأة وهي في عرض الطريق امر يصعد معه الدم الى وجنتيها خجلا واستحياء ، فاذا هو مما يدعوها الى المرح والجذل !

وللسيدة جاذبية ـ كامرأة ـ عبارات جريئة تنثرها في تضاعيف اقاصيصها . فتقول : « ونفر ـ مطلا ـ ثدي كالكرة المطاطة .. » (٣٢) و « كان قميصي .. كأنما خبئت تحته ليمونتان صغيرتان .. » (٨٣) و « في لحظة انسلاخ المرأة عن دينها ودنياها وكبتها .. كانت البنت مع الغريب على وشك ان يمثلا معا دور الخليقة البدائي .. » (٣٨) ، وتقول في قصة « تلك القلوب الفضة » : وتروح الفتاة « تنزع ثيابها قطعة قطعة .. تخرج منها كأنها وردة تتساقط عنها الاوراق الذابلة لتتفجر عن قلبها رائعة متلألئة ، حتى حذاؤها تركله من قدميها .. وهي تنتفض ، وتروح تتثنى برشاقة ؛ وتمسك بذيل فستان وهمي ، وتلف وتنحني وتحيي قوما يصفقون لها ... » ، الى ان تقول : « حتى تسيل حبات العرق خيوطا رفيعة تتساقط من نهديها الصغيرين الرجراجين كأنما يبكيان من فرط التعب .. والحلمتان نائئتان كشفاه غضبى تحتج ... » (٧٩) .. تلك التعابير التي لا تخلو من خيال خصب مبدع ، وان كنا نؤثر للمؤلفة الكريمة ان تقتصد فيها بعض القصد .

اما لغة المؤلفة فسليمة لا غبار عليها لولا انها تقذف ـ في بعض الاحيان ـ بالجملة بدون تمثل وترو فتأتي متهافتة غير مستقيمة . ولكنها ـ في الحين الاخر ـ تصقلها وتهذبها فتأتي لنا بالصور الماتعة المستلطفة ترضي الذوق والحس الرهيف ، من مثل : « تميل الشمس بخدها الملتهب تبرده في النهر .. » (١٦) ، « وعندما يمسك الزمن ناقوسه يدق به ظهرها (أي الحامل) .. تتلوى وهي تعض صرخاتها .. » (٦٧) ، وكانت تقرأ في الكتاب قليلا « ثم ترفع وجهها الى السقف لحظات تهضم ما قرأت ، وقد رأيت الدجاج يفعل ذلك عندما يأكل وتزدحم اللقمات في حلقه .. » (٨٠) .

والسيدة جاذبية حريصة على ان تورد الحوار جميعا باللغة الفصيحة ـ وهذا في الحق ما يشكر لها ـ ضاربة صفحا عن تلك « الصرخة الهادرة » التي ترمي الى استعمال العامية المصرية ، فخرجت بذلك من اطار اللهجة الاقليمية الى ميدان اللغة العربية الفصيحة التي يفهمها ابناء العروبة في مختلف امصارهم .

اننا عند رأينا من ان مؤلفة « ستار الليل » تملك المقومات التي تجعلها قاصة بارعة ، لو انها اهتمت باصطفاء الجيد من خواطرها واستأنت ـ دائما ـ في صوغ عبارتها .

حلب — فاضل السباعي

اناشيدي

لعيسى الناعوري – مجموعة شعرية – ١٠١ صفحة – منشورات الرائد العربي بحماه سورية

شاءت الصدف ان التقي بالاديب الشاعر الاستاذ عيسى الناعوري في عمان بعد غيبة دامت قرابة سنتين قضيتها في المملكة العربية السعودية ، بعد انكان مني ملء العين والبصر ، اراه من خلال سطور مقالاته المتناثرة هنا وهناك في مختلف الصحف العربية ؛ والمح خياله وظله من خلال قصائده (اغاني اللهيب) (واناشيدي) التي كانت تنشر في امهات الصحف العربية وصحف المهجر .

ولست ههنا بمجال التعريف بالناعوري وادبه ، ولكن لا بد من ذكر حقائق لا تخفى على القارىء الكريم انصافا للناعوري وادبه .

فالناعوري شاعر واديب ، نقادة لا هوادة في نقده وقصصي له باعه في ميدان القصة . فهو كالنحلة التي لا تعرف طعم الراحة ، يشتار من هذا وذاك ويحلق في كل الاجواء ويتنقل في كل الرياض . له من عمله اليومي ما يرهقه ، ولكن لا يهدأ ولا يكل ، يجاهد ليل نهار ؛ فهنا قصة – وهناك قصيدة . وامواج الاثير تنقل الينا احاديثه العذبة في دنيا المهجر وغيرها ... وخلاصة القول انه تكاد لا تخلو جريدة او مجلة ادبية في البلاد العربية او المهجر من أثر للناعوري فيها ، فهو رسول الادب الاردني في دنيا الادب العربي ، كما كان كتاباه « ايليا ابو ماضي رسول الشعر الحديث » و « الياس فرحات شاعر العروبة في المهجر » رسولين في دنيا الادب العربي الحديث . وقد شهدت له بذلك مجلة القلم الجديد المحتجبة التي كان يصدرها في عمان قبل ان تلحق بأختيها الرسالة والثقافة ، اذ كانت مجهودا فرديا وملتقى لاقوى الاقلام في البلاد العربية والمهاجر الامريكيين .

واناشيده التي نحن بصددها الان مجموعة طيبة من الشعر الوطني الثائر الملتهب ، التي ان دلت على شيء فانما تدل على نفسية صاحبها الثائرة الملتهبة ، نفسية المؤمن بحقه في الحياة الحرة الكريمة في مجتمع تسوده الرحمة والمودة والاخاء ، وتشيع فيه روح العدالة الاجتماعية ؛ مجتمع انساني بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى .

والديوان مختلف الالوان والظلال ، فيه صور جميلة مبتكرة حية ناطقة ، ينقلك بها الى جوها الطبيعي ؛ فتشعر انك امام مشهد طبيعي تجري حوادثه ومشاهده امام عينيك . ينقل من قلبه ويعبر عن حسه في هذه الصور البليغة الحية . ولعل ابلغ هذه الصور واصدقها ما جاء في قصيدته « في قريتي » هذه المطولة من الشعر الحر التي تتألف من ثلاثة عشر نشيدا لم تفقد الموسيقى الشعرية التي حرص الشاعر كل الحرص عليها لانه بدونها لا يبقى الشعر عربيا ، ولا تبقى فيه الروح العربية التي يرقصها الشعر الموقع ايقاعا موسيقيا متناسقا كما يقول الشاعر في مقدمة القصيدة .

والقصيدة يمكن تقسيمها الى ثلاثة فصول رئيسية ، الفصل الاول وصف للقرية بمظاهرها العادية المألوفة ، وفيه صور حية ناطقة لما في القرية من مشاهد طبيعية مألوفة .

ففي القطعة التالية صورة واقعية لما يرافق مولد فجر جديد في أية قرية من قرانا . وبعض افراد هذه (الجوقة) على حد تعبير الشاعر هي في الحقيقة مشاهد مرئية في حياة القرية بل ومن مستلزمات القروي في حياته وعمله . ومع ان كلمة (الجحش) التي استعملها الشاعر نابية وثقيلة على الاسماع لكنها منظر مألوف في القرية ، وهو فرد لازم للجوقة المألوفة هناك .

والفجر لا يطلع في قريتي ... حتى يشاء الديك ان يطلعا
يهتف في اسماعه داعيا ... « كوكو » ! فلا يلبث ان يسطعا
فتفتح القرية اجفانها ... تستقبل العيش ليوم جديد

وجوقة القرية تلك التي ... تعزف نفس اللحن منذ الوجود
تاخذ في ترديد انغامها ... فينهق الجحش ، ويثغو الحمل
والكلب يجلو بالنباح الكرى ... والعجل يمحو بالخوار الملل
وترسل الطير اغاريدها ... تحية لمولد الفجر
احلى من الترتيل والشعر

وهناك صورة ثانية اوردها الشاعر في هذا البيت الجميل وهو يتحدث عن لهو اطفال القرية :

ولا تنجو عشوش الطير منهم ... ولو بنيت على هام الغمام

انها حقيقة واقعية وصورة طبيعية لاطفال القرية الذين لا هم لهم الا صيد العصافير والبحث عنها بين العشوش حتى ولو بنيت على هام الغمام كما يقول الشاعر .

اما الفصل الثاني وهو قصة النضال للعيش فهو في الواقع قصة نضال انساني مع الطبيعة والبشر في سبيل بناء حياة حرة كريمة لعائلة تكد وتكدح ليل نهار للحصول على لقمة العيش ممزوجة بعرق جبينها وكد ساعدها ، فهي تقاوم برد الشتاء القارس وحر الصيف اللافح وبينهما تنعم فترة قصيرة من فصل الربيع الزاهر الذي يكسو الارض حلة خضراء تسر لها عين الناظر وخاصة ابن القرية الفلاح الذي يزرع الامل الحلو والرجاء الجميل مع حبه في الارض حتى لا تذهب اتعابه ادراج الرياح ، كما يقول الشاعر (في الشتاء) :

يهب اذا ما أطل الشتاء ... يشق التراب باقصى العناء
ويغرس فيه مع الحب شيئا ... أعز من الحب ، وهو الرجاء
أتنبت آماله في غد ... سنابل خضرا تميت الشقاء ؟
لقد خمل البرد ، لم يشك يوما ... وظل يزيل العنا بالغناء
له في غد أمل واسع ... فيا رب ! بارك له في العطاء !

له درك يا شاعري ، ما اجمل هذا الرجاء الممزوج بالدعاء ليبارك الله لهذا القروي اعماله فلا تذهب اتعابه سدى .

ولكن هذا القروي لا يلبث ان يسر قليلا وترتاح عينه لمرأى المروج الخضراء والمراعي الممرعة في فصل الربيع :

وفي الربيع الضاحك الممرع ... اذ تغرق الارض باعراسها
وترتدي انفس اثوابها ... وتسكر الدنيا بانفاسها
يضحك اذ تضحك في وجهه ... وقلبه يحيا بايناسها
يا رب ! لا تعصف بافراحه ... بدودة الحقل وارجاسها

اقول ولكن لا يكاد يسر في هذين الفصلين حتى تعود فتسود الدنيا في عينيه حين يأتي الخريف وتتعرى الاشجار وتذهب تلك الحلى الخضراء التي لبستها الطبيعة في فصل الربيع فتذهب احلامه ادراج الرياح وهو لما يسدد بعد ديونه التي كانت تثقل كاهله .

وفي القطعة التالية تجربة حقيقية بل صورة واقعية لحياة القروي مع المرابين ، واكثر المزارعين يرسفون تحت وطأة الربى الباهظ . فكأن هذا القروي يكد ويتعب لهذا المرابي المجرم ، ولكنه لا يستطيع ان يسدد كل ما يطلب منه . وتمر السنون وتتعاقب الاعوام والحالة هي هي ، والفلاح يسير من سيء الى اسوأ . وفي فصل الخريف يقول الشاعر بكثير من التهكم المر :

قد بعت جني العام : حبا او ثمر ... لكن ديونك ما يزال لها أثر ..
ان كان ما في البيت لا يكفي لها ... لا تبتئس ! ستظل اعواما أخر ..
لا تخش شيئا فالمرابي حاضر ... ولخدمة الكرماء مثلك ساهر
وغدا متى عاد الحصاد سيجتني ... ما قد شقيت بزرعه ، ويغادر !

ويختتم الشاعر هذه القصة بهذه الابيات الجميلة الانسانية في معناها ، والتي تبدأ فيها سعادة القروي عندما تبدأ سعادة غيره من الناس

ففي شقائه سعادة لهم ، وهنا منتهى الانسانية التي تتجلى فيهم بل ومنتهى التضحية الانسانية في اجمل صورها واوسع معانيها .

في قريتي سحر وفيها بهاء — لكنما في قريتي اشقياء
لقمتهم من كد أيديهمو — لكنها معجونة بالدماء
في قريتي جماعة كادحون — وهم بكدح العمر مستبشرون
يرضون بالبؤس نصيبا لهم — ما دام فيه يسعد الاخرون

وأراني أطلت الحديث عن مطولته الشعرية في قريتي ... والواقع ان هذه المطولة تستوجب بحثا كاملا لما فيها من معان انسانية وفكر جميلة وصور حية بليغة . اذ هي صوت جديد حار لاجل بناء مجتمع انساني افضل تعم فيه الطمأنينة وتسوده العدالة الاجتماعية فيصبح مجتمعا انسانيا يستظل الجميع بظله .

اما بقية الديوان فمجموعة من الشعر الوطني قيلت في مناسبات متعددة . ومن يتصفح تواريخ هذه القصائد ير انها نظمت في فترة تتراوح بين سنة ١٩٤٩ وسنة ١٩٥٥ ؛ أي ان هذه المجموعة من شعره الحديث ، من شعر النكبة ومن وحيها .

والناعوري نقادة لا هوادة في نقده كما قلت سابقا . يقسو كثيرا في نقده على نفسه كما يقسو على سواه . فلقد قسا فعلا على نفسه بان غربل شعره حتى اخرج لنا هذه المجموعة في هذا الشكل الجديدحتى تظهر بالقوة التي يريدها لنفسه . والحقيقة ان الديوان قوي في مجموعه، وقصائده مختارة أوحت اغلبها النكبة ، فهي سجل للحوادث الدامية المؤسفة التي انتهت اليها القضية الفلسطينية ، وضياع فلسطين من أيدي العرب . فقصيدته (نقمة) سجل لتسليم المثلث العربي الى اليهود بموجب معاهدة رودس المشؤومة :

ارض الاباة وموطن الشهداء — لهفي عليك طعينة الاحشاء
لهفي على الاحرار كيف اذلهم — غدر الصحاب وصولة الغرباء
لهفي على البلد الحبيب وقد غدا — بعد الجمال ممزق الاشلاء
تلك السهول الناثمات على السنا — ضاعت بلا حرب وسفك دماء
وجباله الشماء ذل جبينها — بعد العلى والعزة القعساء

ولقد كنا نحسب اليوم الخامس عشر من ايار هو يوم الخلاص من الاستعمار ... ولكن يا شؤم هذا اليوم ، يا ليته ما كان ولا كانت هذه الكارثة التي اودت بحياة الكثيرين وشردت القسم الاعظم منهم في كل صقع ومكان يفترشون الارض ويلتحفون السماء ، فكان هذا سبة في جبين سبعين مليونا من العرب . لقد كان لنا امل في الخلاص ولكن سرعان ما خيب ظننا .

كنا نظن ان ثورة الشعب الجارفة ستغسل هذا العار الذي لطخ به جبين العرب وتجرف ظلام الشقاء :

أين الشعوب ؟ وأين أين اباؤها — يقضي على زمر الخنا الحمقاء ؟
أين الشعوب تهب بعد هوانها — لكرامة هدرت بغير حياء ؟
فتزيل هذا العار عن تاريخها — في ثورة من حقدها شعواء !

ولكن من خيمة اللاجيء البالية ، من ارض فلسطين سيعيد الينا التاريخ ما اضاعوه منا . من خيمة اللاجيء سينبثق النور الذي سيشق عنان السماء مضيئا مؤذنا بانبلاج فجر جديد .

غدا ... ومن ظلمتك الطاهرة
ومن بنيك العزل الجائعين
سيخرج الاعزة المنقذون
مواكبا يدفعها الثار — وفي الحمى يرقبها الغار
يا خيمة اللاجيء يا بالية

وفي قصيدته (طموح) طموح الشباب الى المعالي وعزم وتصميم لتسير الحياة كما يريدها الانسان ، بل وعن الانسان الى الكفاح في الحياة ، لان الحياة لا تلين الا للاشداء ولا تحب الا الاقوياء الاشاوس ، فيقول الشاعر:

عزم الشباب هو القضاء،ومبتغاه هو القدر
فارفع جبينك في الحياة ولا تذل لمقتدر
الكون ملكك ، والحياة بحزم امرك تأتمر
والنور يسطع في الطريق لمن يجد وينتصر
ما شئت من حق فلا تنهد اليه على حذر
فالذئب يطلب رزقه وسط الظلام المنتشر
أما الهزبر فلا يخاف الموت او يخشى الخطر
كن كالنسور على الذرى ، تصغي لوشوشة القمر
لا كالغراب يطارد الجيف الحقيرة في الحفر
من هان تسحقه السنابك في متاهات العمر
وتلين غطرسة الزمان الى الابى من البشر

وما اشد الشبه هنا بين قصيدة شاعرنا (صراع) وقصيدة الشابي (ارادة الحياة) التي يدعو الانسان بها لخوض معركة الحياة بحزم وقوة ورباطة جأش لان الحياة لا تحب الا الاقوياء الجبارين حيث يقول :

ابارك في الناس اهل الطموح — ومن يستلذ ركوب الخطر
والعن من لا يماشي الزمان — ويقنع بالعيش عيش الحجر
هو الكون حي يحب الحياة — ويحتقر الميت المندثر
فلا الافق يحضن موت الطيور — ولا النحل يلثم ميت الزهر
ولولا امومة قلبي الرؤوم — لفرت عن الميت حتى الحفر

هذه هي ارادة الحياة وهكذا تكون ارادة الناس ، حزم وعزم وطموح في الحياة .

ولا تقل عاطفة الناعوري الابوية عن عاطفته الوطنية ، ففي الاخيرة ثورة وطموح وتمرد وفي الاولى رقة وحنو وعاطفة جياشة . يقول مخاطبا ابنه جمال في قصيدة لم تظهر في هذا الديوان :

خذ من عيوني ضياك — ومن حياتي بقاك
واسعد لعمر طويل — فداك عمري فداك
يا ابني حياتي وجهدي — وكل سعيي وكدي
ماذا أؤمل منها — الا هناك بعدي

ولم تقف عاطفته عند هذا الحد . ففي القصيدة يدعو ابنه لصراع الحياة لان لا حياة لضعيف فيها حتى يحيا حياة عزيزة كريمة لا يذل فيها.

دنياك يا ابني صراع — وغابة للسباع
يموت فيها الضعيف — لكي يسود الشجاع
فاسعد وكن يا حياتي — حرا كريم الصفات
وعش عزيزا ابيا — ولا تذل لعات

وفي قصيدته (شبابي) يرسم لنا الطريق امام الشباب ويضع النقط فوق الحروف ، يحدد لنا هدف شبابه ويشرح لنا غايته ، فاذا نجح كان الشباب والا فلا كان الشباب ولا كان زهوه ولا قوته :

شبابي ، اذا كنت لا استطيع — احقق فيه من امتي
وان كنت لا استهين الصعاب — لابلغ فيه الى القمة
فلا كان هذا الشباب العقيم — ولا كان زهوي ولا قوتي
ولا كنت يوما حليف الحياة — اذا كنت احيا بلا عزة

ثم يعدد لنا الشاعر اولئك الذين وهب شبابه لهم ووقفه عليهم ومن بينهم :

لمن يدرأون العدى بالسلاح — ويبنون بالدم مجد الوطن
لمن يحرسون حدود البلاد — ويحمونها من عوادي المحن
تنام الثكالى وما يهجعون — ولا يعرفون لذيذ الوسن
وللعاملين : رفاق الفؤوس — رفاق المعاول طول الزمن
ارطب انفاسهم بالحنان — واغسل عنها العنا والشجن



● همسات الزمن ـ شعر ـ لانور شاؤل ـ ۱۲۰ صفحة ـ مزين بالرسوم بريشة يحي جواد ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● فلسفة تربوية متجددة لعالم عربي يتجدد ـ لجماعة من علماء التربية في العالم العربي ـ ۲۲۱ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دائرة التربية في الجامعة الامريكية في بيروت ـ مطابع دار الكشاف بيروت .

يحتوي هذا الكتاب على محاضرات الحلقة الدراسية التي انعقدت في الجامعة الامريكية بيروت من ۲۲ اغسطس ۱۹٥٥ الى ۲٥ منه لبحث نظم الفلسفة التربوية التي يجب ان تتخذها البلدان العربية اساسا لنهضتها ومناقشاتها والتوصيات التي نجمت عنها وقد عنيت دائرة التربية بجمع هذه المواد ونشرها راجية ان يصادف هذا المسعى استحسان المربين في الاقطار العربية ويكون حافزا لهم للقيام بدراسات اشمل حول هذا الموضوع .

● اشكال والوان : محاولة جديدة في كتابة المقالة ـ بقلم مدني صالح الهيتي ـ ۸۷ صفحة ـ مطبعة المعارف ببغداد

● عبير الصحراء ـ شعر ـ لنداء ـ ١٢٤ صفحة ـ حجم صغير ـ منشورات المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر ـ مطابع دار الكشاف بيروت .

● شوقي وابن زيدون في نونيتيهما ـ بقلم ابو القاسم محمد كرو ـ ٦٤ صفحة ـ منشورات كتاب البعث بتونس ـ مطبعة الترقي تونس

● تعليم مبادىء القراءة ـ تأليف صبيحة عكاش فارس م.ع دائرة التربية في الجامعة الامريكية بيروت ـ باشراف الدكتور حبيب كوراني رئيس دائرة التربية في الجامعة الامريكية بيروت ـ ١٩٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دائرة التربية في الجامعة الامريكية ببيروت ـ مطابع دار الكشاف بيروت .

● كيف تحل مشكلاتك ـ الكتاب رقم ۱۱ من سلسلة دراسات سيكولوجية: كيف نفهم الاطفال ـ تأليف روبرت هـ. سيشور و ا.ك. فان دوسن ـ ترجمة السيد محمد عثمان ـ اشراف وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي ـ ٩٤ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية ـ مطبعة مصر بالقاهرة

● فاجعة حب ـ سيدة صيدنايا ـ قصتان ـ تأليف انطون سعادة ـ ١٢٧ صفحة ـ [لم يذكر اسم المطبعة] .

● في ظلال تدمر ـ رواية زجلية تمثيلية ـ بقلم ملحم زهر الدين ـ ٧٤ صفحة ـ منشورات دار البيدر للطباعة والنشر ـ مطابع لبنان [المرجح انها في بيروت]

● هنا برلين حي العرب ـ اروع المذكرات التاريخية والسياسية يكتبها في سلسلة شهرية يونس البحري مذيع راديو برلين في الحرب العالمية الاخيرة ـ الجزء الاول ـ ۱۲۸ صفحة ـ منشورات دار النشر للجامعيين بيروت ـ المطبعة التجارية ببيروت .

● تاريخ العلامة ابن خلدون : كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر وهو تاريخ وحيد عصره العلامة عبد الرحمن ابن خلدون المغربي ـ المجلد الاول ـ القسم الاول ٢٤٠ صفحة ـ القسم الثاني ۲۳۸ صفحة ـ حجم كبير ـ طبع متقن مع تشكيل الكلمات ـ منشورات عبد الكريم وحسن الزين دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة بيروت ـ طبع القسم الاول على مطابع دار الطباعة العربية [لم يذكر اين] ـ وطبع القسم الثاني على المطبعة الباسيلية درعون ، حريصا بلبنان .

● صوت الاوقاف الخيرية ـ تأليف الدكتور حبيب درغام ـ ۳۲ صفحة ـ [لم يذكر اسم المطبعة]

● حدث في الليلة الماضية ـ مجموعة قصص ـ تأليف كاظم جاسم مصطفى ـ ۸۰ صفحة ـ مع مقدمة بقلم عبد السلام ابراهيم ناجي ـ مطبعة المعارف بغداد .

● الطفل والامور الجنسية ـ الكتاب رقم ۱۲ من سلسلة دراسات سيكولوجية : كيف نفهم الاطفال ـ تأليف ليستر ا. كيركندال ـ ترجمة الدكتور ابراهيم حافظ مدرس علم النفس بمعهد التربية للمعلمين بالاسكندرية ـ اشراف وتقديم الدكتور عبد العزيز القوصي المستشار الفني لوزارة التربية والتعليم بمصر ـ ۱۱۰ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية ـ مطبعة مصر بالقاهرة

هذه هي نفثات الاستاذ الناعوري في اناشيده وهو من منشورات الرائد العربي بحماه واخرجته مطابع ابي الفداء في مئة وصفحة من الحجم المتوسط . ومما يجدر ذكره ان للناعوري شعرا غزليا جميلا ولكن لم يرد له ان يرى النور حين اخرج لنا هذه المجموعة ولم يراع في هذا الا ناحية واحدة ونوعا واحدا من القراء . ومع ان الشاعر ينقم على الشعر الغزلي وشعرائه تراه ينظم الغزل كأجمل ما يكون . وهاك ايها القارىء الكريم نموذجا من شعره الغزلي انشره واجري على الله حتى ولو غضب صاحبنا الناعوري . وقد ابى الشاعر ان يعترف بهذه المقطوعة فنسبها الى الشاعر (نزار قباني) :

يا نهدها يا قمقم العطــور   على حشايا المخمل الوثــير
يا جنة من لذة ونور
سياجها الاشواق في الصدور   والظما المحرق في الثغـور
روحي فدى مسارب العبير
يا حلمة في نهدها الصغيـر   كأنها المنقـار من عصفور
او برعم النرجسة الطهور

السجن لا يليــق بالطيور   والحــر لا يعيش كالاسيــر
هيا انقري فستانها وطيري

ثم تأمل معي في هذه المقطوعة الجميلة ، وقد دخلت عليه حسناء حافية تتيه في دل واختيال فأوحت له بهذه المقطوعة الجميلة :

علام تدوسين يا قاسيــة   بأقدامك البضـة الحافيــه
أعودتها ان تدوس التــراب   وتمشي على ارضنـا الفانيـه
أم انت تعودت ان تمرحـي   بدل على المهـج الظاميــه
حرام عليـك فهـذا الدلال   كثير على الاكبد الداميــه
فانت من اللطف مخلوقــة   ومن عنصر الفتنة الطاغيــه
وحسنك عيد القلوب السعيد   وامنيـة العاشـق الغاليـه
ايا غادتي بعـض هذا الدلال   وبعض القساوة يـا قاسيـه

واخيرا ارجو ان اكون قد وفقت في عرض هذه النماذج الشعرية كما ارجو لهذا الديوان سرعة الانتشار وان يكون في متناول كل يد ، حتى يتعلم النشء الجديد درسا في الوطنية والاخلاص والتضحية .

الدمام ـ العربية السعودية   مروان راضي الطاهر

الشاطى ..

وتسير ابحاث العلماء السوفياتيين بالتعاون مع علماء من بلدان اخرى . وتقوم اللجنة الدولية لتحقيق السنة الجغرافية بدرس برامج الاعمال العلمية واقرارها . وقد اتفق العلماء بشأن تبادل المعلومات والمساعدة المتبادلة .

وعلى ١٣٠٠ كيلومتر من المحطة السوفياتية « ميرني » تقوم المحطة الاسترالية « موزون ». وقد اقامت البعثة السوفياتية اتصالا معها بواسطة الراديو . وحوالي اخر فبراير الماضي زار محطة « ميرني » مركب البعثة الاسترالية المتوجه نحو محطة « موزون » ليمونها ويستبدل شغيلة المحطة . وقد اطلع اعضاء البعثة الاسترالية على اعمال البعثة السوفياتية .

ان الابحاث الجارية في القطب الجنوبي ستغني العلم بمعطيات جديدة عن طبيعة هذا القطب .

ن. زوتين

لقاح في امريكا لمكافحة الطاعون البقري

●

اكتشف في امريكا لقاح جديد ضد الطاعون البقري يرجو له نتائج باهرة جدا في مكافحة هذا المرض الوخيم الذي يحصد الماشية حصدا . والذي يكاد لا يعرف عنه شيء في النصف الغربي من الكرة الارضية بينما ينتشر بصورة كبيرة في اقطار كثيرة من بلدان افريقيا وآسيا .

والفضل في اكتشاف هذا اللقاح يعود للدكتور ارل فلوسدورف مدير الابحاث العلمية في شركة ستوكس للاجهزة الميكانيكية في فيلادلفيا ويستخدم في اعداده وحفظه جهاز خاص مفرغ من الهواء ، مبرد ومجفف .

وتهتم مصلحة الطب البيطري وصيانة الماشية في منطقة تشاد في افريقيا الاستوائية بصنع مقادير كبيرة من هذا المصل لاول مرة منذ اكتشافه ، وذلك في مختبراتها في فورت لامي في افريقيا الاستوائية الفرنسية .

والمصل الذي يجري تحضيره الان في فورت لامي هو من نوع الفيروس الحي ، وفي اثناء تحضيره يمر تباعا في مائة عنزة لجعله غير معد مع الابقاء على ما فيه من قوة المناعة ضد المرض

اما اعداد اللقاح نفسه فيتم باستخراج طحال العنزة ثم يقطع قطعا صغيرة متجانسة وتعالج هذه الاجزاء بجهاز مفرغ من الهواء يتولى تجفيفها وتبريدها للمحافظة على فعالية اللقاح واستعماله في جو كجو افريقيا .

والطريقة ذاتها يتبعها العلماء في حفظ بلازما الدم

وقبل الاخذ بهذه الطريقة ، كانت العنزات تنقل حيث تدعو الحاجة اليها وتذبح هنالك لاعداد اللقاح اللازم . ولم يكن من الممكن الاستفادة من طحال العنزة لاطول من ساعتين . اما اللقاح المبرد المجفف فعلى عكس الاول يمكن الاحتفاظ به لمدة اسابيع في مثل مناخ الاقطار الافريقية الحارة وجوها وذلك بواسطة التبريد ، وهكذا يمكن للقاح ان ينقل من محل الى اخر حسبما تدعو الحاجة الى ذلك .

والدكتورر فلوسدورف مكتشف هذا المصل الجديد معروف بكونه من الجنود المجهولين الذين يعملون دائما من وراء الستار لخير الجنس البشري وسلامته .

ومن آثاره البارززة في هذا الحقل ، حقل الطب ، الطريقة الجديدة التي ابتدعها في اعداد بلازما الدم ، وذلك بعد ان توصل الى معالجة الدم بواسطة تجفيفه وتبريده وهي طريقة تجعل الدم من سائل متحرك الى مسحوق جاف يمكن نقله من محل الى اخر بسهولة ويسر ، مهما كانت ظروف الطقس والمناخ من برد قارص الى حرارة بالغة . فاذا ما أضيف الى البلازما ماء معقم استحال دما من جديد يحقن في الشرايين .

سيارة طوربينية تسير بالغاز

●

تقوم دوائر الصناعة المعنية في امريكا بتجربة طراز جديد من السيارات قد يأتي نجاحها بثورة تقلب صناعة السيارات في امريكا رأسا على عقب .

والسيارة المعنية هي من نوع بليموث ١٩٥٦ لها محرك طوربيني على الغاز يستغنى فيه تماما عن الرادياتور وجهاز التبريد والكربوريتر والموزع والمحولة .

وهذه السيارة الطوربينية الغازية لا تختلف في مظهرها الخارجي عن مظهر اية سيارة بليموث جديدة . اما من الداخل فهي تختلف اختلافا كليا . والمحرك الطوربيني فيها أخف من أي محرك اسطواني متوسط الحجم بتسعين كيلو غرام او ٢٠٠ رطل . وهو اقل عرضة للارتجاجات والاهتزازات ويحتاج الى مقادير اقل من زيوت التشحيم وتنقص اجزاؤه ٨٠ بالمائة عن الاجزاء التي تتركب منها سيارة عادية .

وفي المحرك شمعة احتراق واحدة وهي لا تستعمل الا للانطلاق فقط . وما تكاد تنطلق شرارة الاحتراق حتى يندفع الغاز ضد فراشات المحرك ومنها تنتقل القوة المحركة الى عجلات السيارة .

وتؤكد شركة كريسلر التي تصنع سيارات بليموث انه بالرغم من التحسينات التي ادخلت على السيارة الجديدة ذات المحرك الطوربينى الغازي فانها لن تنزل للسوق قبل مرور بعض الوقت .

ولعل العائق الاكبر في وجه استعمال هذه السيارة الرخيصة التكاليف هو ايجاد المواد المعدنية التي تستطيع ان تتحمل قوة المحرك الغازي الدائرة المحرقة التي يولدها المحرك . والمحرك الذي تجري تجربته الان انما يصنع على الغالب من النيكل والكوبالت وغيرهما من المعادن التي تكلف غاليا .

في كلمات ...

● اعلن طبيبان من يونجستون بولاية اوهايو بالولايات المتحدة نبأ التوصل الى طريقة للكشف عن السرطان بفحص الدم ، وقد ثبتت دقة هذه الطريقة في تسعين في المائة من الحالات .

وتعتمد هذه الطريقة على خاصة زيادة كثافة الدم في المصابين بالسرطان عما هي عند غيرهم ومن ثم يمكن الاستدلال على وجود السرطان بقياس كثافة الدم . على ان الطبيبين لم يتمكنا من معرفة السر في زيادة كثافة الدم عند المصابين بالسرطان .

● قال العلماء السوفياتيون الذين اشتركوا في مؤتمر التصوير بالاشعة في مكسيكو انهم لم يعثروا حتى الان على أي دليل يثبت وجود السرطان نتيجة التدخين ، قائلين انه ليس هناك اية علاقة بين التدخين والسرطان .

● اعلن الدكتور ديكسون رايت احد اطباء لندن امام مؤتمر الاطباء الوطني ان نحو ربع مليون في بريطانيا قد شفوا من مرض السرطان وقال الدكتور رايت الذي يشغل منصب امين صندوق الابحاث الامبراطورية للسرطان ان هذا العدد هو مكافأة لما حققته مهنة الطب حتى الان .

● عرض في لندن على جمهور معظمه من الاطباء ، شريط يبين اشكال السرطان وعواقب مرض الرئة الناتج عن التبغ . واثناء مشهد يرى انتزاع رئة مريضة ، اغمي على مخبر صحفي لم يتحمل رؤية القلب وهو ينبض بعد ان كبر كثيرا .

وقد قص سكرتير الشركة التي انتجت

الشريط انه حين عرض الشريط في بعض كليات الطب اغمي على بعض الحضور . وتجنبا لتكرار هذا الامر سينذر الحضور مقدمـا بالاشياء التي سيرونها . وليس في النيـة عرض الشريط في صالات العرض الكبـرى الشعبية لكنه ربما عرض بناء علـى طلب اشخاص مسؤولين في كليات الطب وممرضات المستشفيات والصفوف العليا لمدارس الصبيان لعلهم يعدلون عن التدخين .

● يقول الدكتور بول ستارج الاستاذ بكلية الطب بجامعة كاليفورنيا ان كثيرات من النساء وبعض الرجال ، الذين تجاوزوا الخمسين من اعمارهم ، يحتاجون الى تناول اقراص مـن هرمونات الجنس يوميا كحاجتهـم الى الغذاء اليومي من الخبز واللبن وغيرهما .

ويؤكد ستارج ان هذه الهرمونات تساعـد على الاحتفاظ بالصحة ، كما انها تمنع احيانـا من الاصابة بكثير من الامراض التي تصاحـب الشيخوخة كتصلب الشرايين ولين العظـام والعصبية والسمنة المفرطة والسكر وضغـط الدم العالي ونوبات القلب .

وتزيد حاجة النساء في هذا السن عـلى حاجة الرجال اذ تبلغ نسبة النساء اللواتي يحتجن اليها اكثر من ٢٥ في المائة بينما لا تزيد نسبة الرجال على خمسة في المائة .

● عرف اخيرا ان الدكتور كورتيس جونـز من خبراء ولاية ايداهـو اكتشف ان بعض انواع وجع الراس تاتي نتيجة خمود نشـاط الغدة الدرقية وقد دلت التجارب التي اجراها هذا الخبير على مائة وثمانية عشر مريضـا يقاسون الم الصداع المزعج . ان اعـراض الصداع قد زالت بعد معالجتهم بهرمونات الغدة الدرقية . وقد جرت هذه المعالجة بعد اجراء الفحوص المدققة ، والامتحانات المتكررة للتغير الغذائي الاساسي في خلايا الجسم .

● اعلن احد مصانع الادوية في نيويورك عن اكتشاف احد الهرمونات الجنسية الـذي سيعمل على انقاذ الاف الاطفال الذين يولدون قبل اكتمال مدة حملهم .

ومن خصائص هذا الهرمون انـه يوقف الانقباضات السابقة لاوانها والتي تؤدي الى الولادة قبل اكتمال المدة ، وبذلك يتاح للجنين النمو الكامل في بطن امه ، كما انه يساعد على تسهيل عملية الولادة المسبقة وبذلك يحول دون اصابة الوليد باضرار مميتة قبل ولادته .

● قال الدكتور الاميركي البير سابيـن ، الذي اكتشف لقاحا ضد شلل الاطفال يختلف عن لقاح سالك ، ان لقاحه سيستعمل فـي الولايات المتحدة اعتبارا من الشتاء المقبل .

وقال انه يستطيع التاكيد ان لقاحه يظل ساري المفعول طيلة العمر ولاربعين عاما على اقل تعديل ، وهو اقل تكليف من لقـاح سالك كما انه ليس هناك ما يمنع من استخدام لقاحه بعد استخدام لقاح سالك .

وذكر الدكتور ان الاطباء الروس يعملـون الان على اجراء ابحاث كثيرة حول لقاح ضـد شلل الاطفال كما انهم اكتشفوا دواء ضـد الانفلونزا .

● صرح الاستاذ غوينزوتوف ، العضـو المراسل لاكاديمية الطب في الاتحاد السوفياتي، الى جريدة « تروند » ، بان العلماءالسوفياتيين وفقوا الى صنع علاج لمداواة الاصابات الذرية، قوامه النخاع الشوكي المستخرج من الحيوانات الكبيرة ذوات القرون .

● ذكر الدكتور لويس بيمار رئيس معهد السرطان في منتريال بكندا انه عالج امـراة مصابة بالسرطان ووجد في رحمها جنينا في اول مراحل النمو وذلك دون ان تتصل المراة باي رجل .

وقال ان المراة غير متزوجة وهي في الثلاثين من عمرها وان السرطان كان قد قطع مرحلـة بعيدة في نموه مما جعل شفائها مستحيـلا فتوفيت .

وقد جاء بيان الدكتور بيمار بعد المناقشات الحامية التي نشبت في بريطانيا اخيرا واثارت اثيها الاديب حول قضية الحمل التلقائي .

وسئل عما اذا كان جنين كهذا يمكن ان ينمو بصورة طبيعية فاجاب بان هذا السؤال لا يمكن الاجابة عليه علميا بعد .

● حقن بعض المرضى مؤخرا بمواد تحتـوي على الحديد ذات الاشعاع الذري وبعـد ان تسرب الحديد الى الكبد والطحال بدأ بتزويد الدم بما يحتاجه من كريات حمراء .

● نصح الدكتور موبناهان الاخصائي فـي الامراض الجلدية في مستشفى غايز فـي لندن ، بعدم تدليك جلد الراس وكي الشعر لان التدليك القاسي يؤدي الى الصلع الجزئي

وذلك في مقال له في مجلة ، ميديكال برس الطبية ، ومما ذكره ان التدليك يجري عـادة بغية اعادة نمو الشعر الا ان شعر هـؤلاء الاشخاص يكون عادة معرضا للانتزاع عندمـا يدلك باليد او بالفرشاة . وقد اعلن انه لا يوافق على فكرة الحلاقين القائلة بان حـرق اطراف الشعر يحـول دون جفاف السوائـل الحيوية في الشعر لان احراق الشعر تاثير ضار فهو يحرق مادة الكيتارين في انبوب الشعرة وربما ادى هذا الى صيرورة الشعرة سريعـة التكسر .

وذكر الدكتور موبناهان ان ارتداء القبعات او عدم ارتدائها لا يؤثر على قوة الشعر او ضعفه . ويعتقد بان الصلع الطبيعي لا دواء له .

وقدم نصيحة الى النساء اللواتي يصبغن شعرهن فقال ان الشعر الذي يبيض بالعقاقير لكي يصبح بلون البلاتين المائل الى الاشقر ، هو شعر ابيض اكثر مما يجب وكل مراة تكثر من هذا العمل تعرض شعرها لان يصبح ، فـي سنوات قليلة ، كتلة مشوهة من ناحيتي الجمال والطب .

● من اطرف الانباء ما ذكره خبيران فـي الاسنان في تقرير قدماه لمؤسسة ابحـاث طب الاسنان الاميركية . فقد قرر الدكتور جون ساودين والدكتور هاري فرسبي بعد تجارب دامت سبع سنين ، انه يمكن ان ياتي يوم في المستقبل القريب يصبح فيه بالامكان اعادة نمو الاسنان والاضراس لسد الثقوب التي يتركها السوس ، وذلك باستعمال مركب هيدروكسيد الكلسيوم المكرر الذي يشابه الكلس المبرد .

اما الطريقة الجديدة التي اجريت على اكثر من اربعة الاف سن وضرس من اسنان الصغار والكبار في السنوات السبع الاخيرة، فتستهدف وضع هيدروكسيد الكلسيوم في ثقب السن المتسوس ثم سد باب ذلك الثقب بحشوة موقتة . وبعد بضعة اسابيع يفتـح الثقب وينظف ويعد للحشوة الدائمة . ويقـال ان جميع الاسنان والاضراس التي اجريت عليهـا هذه التجارب ظهر انها قد استفادت من المادة الجديدة الى حد ما في اعادة بناء الاجزاء التي اتلفها السوس . هذا وسوف يقوم الخبـراء بتجارب اضافية للتاكد من فوائد الطريقـة الجديدة قبل قبولها بصورة عامة .

● نشرت اكاديمية العلوم الاميركيـة تقريرا يستفاد منه انه قد ظهر من تجارب ودراسات قام بها بعض خبراء مؤسسة الصحة بولاية ماريلاند ان هناك بعض الاطفال الذين لا يمكنهم الاستفادة من الحليب بل ان اجسامهـم لا تستطيع تحمل وجوده مطلقا . وقد ظهر ان هذه الفئة من الاطفال تصاب من جراء تناول الحليب بمرض غريب يدعـى غالكتوزدايبتس ويرافق هذا المرض الاسهال وخسارة الوزن وقد ينتهي بموت لطفل .

فما سبب تضرر هؤلاء لاطفال بالحليب الى هذه الدرجة . يقول هؤلاء الخبراء الاميركيون ان السبب يعود الى ان اجسامهم قد فقدت منها احدى الخمائر التي تساعد في عمليـة الهضم بتحويل المادة السكرية في الحليب الى انفلوكوز المادة السكرية في الدم .

وهناك طريقة بسيطة جدا لتشخيص هذا المرض ، وهي ان يعطى للطفل المريض طعام خال من الحليب ومتفرعاته ، بضعة ايام ..

فانه يستعيد صحته وقابليته في الحال .

● ظهرت في كاتان حالة غريبة تستلفت اليوم انظار واهتمام الاطباء وتفصيل الحادث ان هناك فتاة تبلغ الـ ١٥ عاما واسمها انطونينا داميكو وكان طولها منذ اشهر قلائل مترا ونصف المتر ولكنها لم تلبث ان بدأ طولها هذا يتضاءل بحيث لم يتعد المتر الواحد فقط ولم تكن انطونينا مسرورة الى حالتها هذه وقد اصبحت عاجزة عن النطق العادي ايضا وهي تتكلم الان كما يتكلم الطفل البالغ العامين او الثلاثة اعوام ولم يتمكن الاخصائيون من تفسير هذه الظاهرة الغريبة بعد .

● شفيت الفتاة انتونيا فتاشيو التي كانت مصابة بداء السل وكان الاطباء الذين يعالجونها قد اعلنوا الا امل من شفائها وقد شفيت الفتاة في ظروف حيرت الاطباء . فبعد ليلة مضطربة حلمت فيها الفتاة كثيرا وتصبب عرقها بكثرة استدعت الممرضة حيث طلبت منها ان تساعدها على السير لانها حلمت ان ملاكا ظهر لها قائلا انك تستطيعين ان تسيري بعد ان ظللت في فراشك عامين .

وقامت الفتاة من فراشها حيث توجهت الى كنيسة المستشفى وادت صلاة الشكر ، ثم توجهت الى قاعة الاطباء الذين كانوا قد اجتمعوا لفحص هذه الظاهرة الغريبة ، وبعد امتحان دام ٥ ساعات اعلن نفس هؤلاء الاطباء الذين كانوا قد فقدوا الامل منذ عدة ايام من شفائها انها شفيت من مرضها وانها تستطيع ان تغادر المستشفى في ايام قليلة .

وكانت هذه الفتاة كثيرة الصلاة والدعاء الى الله لكي يشفيها من مرضها ، وقد استجاب الله لها اخيرا . والجدير بالذكر ان الدوائر الكنسية لم تعلق بعد على هذه الحادثة .

● اصدرت محكمة روما حكما قالت فيه ان الطفل الذي يولد بطريقة التلقيح الصناعي يعتبر مجهول الاب وان امه لا تستطيع ارغام زوجها على الاعتراف ببنوته .

فقد رفع زوج قضية على زوجته التي يعيش منفصلا عنها منذ عام ١٩٤٩ وادعى انها انجبت طفلا سجلته باسمه مع انه فقد المقدرة على الانجاب منذ مدة طويلة وردت الزوجة بانها انجبت الطفل بواسطة التلقيح الصناعي وبموافقة الزوج ولكن المحكمة قالت ان من حق الزوج عدم الاعتراف بالطفل الذي تحمل به زوجته بهذه الطريقة التي يمكن ان تطبق عليها مبادىء الزنا وذلك لمخالفتها لقانون الاسرة الايطالية .

● اكد الدكتور رالف لاب عالم الذرة الامريكي ان التجارب الذرية التي تجريها بعض الدول الكبرى من حين لاخر فيها خطورة كبيرة على البشر اجمعين . فقد صرح بان الاشعاعات الذرية الخطرة التي تنطلق في الفضاء نتيجة لهذه التجارب ستبلغ في سنة ١٩٦٢ حدا يكفي لاصابة كل شخص في العالم باقصى ما يمكن ان يتحمله من هذه الاشعاعات الذرية . وان الاثار القاتلة لهذه الاشعاعات لن تظهر في جلاء قبل عام ١٩٧٠ وذلك لان دقائق استرنيوم المشعة التي تسبب سرطان العظام ستظل سابحة في طبقات الجو العليا حتى ذلك الوقت .

● اخترع العالم التشيكوسلوفاكي ا. هلافاتسك جهاز اشعة ذات انبوبين يعكسان اشعتهما بصورة متتالية سريعة موحدة وهكذا تمكن من الحصول على صورة مجسمة .

● اصبح بالامكان الان رؤية الذرات ... اذ تمكن الاستاذ اروين موللر ، استاذ الطبيعيات بجامعة ولاية بنسلفانيا ، من تصوير هذه الذرات الدقيقة غير المرئية لاول مرة ، بواسطة مجهر ايوني يشبه في شكله الخارجي زجاجتي (ترموس) احداها داخل الاخرى . وقد توصل الاستاذ موللر الى ابتكار هذا المجهر بعد ١٩ عاما قضاها في البحث المتواصل ، واصبح بالامكان رؤية العناقيد الذرية التي تشبه اللآليء مكبرة ٢٧٥٠،٠٠٠ مرة . ويعد تصوير الذرات على هذا النحو ، ذا اهمية بالغة لدراسة التفاعلات الكيماوية بين الجوامد والغازات .

ولتصوير الذرات ، ادخل سلك من معدن التنجستن ادق الف مرة من راس دبوس في المجهر حيث خفضت درجة الحرارة الى ٣٠٠ تحت الصفر بواسطة النيتروجين السائل ثم استعين بغاز الهيليوم لتوليد الايونات المطلوبة ، فانعكست صورة سلك التنجستن وعلى راسه الذرات مكبرة الاف المرات على شاشة فلورسنت . وبعد ذلك سجلت الصورة المنعكسة على الشاشة بواسطة كاميرا خاصة، فتم بذلك تسجيل اول صورة للذرات التي لم يكن بالامكان رؤيتها من قبل .

● بدات الاعمال في بناء اكبر محطة مائية لتوليد الكهرباء في العالم على نهر انكرا في سيبيريا بقوة ٣٢٠٠،٠٠٠ كيلو واط وستبنى كذلك في الاتحاد السوفياتي محطات ذرية بقوة مليونين الى مليونين ونصف كيلوواط وذلك بين ١٩٥٦ و١٩٦٠ وستطور محطات ذرية خاصة بالمواصلات .

● اذاعت لجنة فرعية بمجلس الشيوخ الاميركي ان غواصة الاسطول الاميركي الذرية الاولى « نوتيلوس » قطعت مسافة ٥٠ الف ميل دون ان تتزود بالوقود . ومما يذكر ان هذه الغواصة - والبالغة حمولتها ٣٠٠٠ طن - انزلت الى الماء في ١٧ يناير ١٩٥٥ ، وهي اول غواصة في العالم تسير بقوة الذرة .

● يبدو من البلاغ الذي اصدرته الدوائر الاميركية المسئولة والتي اعلنت فيه انهاء التجارب الذرية الاميركية ان الاسلحة الذرية والنووية ستلعب دورا كبيرا على حساب القوات البرية في الدفاع عن الولايات المتحدة. والجدير بالذكر ان تصريح الاميرال شتراوس والمشترك مع وزارة الدفاع الاميركية اشار الى نجاح تجارب القذائف المسيرة والموجهة وامكانياتها الكبيرة في الدفاع عن الاراضي الاميركية .

ويقول المراقبون ان هذا البلاغ سيساعد على احلال الاسلحة الموجهة محل القوات العسكرية الاميركية العادية كما انه سيساعد كذلك على تخفيض القوات البرية وتسريح قسم كبير من الجنود الاميركيين .

هذا ويقول الخبراء ان قوة القنبلة الهيدروجينية التي فجرت يوازي مجموع القنابل التي القاها الحلفاء اثناء الحرب العالمية الثانية في جميع الميادين الحربية .

● اعلن البروفسور نانفريدفون اردين احد علماء المانيا الشرقية ان العالم يحتوي الان على ٥٠ الف قنبلة ذرية !!

● اعلنت لجنة صيانة الثروة الطبيعية لولاية نيويورك عن مشروعها لانشاء اول حاضنة في العالم لتفقيس السمك بواسطة الحرارة التي تولدها الطاقة الذرية . وقالت اللجنة ان هذه الحاضنة ستنتج من السمك ما يعادل مجموع ما تنتجه حواضن الولاية الـ ٢٨ كلها ، وتخفض نفقات الانتاج من دولار و٤٧ سنتا للرطل الانجليزي (الباوند) الى ٥٠ سنتا او اقل ، اذ انه سيكون بالامكان الاحتفاظ بمستوى حرارة الماء ، بواسطة الطاقة الذرية ، عند درجة ٥٦ او ٥٧ فهرنهايت ، وبذا يزول تذبذب الحرارة الذي يؤخر عادة نمو السمك ويزيد من نفقات انتاجه .

● يقوم العالم الالماني البروفسور سانجر بابحاث لانشاء قذيفة تطير بسرعة الضوء أي بسرعة ٣٠٠ الف كيلو متر في الثانية . وتقوم نظرية سانجر على ان كل مصدر للضوء يعتبر في الوقت ذاته مصدرا للطاقة ، ولكن هذه الطاقة تظل ضعيفة ما دامت غير مركزة . والمعروف ان ضوء الشمس يحدث ضغطا على سطح الارض قوته ٤٠٠ الف طن فاذا أمكن تركيز جزء من هذه الطاقة الضوئية لتيسر استخدامها في دفع قذيفة تسير بسرعة الضوء وتصل الى كوكب المريخ في مدة ساعة واحدة .

● اتضح من التجارب التي اجراها معهد ماساتشوستس التكنولوجي بانه يمكن حفظ بعض انواع الاطعمة ، مع المحافظة على طعمها ولونها ورائحتها ، بتعريضها لاشعة « جاما » الذرية . ومن اصلح الاطعمة للحفظ بهذه الطريقة : اللحوم ، والطيور ، والاسماك ، والفاصوليا الخضراء والسبانخ والحبوب والحليب ومنتجاته . وقد اذاعت شركة « سويفت » - وهي من اكبر شركات تعليب اللحوم الاميركية - انها تبحث الان في تعقيم منتجاتها الغذائية بهذه الطريقة ، التي تعرف في الاوساط العلمية بطريقة « التعقيم البارد » .

● تجري ادارة السكك الحديدية البريطانية الان اختبارا جديدا من نوعه يرمي الى القضاء على الضجيج الذي تحدثه القطر الحديدية بواسطة اسلوب فني في صنع الخطوط . وبدلا من ان تكون الوصلة في الخطوط كل ١٨ مترا سيجعل طولها في التجربة الجديدة ٩٠ مترا . وبدلا من وضع الخطوط على قطع خشبية تسندها كما هي الحال في الخطوط الحاضرة ستكون هذه السندات من المطاط . لذلك تنزلق القاطرة على وصلات حديدية طويلة مرنة يتنظر ان يخف معها الضجيج الى حد كبير . واذا ادت نتائج الاختبار المذكور الى الهدف المرتقب فستدخل الخطوط الحديدية في عهد جديد .

● ابتكرت في الولايات المتحدة آلة كاتبة كهربائية تسمى فلكسورايتر يمكنها خزن المعلومات بحيث يمكن اعادة طبعها آليا عندما يحين الوقت لذلك .

وتحتوي هذه الالة على جهاز يسجل الرسائل المطبوعة باحداث ثقوب في شريط، كما تحتوي على جهاز اخر « يقرأ » هذه الثقوب ويحرك مفاتيح الالة تلقائيا فتطبع كل ما هو مكتوب على الشريط بمعدل ١٠٠كلمة في الدقيقة .

● يبنى الان في المانيا الغربية اكبر راديو تلسكوب في اوروبا وثاني واحد في العالم . بمرآة تزن ٢٠ طنا وقطرها اكثر من ٢٥ قدما وسيوضع على برج ارتفاعه ١٢٠ قدما .

● حقق معهد ابحاث البناء في خركوف بروسيا الوسائل التكنيكية المؤدية الى صنع نوع جديد من الباطون . فالى عهد قريب كان يعتبر ان الاسمنت بما له من مزايا قابضة يجب ان يدخل حكما في تكوين الباطون . الا انه لوحظ ان نفايات الانتاج الصناعي ، والمواد الخارجة من المعادن المنصهرة ، تملك بعد تعريقها بآلات طاحنة ، الخصائص نفسها التي يتميز بها الاسمنت البورتلندي. اما الخصائص الفيزيائية والميكانيكية التي يتميز بها هذا الباطون الجديد فهي ذاتها في باطون الاسمنت العادي . (وقد امكن تبعا لتكنولوجية وضعها معهد الابحاث المذكور ، الحصول على نوع من الباطون يستطيع ان يتحمل ثقل الف كيلو غرام بالمتر المربع) لذلك بات هذا النوع الجديد يستعمل في جميع الانشاءات بالباطون وبالباطون المسلح .

● توصلت محطة التجارب الزراعية التابعة لجامعة كورنل في جنيف بولاية نيويورك الى انتاج نوع ممتاز من العنب يعطي محصولا

وفيرا وقد وجد ان العاملين الاساسيين لانتاج هذا النوع الممتاز من العنب هما توفر مساحة كبيرة تتعرض فيها اوراق الكرمة للشمس تعرضا كافيا ، ثم القيام بتشذيب متزن في موسم القطاف . وتأمين مساحة كبيرة تتجرد فيها اوراق الكرمة يكون بالتسميد الجيد وتنقية الزرع من الحشائش ورعايته من الحشرات مع استخدام تكعيبات خشبية لها بطول ١٤٧ من الامتار . وهذه الامور اتضح انها ضرورية للحصول على مواسم ممتازة من العنب.

● بدأت جامعة ولاية اوهايو في الولايات المتحدة في انشاء اكبر منظار لاسلكي مقرب في العالم ينتظر ان يحدد مواقع الالوف من النجوم الجديدة ذات النشاط اللاسلكي وهي نجوم تصدر منها موجات لاسلكية كالتي تنبعث من كوكب المشتري .

وسوف يبلغ طول المنظار الجديد نحو ٧٠٠ قدم (٢١٠ امتار) وارتفاعه ٧٥ قدما (٢٢٫٥ مترا) كما انه سوف يكون بمثابة هوائي لاسلكي عملاق روعي في تصميمه ان يتلقى الانبعاثات اللاسلكية من الجو بصورة تشبه كثيرا الكيفية التي يتلقى بها المنظار البصري المقرب الموجات الضوئية . ونظرا لان الموجات اللاسلكية اطول بملايين المرات من الموجات الضوئية فانه لا بد وان يكون المنظار اللاسلكي المقرب اكبر كثيرا من الاجهزة البصرية لكي يستطيع استقصاء والتقاط الموجات اللاسلكية الصادرة عن النجوم .

● ان سيبيريا هي محيط اخضر يضم اربعة اخماس الثروات الحرجية في الاتحاد السوفياتي وتعتبر غابات تايجا التي تغطي مساحة سبعة ملايين كيلومتر مربع المثل النموذجي لسيبيريا ويبلغ عرض هذه المنطقة في بعض الاماكن الفي كيلومتر مربع تكاد تسيطر فيها فصيلة الصنوبرات بلا منازع . حتى ان غابات « كراسنويارسك » المكونة في معظمها من صنوبر « الانجارا » وهو اجود صنوبر في العالم ، تضاهي وحدها جميع الثروات الحرجية في كندا . ولو استعمل الفائض من غابات كراسنويارسك ، بطريقة لا يتضرر معها ازدياد الاشجار ، لامكن ان يشحن من هذا الخشب قافلة من اثنين وثلاثين مليون كيلو متر . وبعبارة اخرى ، لامكن بواسطة هذه القافلة الاحاطة بالارض ٨٠٠ مرة طوال خط الاستواء .

● يقوم علماء الولايات المتحدة بتجربة جديدة لتقرير مدى امكانيات خزن مواد الغذاء الرئيسية في القطب الجنوبي ومدة احتفاظ هذه الاغذية بنضارتها . وهم سيقومون لهذا الغرض بدفن ١٠٠ رغيف من الخبز في الجليد والثلج بالقرب من القطب الجنوبي ، ثم يخرجونها بمعدل رغيف واحد كل عام لاختباره ويقوم بهذه التجربة علماء تابعون لحملة الولايات المتحدة التي ترتاد القطب الجنوبي لجمع المعلومات كجزء من برنامج السنة الجغرافية الطبيعية الدولية .

والاميرال رتشارد بيرد ، جواب القطبين الشهير الذي يرأس حملة الولايات المتحدة هذه، يؤمن منذ زمن طويل بنظرية استخدام المناطق الثلجية الشاسعة في القطب الجنوبي لخزن كميات هائلة من المواد الغذائية مددا غير محدودة لسد حاجة سكان العالم الذين يتزايد عددهم باضطراد .

ومما يذكر بهذه الصدد ان البكتريا تكاد تكون معدومة في القطب الجنوبي ، وان العدد القليل منها الموجود هناك هو في حالة ركود من شدة الصقيع ، كما اتضح من التجارب التي قامت بها حملة الاميرال بيرد السابقة . فقد اكتشفت الحملة جثة حيوان يشبه الفيل ، انقرض منذ قرون مدفونة في الجليد ، فلما اخرجتها اتضح ان لحم هذا الحيوان لا يزال في حالة صالحة للاكل مع انه قد مضت مئات السنين على موته . ويعتقد العلماء ان الخبز المدفون في الجليد سيحتفظ ايضا بنضارته كلحم هذا الحيوان تماما .

● كشف الدكتور والتر باده من مرصد « بالومر » مجموعة جديدة هائلة من الكواكب ذات طاقة ضخمة وهي تعمل كتوابع شمسية سيكلوترنية . وقد سماها « م ــ ٨٧ » وقال ان ما يحدث بها يعد شيئا ليس مألوفا لعلماء الرصد . وهذه الكواكب طويلة الشكل ذات نواة تقذف بطاقة نفاثة ولا بد ان لها مجالا مغناطيسيا يشدها وينظم سرعة الالكترونات الشديدة . وستتولى صحيفة الرصد الامريكية « استروفيزكال جورنال » نشر تقرير الدكتور والتر باده عن كشفه هذا .

● تلقى الالياف الصناعية في الاتحاد السوفياتي استعمالا مطردا . فالكابرون يستعمل على نطاق واسع . وهو يستخدم لصنع الجوارب والانسجة وسلع الملابس الداخلية . كما يستخدم هذا الليف المتين والبالغ النعومة في صنع فراء اصطناعي يشبه الى حد كبير الاستراخان .

وفي السنة الماضية اخرجت مؤسسات وزارة الصناعة الخفيفة في الاتحاد السوفياتي ١٢٣ الف متر مربع من الاستراخان الاصطناعي وهذه السنة سيربو هذا الرقم على الضعف . وفي سنة ١٩٦٠ سيتجاوز انتاج الاستراخان الاصطناعي المليوني متر مربع .

ولقد عمل العلماء المخترعون والمهندسون السوفياتيون كثيرا لكي يضعوا موضع التنفيذ الاساليب المؤدية الى تحويل الكابرون من الليف الى فراء .

وهناك نوع من الليف اللزج يعالج مسبقا بمواد تمنحه خاصة رد الماء ، يستعمل ايضا لانتاج الاستراخان .

● روبرت جوندرسون وعمره ٣٦ سنة اعمى منذ الولادة .. ولكنه تمكن من اختراع ما يزيد عن ٣٠ جهازا مختلفا من اجهزة الكشف على اجزاء الراديو والاجهزة الالكترونية الاخرى ، لتمكين الفنيين العميان من امتهان صناعة هذه الاجهزة واجزائها ومساعدتهم على كسب قوتهم عن هذا الطريق . وقد منحته شركة جنرال الكتريك جائزة تذكارية وجائزة مالية قدرها ٥٠٠ دولار تقديرا لنبوغه وجهوده .

ولم يقتصر نشاط جوندرسون على اختراع هذه الاجهزة بل انه يقوم احيانا بتصميم بعض اجزاء الاجهزة اللاسلكية لحساب بعض الشركات الصغيرة ويدرس اللاسلكي لطلبة معهد تعليم العميان في نيويورك ويعمل مستشارا لاحد متاجر الراديو ويصدر مجلة « الانباء الفنية » مطبوعة بطريقة بريل للعميان ويتعاون مع مكتبة الكونجرس على « ترجمة » بعض البحوث الالكترونية ونشرها بطريقة « بريل » .

● قررت شركة الاذاعة الاهلية الاميركية تخصيص احدى محطاتها التلفزيونية الكبرى في مدينة شيكاغو للاذاعة التلفزيونية الملونة ، فاشتد اقبال الناس في شيكاغو على شراء اجهزة التلفزيون الملون رغم ارتفاع اسعارها (يباع ارخص هذه الاجهزة بحوالي ٦٠٠ دولار)

وقد بلغت نفقات تحويل هذه المحطة من الاذاعة العادية الى الاذاعة الملونة مليون و٣٠٠ الف دولار ، واتضحت من عملية التحويل هذه المعلومات الطريفة التالية :

تحتاج الاذاعة الملونة الى ثلاثة امثال كمية الضوء اللازمة للاذاعة العادية ، مما اقتضى زيادة تبريد هواء الاستوديوهات بنسبة ٢٥ بالمئة لمكافحة الحرارة الزائدة .

تحتاج الاذاعة التلفزيونية الملونة الى كاميرات اكبر واثقل وخطوط وعمال اكثر .

تحتاج عملية التحضير الضوئي لتسجيل اذاعة ملونة الى ضعف الوقت الذي تحتاجه الاذاعة العادية باللونين الاسود والابيض .

تقدر الشركة زيادة نفقات اخراج البرامج بنسبة تتراوح بين ٢ و٢٫٥ بالمئة .

اقتضت عملية التحويل اعادة تدريب الفنيين وفناني المناظر والمذيعين والممثلين والمغنين ، كما يقتضي اختبار الالوان قبل اذاعتها .

[تتمة المنشور في صفحة ١٥]

واذا كان المتنبي سيد الشعراء لم يسلم من الكبوات والعثرات التي لم ينفع فيها التأويل والاجتهاد ، فعلام نطالب شعراءنا بالمعجزات التي يضيق بها الانبياء ؟ وقديما قالوا انه لا يحيط باللغة العربية الا نبي !

هذا ما رأينا ان نعلق به على « قذائف » الاستاذ عزيز اباظه الذي اهوى على الشعر المهجري ، وكأنه ابى الا ان يستشهد هذا الشعر بين يديه ، وما كان الشهداء الا من الخالدين ، ولكن الحياة ارادت له غير ما دبر . . .

بل كأنه في « قذائفه » على الشعر المهجري ، حاكى ذلك العملاق الذي هاجه غناء البلبل فانقض عليه ساخرا غاضبا وخاطبه قائلا : علام يحرصون عليك ويبتاعونك غاليا متنافسين وانت لا تساوي لقمة بين فكي . . .

وما كان البلبل ليدفع الطوى ويملأ خواء الجوف ، وانما هو للصداح والتغريد وايقاظ الجمال والابداع في النفوس . . .

فاذا كان « الاباظيون » يظنون ان بلابل الشعر المهجري تقاس قيمتها بلحومها ، فهم لا شك ضالون .

هذه البلابل للصداح والتغريد والتسبيح . اما اللحوم التي تشوقهم فليبحثوا عنها في غير المنادل والبلابل !

ويتابع الاستاذ حسن جلال العمروسي ادارة الحفلة التي هدفت الى تكريم الاستاذ جورج صيدح ، فنقلها العريف البارع الى ميادين المعارك الادبية ، كما قالت الصحف المصرية . لا نقول انها مؤامرة على الاستاذ صيدح ، ولكننا رأينا في هذه الحفلة التكريمية ـ محكمة متحزبة متعصبة ـ قامت تدين الشعر المهجري وتلصق به اسوأ الذنوب ، دون ان تترك للاستاذ المحاضر مجالا او شبه مجال للرد على التهم والمطالبة بالشهود . . .

فبعد ما انتهى الاستاذ عزيز اباظه من هجومه العنيف ، رأى الاستاذ العمروسي ان « يلطف الجو المتكهرب » كما قالت الصحف فدعا الاستاذ محمد زكي عبد القادر رئيس تحرير « الاخبار » المصرية لالقاء كلمة في الشعر المهجري ، هي فصل الخطاب . وكان هذا الخطيب كما وصفوه لبقا بارعا فصيحا فوصف بعض خصائص الشعر المهجري . تفكير غربي في ثوب عربي وحنين الى الوطن ولون من الشعر هو مزيج من العاطفة الرقيقة والوجدان الشفاف والتصوير للحياة . « وقد تأثر هؤلاء الشعراء في هذا كله ، بما لمحوه في الدنيا الجديدة من الوان جديدة وحضارة نامية وتصور للامور يختلف عما عهدوه في اوطانهم » .

ثم تابع « وشكرا لشعراء المهجر ان لم ينسوا اوطانهم وان كانوا قد تركوها لانها لم تسعهم . شكرا لهم ان لم يجحدوها بينما جحدتهم في كثير من الاحيان فلم تعطهم ما يريدون من حرية ورزق (محمد زكي عبد القادر في الاخبار) .

وليس هنا بيت القصيد ، فقد ناخذ ما ذكره المعلق بشيء من الرضا ، وانما بيت القصد في قوله : ١) ان شعر المهجر لا تنبغي مقارنته بالشعر العربي في موطنه لاختلاف الظروف والبيئة . ثم ان شعر المهجر فرع من الام الكبرى وهي الوطن العربي وكيف يمكن عقد مقارنة بين الفرع والاصل .

٢) ان لضعف اللغة عند ادباء المهجر مبررات وجيهة لا تحد من فضلهم ولو قصروا في الاداء عن المقيمين ـ اي انه حكم عليهم بجريمة ضعف اللغة والتقصير في الاداء ولكنه التمس لهم عذرا لارتكاب هذه الخطيئات !

وردا على الشطر الاول أي المقارنة بين الشعر المهجري والشعر العربي في موطنه لا يسعنا الا ان نتساءل : لماذا انكر الاستاذ المعلق هذه المقارنة ؟ لقد احتج باختلاف (الظروف والبيئة) وكأنه اكد تقصير الشعر المهجري .

فهذا (العذر) قد يصح لكل شيء ، ولكنه لا يصح مطلقا في الشعر . كان على الاستاذ المعلق ان يقارن ، لا ان يلجأ الى هذا الفرار اللبق ، ذلك اننا ننظر الى الشعر نظرة اساسية لا تتغير ولا تتبدل . وهي اما ان يكون شعرا ، واما ان لا يكون . ونحن لا يعنينا تكافؤ الفرص او تفاوتها وانما يعنينا الشعر وحده ، اما التماس الاعذار للشعراء فهذا امر لا علاقة لنا به ولا يشفع بالناظم الذي يجب عليه ان يقدم لنا شعرا لا عذرا .

وليست القضية في هذا المجال الادبي ، قضية جريمة امام محكمة قضائية يتولى فيها المحامي تخفيف العقاب لبعض الاعتبارات . وانما القضية قضية شعر . فاما ان يكون هذا الشعر صالحا ، سواء أتكافأت الفرص أم تفاوتت وعندئذ يجب ان نضعه في مكانته المرموقة ، واما ان يكون سيئا وفي هذه الحالة يجب علينا ان نهمله ونطرحه جانبا دون الاخذ بأي عذر ، ما دامت الجودة هي الشرط الاساسي في الشعر .

وشعراء المهجر يرفضون اشد الرفض ما تعلل به « المحامي » من اختلاف الظروف والبيئة ، ويردون هذا « العذر القضائي » الذي التمسه لهم الاستاذ عبد القادر من حيث اراد لهم الخير .

عندما تجري الجياد في حلبة السبق لا يقبلون ـ عمليا ـ للجواد المصلي عذرا ولا ينتحلون لتقصيره سببا . هذا امر يتعلق بصاحبه وحده . اما الجمهور فانما يأخذ بما رأى وحقق . وسيان لديه اخسر هذا الجواد لسغب او تخمة او ضعف او تفاوت في الفرص . . .

والشعر المهجري ، اما ان يكون ذلك الشعر الحي العذب الرفيع الرائع الذي يستحق ان ينشد ، واما ان يكون محشوا ـ بالرطانة والخشونة وضعف الاداء ـ كما وصفه الاباظيون .

فما قول الاستاذ عبد القادر ؟

اما ان شعر المهجر فرع من الام الكبرى وهي الوطن العربي ، ففيه نظر ومجال للنقاش .

فشعراء المهجر من حيث العنصر والمولد والنشأة واللغة لا يختلفون بشيء عن سائر شعراء الوطن العربي . وكل ما هنالك ان شعراء المهجر نظموا قصائدهم في بلدان اجنبية ، اما زملاؤهم الاخرون فنظموه في بلدانهم نفسها ، فعلى اي اساس نعد هؤلاء اصلا واولئك فرعا .

اتستطيع الغربة ان تسلبهم حقهم الطبيعي في ـ الاصلية ـ وتجعلهم فرعا على حين انهم من صميم الاصل ؟

قد يجوز ان نعد شعراء المهجر فرعا لو انهم تحدروا من اباء عرب سوريين ولبنانيين وولدوا في اميركة السكسونية واللاتينية ، ونشأوا فيها وعاشوا ثم نظموا الشعر عربيا . في هذه الحالة فقط ، يصح ان ندعوهم فرعا من الدوحة العربية الام ، امتدت اغصانه الى العالم الجديد . اما في حالتهم الحاضرة فلا يجوز البتة ان نضعهم

موضع الفرع . وكل ما في الامر ، انهم نظموا قصائدهم في بلدان اجنبية بدلا من أن ينظموها في وطنهم نفسه .

فشوقي الشاعر الخالد نزح الى اسبانية واوروبة واقام فيها سنوات حيث الف ونظم فهل يجوز ان نعده في هذه الحالة فرعا .

وامير البيان شكيب ارسلان ، قضى في سويسره ما ينيف على عقدين من السنين وهناك الف وكتب خير ما دبج ، فهل نحصيه في عداد الفروع ؟

والشيخ احمد فارس الشدياق ، وقد كان عبقري اللغة العربية ، وضع معظم مؤلفاته في ديار الغربة .

وهناك عشرات من الكتاب العرب الذين كتبوا ونظموا والفوا في الاقطار الاجنبية مع هذا ما فقدوا حقهم في « الاصل » ليقال انهم انتقلوا الى الفرع ، كما شاء الاستاذ عبد القادر ان ينقل شعراء المهجر من الاصل الى الفرع ...

ننتقل الآن الى الشطر الثاني ، أي ضعف اللغة عند ادباء المهجر .

فالاستاذ عبد القادر على ما يبدو ، شاء ان يحاسن اصدقاءه الاباظيين بمعدل سبعين في المائة ، وفي الوقت نفسه ، احب ان يجامل المهجريين بنسبة ثلاثين في المائة ، على امل ان يرضي الفريقين .

فقد اعترف لشعراء المهجر ببعض الحسنات ، في حين ان الاباظيين لم يعترفوا للمهجريين بحسنة واحدة . ولكنه ما عتم ان انقض عليهم من الناحية اللغوية فاتهمهم بالضعف والتقصير في حسن الاداء .

اما الضعف اللغوي الذي يلصقونه بالمهجريين كلما ضاقوا ذرعا ، وكلما ارتجت عليهم ابواب النقد ، وكلما حاولوا ان يشوهوا جمال الشعر المهجري ويفكوا طلاسم سحره ، وكلما أعيتهم الحيلة في الكشف عن عيب او نقص ، وكلما فتنتهم روعة الادب المهجري الذي ينطوي على كل معاني الحياة والقوة والابداع . نقول ، اما هذا « الضعف اللغوي » فهو لازمة يرددونها ويجترونها ، كلما غشيت ابصارهم موجات النور المتدفقة من الادب المهجري ، واحسوا بضعفهم وتقصيرهم امام الانتاج الادبي الباهر في المهاجر الاميركية .

فتراهم كلما اكبوا على دراسة ديوان شعر مهجري او مؤلف من مؤلفات المهجريين ، عمدوا الى ترديد اللازمة المألوفة « ... ولولا بعض الضعف في الصيغة ، لبلغ الديوان الذروة ... او لولا بعض الاخطاء اللغوية ، او لولا شيء مما ينافي سنن الفصاحة عند العرب الخ . » .

وذنب الادب المهجري ، انه انطلق من قيود التقليد والمحاكاة والجمود والنسج على المنوال ، واستزرى بعض التعابير القديمة ، التي تفشى فيها الابتذال والمناهج البدوية البعيدة عن اوضاع الحضارة النامية . وصدف عن النهجية او الكلاسيكية الباردة المجترة التي لمعت في عصر الطلل والسيف والجمل . ذنب الادب المهجري انه دفن بعض الالفاظ والتعابير المحنطة ، واستخرج من كنوز اللغة لآلئها وجواهرها الحافلة بالجزالة والطلاقة والجرس الموسيقي واللمعان والطرافة والسلاسة فكانت الصور البارعة والمعاني الباهرة والتشابيه الزاهرة والكنايات الصداحة ، والاستعارات المشرقة التي رافقت المستوى الفني الحديث .

ذنبه انه استخرج من اللغة العربية أدب العصر بالوان العصر وتفكير العصر وحضارة العصر ، واسلوب العصر . ولم تكن ثورته على اللغة وقواعدها ، وانما كانت ثورة على الادب المحنط الجامد الذي يعكس على الحياة المتحركة المتوثبة اشباح الماضي المتقهقر .

هذا هو ذنب الادب المهجري لدى المتعنتين المتصلفين المتمسكين بالحرف الجامد .

مع هذا كله قولوا لنا رعاكم الله ، هل للغة وقواعدها وشواردها من ضابط يركن اليه ، أم انه لا يحيط بالعربية وعلومها الا نبي ؟

مات الفارابي وفي قلبه شيء من « حتى » ومات الملايين وفي قلوبهم حسرات من « حتى » واخواتها وذوات أرحامها ، ذلك ان لغتنا العربية جمدت على بداوتها ، فلم تنظم حتى اليوم تنظيما علميا صحيحا يصقل حروفها ويهذب قواعدها ويشذب اصولها وفروعها ويدفع عنها كل ما يحجب النور والحياة .

لماذا ابتدع اللغويون والنحاة ابواب التخريج والتأويل والمقايسة والاجتهاد ؟ أليس ليبرروا الاخطاء اللغوية ويجعلوا اللحن سليما معربا ؟ وهل للاجتهاد اللغوي والنحوي حدود، أم انها تتسع وتتسع حتى تطغى بعض الاحيان على القواعد والاصول فيصبح كل ما نقوله صحيحا ولو لحنا ؟

ثم أليست العربية في اصولها مجموعة من لغات القبائل ، المتضادة طورا ، المتقاربة تارة ، المتباعدة اخرى ؟ وهل جمعت معجماتنا كل ما نطق به العرب ، أم اقتصرت على ما وصل الى الاسماع مما جاء في قول الراجز او احد الاعرابيين النكرات ؟

وماذا نقول في مذاهب النحويين وهي أشقى واتعس من الجدل اللاهوتي البيزنطي ، بين التصويب والتخطئة والاجازة ؟

ومع كل هذه « الفوضى » الصاخبة التي تؤذي الحرف والفكر ، حرص الشعراء المهجريون على اللغة وقواعدها ، وكانوا أشد حرصا عليها من معظم شعراء العرب المعاصرين الذين قصروا أشد التقصير في مضمار النظم ، شاعرية وانطلاقا فكريا وابداعا فنيا ، واداء عربيا ، فتهلهل الشعر بين ايديهم وتهافت مترنحا بين التقليد العربي القديم والتجديد الفرنجي الحديث . بل انه مني بشر هزيمة امام الشعر العامي ، فما سمعنا في أعياد الحرية والجلاء المصرية، سوى الاغاني العامية ، فأين شعراء الفصحى ؟ وما هو اثرهم في الثورة المصرية المحررة ، وهل مهدوا لها بشيء من منظوماتهم بل هل استطاعوا ان يواكبوا هذه الثورة العظيمة على الاقل ...

وأين هم من شعراء المهجر، في وثباتهم وفي تحليقاتهم وفي انطلاقاتهم البعيدة وفي ثوراتهم الانسانية والقومية والاجتماعية المستمدة من صلب الحياة ، وفي تحسسهم المرهف للجمال والصور الرائعة ، وفي تذوقهم للنغم والصياغة البيانية ونكهة اللفظ ، فكانت لهم بدل المدرسة الواحدة مدارس جليلة جديرة بالاعجاب والاقتباس كما قال النقادة المتبحر الاستاذ عباس محمود العقاد الذي انبرى للدفاع عن الشعر المهجري على صفحات الجرائد وفي الاذاعة المصرية ولا يخفى ان هذا المفكر العملاق لا يلقي الكلام جزافا ولا يجامل ولا يحاسن ولا يهمه ان يغضب زيد او يرضى عمرو ، في سبيل الادب والحق .

لقد شهدت مصر في مدى سنواتها الاربع الاخيرة

احداثا سياسية واجتماعية واقتصادية مدوية هزت العالم هزا ، ودونت تاريخا حيا لمصر وولادة ذهبية جديدة أطلت من ورائها مصر المثخنة بجراح النضال ، بوجهها المشرق الرائع ، ولكن هذه الاحداث الجبارة المتلاحمة التي طوت تاريخا مظلما جائرا عنيدا ، وبعثت الحياة والقوة والعزة ، كأنها سحر ساحر في قبضة مارد قاهر ، لم تهز قرائح الشعراء المصريين ولا حركت قلوبهم ولا شحذت اذهانهم ولا ارهفت آذانهم ، ولا الهمتهم شعرا جديرا بان يعيش الى جانب هذه الاحداث ويصور هذه البطولات والوثبات ، او ان يكون بالتالي صدى لهذا البعث . على حين ان شعراء المهجر تغنوا بالثورة المصرية اطيب التغني ، ومهروها بذوب لاهب من قلوبهم وفيض متدفق من نفوسهم وقبس متألق من قرائحهم وقوس قزح من خيالهم، وافق متأرج بسام من ادائهم وفنهم ونغم صداح من انفاسهم فتجسدت الكلمة في شعرهم وانبعثت تنفض عنها الاكفان لتزأر حينا وتغرد اخر ، وتترجم عما يجيش في صدور الشعراء المهجريين من هدرة عربية وضرم مترنح فرحا بوثبة مصر وبطولة مجلس الثورة ومضاء جمال عبد الناصر ، فكأنهم هم شعراء مصر ، وكأن شعراء مصر ، هم شعراء اميركه ! ولولا بعض القصائد والمقالات السياسية والاجتماعية والحماسية ، لقلنا رحم الله الادب المصري الذي لا يتجاوب مع مصر . . .

فأية رسالة يحملها شعراء مصر الحديثون ، أرسالة الانعزالية والانزواء والبرجعاجية ؟

أهذا هو الشعر الذي تفتقر اليه مصر ؟ او هذا هو القريض الذي يفخرون به على شعراء المهجر ، وهم الذين ارتادوا آفاق الحياة وحلقوا في اجوائها وقرعوا ابوابها واعتلوا محرابها ، تواكبهم النجية الملهمة ، فأنشدوا الشعر حيا وسكبوه انسانيا وقوميا . وصاغوه فنيا بيانيا ، فانطلقت منه اغرودة الحياة ، وحكمة السماء وومضات الرؤى والاحلام والابداع ، فنهضوا بالشعر بعد جموده وركوده ، وعالجوا به اجل الموضوعات ، وقضوا على اسطورة المحاكاة والتقليد اسلوبا وموضوعا ، وابتدعوا التعابير والاستعارات الفنية العميقة ، والمجاز بالكنايات والتشابيه والصور المجنحة التي تفشت في الادب الحديث بفضل الادباء العرب الموهوبين في المهجر الشمالي ، وان شئت فقل مجلة الفنون النيويوركية اولا (نسيب عريضه وميخائيل نعيمه) فجريدة السائح النيويوركية صحيفة الرابطة القلمية (عبد المسيح حداد) .

اما اذا كانت الشبيبة المصرية قد اقبلت على الشعر المهجري واعجبت به ، فما مرد هذا الاعجاب « لانها تخيرت الطريق السهل لتبتعد عن الطريق الوعر » ولانه لا يمكن لهذه الشبيبة ان تقدر الشعر العربي السليم الا اذا قرأت العربية وفهمتها ، كما زعم الاستاذ عزيز اباظه (مجلة الرسالة) وانما مرد هذا الاعجاب ، الى ما تذوقته في الشعر المهجري من عناصر القوة والجمال . والى ما تلمسته من حيوية متدفقة وعروبة صافية وبيان مشرق ، وصدق صادق ، ونظر عميق طليق في معالجة التجربات والموضوعات ، والى ما يجيش في صدرها من وثبات وانتفاضات وانطلاقات بعيدة المدى ، رفيعة الهدف ، هي من صميم روح العصر وعقلية العصر .

ما آثرته الشبيبة المصرية لانه « أيسر الطرق » بل لانها رات فيه الطريق الاقوم والافضل ، والاهدى والاجمل . ولانها تغنت بجرسه المتجاوب مع جرس الحياة فقرع الاضلاع ونفذ الى القلوب . بلى ولانها سئمت ذلك الادب المحنط بتعابيره الجامدة وصوره الذاوية والوانه الشاحبة وانغامه الوسنة المهومة . . .

اما ان نزعم ان الشبيبة المصرية المتفتحة قلوبها وعقولها وضمائرها على العلوم والثقافة والمعرفة ، والمشرئبة اعناقها الى المضاء والطموح والآفاق الزاهية ، اما ان نزعم مفتئتين ان هذه الشبيبة لا تفهم العربية وان جهلها هذا هو الذي قادها الى الطريق الايسر اي الشعر المهجري ، فهو زعم من لغو القول يشبه بتهافته زعم الاباظيين ان الشعر المهجري غير عربي ، وان في شعراء المهجر رطانة ، وفي شعرهم خشونة . . .

وفضلا عن هذا . اذا كانت شبيبتنا الراقية المتوثبة التي تتجلى فيها الثقافة والحركة ، لا تفهم ما ننظم ، ولا تعي ما نقرض لها من الشعر ، فلمن ننظم ولمن نصوغ القوافي ؟

والصحيح ، ان شبيبتنا لا تهضم الا ما تستمرئه وتستعذبه وتطيب نفسها به . لقد اتخمها الادب اللفظي الاجوف الذي يملأ الجوف ولا يغذي ، وتاقت الى الزاد الحي الشهي الذي تجسدت فيه الكلمة . . .

ثم الا يكفي شبيبتنا المتيقظة ان المومياوات الادبية أكثر من ان تحصى ، وان اجواء الشعر ضاقت بها سبلنا واذهاننا حتى نمهرها بعقم جديد نئد به مواهب شبيبتنا واحلامها وطموحها ومثلها العليا .

وبعد فقديما قيل : من غربل الناس نخلوه . غير ان الاباظيين لم يغربلوا الشعر المهجري لنخلهم ، ولكنهم حاولوا ان يحجبوا الشمس بالغربال ، فأعجزتهم اشعتها . . .

وقضية الشعر كلية عامة لا قضية محلية او خاصة تتأثر بالنعرات والمذاهب والعواطف .

وقضية الشعر ايضا دراسة عميقة منزهة ومناقشة ادبية هادئة ، لا قضية احكام تعسفية استبدادية تصدرها الاهواء والنعرات والمآرب .

والاباظيون ، غفر لهم الادب ، لم يأتونا بدليل واحد على ان الشعر المهجري غير عربي ، وعلى انه غير شعر . . . وكل ما صنعوه انهم القوا الكلام على عواهنه جزافا كيفما تيسر ، وكيفما طابت لهم الاهواء فركبوا جناح الاوهام وبنوا مناقشتهم على النقمة والبغضاء .

لقد قلنا ونكرر ، ان الادب المهجري لم يبلغ حد الاعجاز ، ولكنه ـ كما قال ميخائيل نعيمه ـ « أدى رسالته للشرق كاملة ، وكل ما جاء بعد ، فهو نور على نور» .

اما انت يا شاعرنا الكبير ومحاضرنا الجريء ، فلك شكر الادب الحديث واعجاب الناطقين بالضاد ، اذ أسديت الى الفصحى بمحاضرتك البديعة المانعة في الادب المهجري يدا بيضاء نقابلها بأطيب ثناء . وكشفت للعيون والقلوب والاذهان ، عن كنوز ثمينة ، ولآليء مكنونة ودراري مفتونة ، هي في جيد العربية قلادة طريفة من قلائد الثراء والرواء . وهي على صدرها وسام مستحدث من اوسمة النبوغ والنضال . وهي على رأسها تاج اصيل من تيجان الابداع والجلال .

هذا هو الادب المهجري وناهيك به من ثروة ومجد .

نظير زيتون — **نزيل حمص ـ سوريا**



السياحة مصدر للثروة القومية وعامل تفاهم بين الشعوب

بقلم رالف ريد
رئيس شركة اميركان اكسبرس

●

كيف يكون تشجيع السياحة

نشطت حركة السياحة نشاطا كبيرا ابان السنوات الثماني الاخيرة ، وتشير الدلائل الى استمرار هذا النشاط ، بل اتساعه، خلال السنوات العشر المقبلة .

وساقصر حديثي في هذه العجالة على بيان الخطوات التي اتخذتها بعض الحكومات لزيادة تدفق السياح على حدودها . وهذه الملاحظات يمكن اعتبارها بمثابة اقتراحات يمكن لبعض الحكومات الاخرى الاسترشاد بها، وانني اذ اضعها الان تحت انظار المسئولين والقراء انما افعل ذلك بكل اخلاص وتواضع ، مقدرا تشعب هذا الموضوع ودقته ...

ان اساس نجاح اية حركة سياحية هو التنظيم البعيد المدى . وذلك بوضع برنامج شامل تشترك فيه الحكومة وكبار رجال الاعمال . ووضع مثل هذا البرنامج يتطلب عادة دراسة الصناعات والمرافق السياحية المحلية ومساعدة ما هو محتاج منها بالمال او بغيره للنهوض به الى المستوى المطلوب .

ويجب ان يراعى عند وضع مثل هذا البرنامج شموله على الجداول الاحصائية السياحية الخاصة بالبلد نفسه وسائر « المنطقة السياحية » التي يمت اليها البلد..

وعلى واضعي هذا البرنامج ان يأخذوا بعين الاعتبار الاختلاف الكبير في طبيعة السياح خلال العشرين عاما الاخيرة . فلم تعد السياحة مقصورة على الاثرياء دون غيرهم ، بل الواقع ان عدد السياح من ابناء الطبقات الشعبية يزداد عاما بعد عام .

والسائح العادي اليوم شخص صدوق ، ذكي، يفهم الامور ويقدر، وهو يريد ان يستفيد من ميزانيته المحدودة الى اقصى الحدود . وهو شخص يستحق احترام وتشجيع كل من يهمه أمر نمو السياحة وازدهارها . وعلينا ان نمنع أي فرد ـ ولو ادى ذلك الى اصدار التشريعات الرادعة ـ من استغلاله . فاستغلاله او اساءة التصرف معه خسارة محققة للبلد .

ويمكن تلخيص مهمة الحكومة ورجال الاعمال في تشجيع السياحة في كلمات قليلة هي : اعداد المرافق السياحية ، ثم تشجيع الاقبال عليها ..

وتشمل المرافق السياحية وسائل المواصلات كالسكك الحديدية والسيارات وغيرها . وعلى الحكومات التي يهمها الامر الكشف على الطرقات واصلاحها كلما كان ذلك ضروريا . كما يجب تشجيع بناء الفنادق الجديدة ، وتدريب موظفي المكاتب السياحية ، والفنادق والادلاء ، وكل من له صلة بالسياح ، تدريبا مناسبا، ومراعاة اختيارهم ممن يلم بلغة السائح ويجيد التخاطب بها بطلاقة .

وتشمل هذه المرافق ايضا كل ما قد يجتذب السياح من معالم طبيعية او اثرية ، كما تشمل ملاعب البلد الرياضية ، ومنتجعاتها الصحية ، واقامة المهرجانات ذات الطابع المحلي ويجب الا يغرب عن بال الحكومات استغلال الميزات الموسمية لبلادها ايضا .

ومن اهم ما يتطلبه تنشيط السياحة في أي بلد من البلدان الدعاية المثمرة التي يقصد بها الوصول الى جميع الطبقات في البلدان الاخرى وتشمل هذه الدعاية كتابة المقالات في الصحف والمجلات ، بالاضافة الى نشر الاعلانات المباشرة في الصحف وبواسطة مكاتب السياحة ووكالات السفر المختلفة .

ومن النواحي التي يمكن للسلطات استغلالها في اجتذاب السياح : اقامة المعارض التجارية، والاحتفالات الخاصة ، والمعارض المحلية والمناسبات التذكارية لعظيم ، والمؤتمرات التجارية ، والبرامج التعليمية الخاصة بالاجانب فهذه كلها مما يعجب السائح ويبهجه وخاصة اذا روعي جانب النفقات واعتدالها .

العقبات الادارية تضر بالسياحة

من منا لا يدرك اثر السياحة الضخم في اقتصاديات اي بلد ؟ ومن لا يقدر الفوائد التي تجنيها البلدان السياحية من هذا المصدر الخير ؟

ولكن الواقع المؤسف ان حكومات كثيرة تكاد تقضي على هذا المصدر بما تسنه من تشريعات قد تكون متلائمة منطقيا مع الزمن الذي نعيش فيه ، ولكنها في واقع الامر تحد من تدفق السياح على بلادها . ويمكنني القول انه ما لم تتعاون الحكومات على اتخاذ اجراء فعال يحرر السياحة من اثر هذه القوانين في المستقبل القريب فان هذا النشاط السياحي الذي نراه اليوم لا بد وان يصيبه الشلل والفتور في مدى خمس او عشر سنوات ، او يهبط الى حده الادنى على الاقل .

فما ذا يمكن للحكومات عمله في هذا الشأن؟

اولا ـ هناك قضية جوازات السفر .

يجب تسهيل الحصول على جوازات السفر للافراد ، وباقل النفقات . فجواز السفر يجب ان يكون حقا ثابتا لكل فرد حر ، يمكنه الحصول عليه بثمن متواضع .

وعلى الحكومات ان تنظر جديا في أمر انشاء مراكز متعددة لصرف هذه الجوازات لطالبيها ، بدلا من تركيز ذلك في ادارة واحدة او اكثر . فالاجراء المتبع في الوقت الحاضر في كثير من البلدان بان يتقدم الشخص بطلب الحصول على جواز سفر الى مكتب مركزي واحد لاصدار الجوازات اجراء لا لزوم له ابدا كما انه يستغرق وقتا طويلا .

وثانيا هناك مشكلة تأشيرات السفر . والحل المثالي لهذه المشكلة هو الغاء هذه التأشيرات الغاء تاما . والى ان يمكن الغاؤها يجب تسهيل امر الحصول عليها لطالبيها باقل الرسوم .

ومن الدول ما يفرض على السائح الذي ينوي قضاء بضعة اسابيع في ربوعه ان يملأ استمارات هجرة ، وهذا اجراء يضايق السائح كثيرا .

اما الجمارك ، فلا بد من تسهيل اجراءاتها وتبسيط قوانينها . وللتمثيل على ما يمكن عمله بهذا الخصوص ، اتفاق الدول المتجاورة على توحيد مراكز الحدود بحيث لا يضطر المسافر الى فتح حقائبه واخراج ما فيها مرة ومرتين . ويمكن ايضا اتباع نظام «التخليص المسبق» المتبع بين الولايات المتحدة وكندا ، أي تفتيش امتعة المسافر بواسطة احد موظفي الجمارك قبل الوصول الى الحدود . وقد ثبت نجاح هذا النظام في تسهيل السفر بين البلدين .

ثم هناك مشكلة العملة ، وهذه معقدة اترك لغيري بحثها . اما من الوجهة السياحية المجردة ، فاني انصح بالاقلال قدر الامكان من القيود المفروضة على تبادل العملات تبادلا حرا ، وتبسيط اجراءات مراقبة هذه العملات في نقاط الحدود .

اما الضرائب السياحية ، وضرائب الترانزيت وجميع الضرائب والاجراءات الاخرى التي لا يقصد منها الا (حلب) السائح ، فهذه كلها يجب ان تلغى بتاتا .

هذه هي اذن بعض الطرق العملية التي اقترحها ، بكل تواضع واخلاص ، لتنشيط السياحة ، وهي التي يسمونها « الصادر غير المنظور » لما يمكن ان تجنيه البلاد التي يعنيها الامر من فوائد مالية واقتصادية محققة ، فضلا عن كونها عاملا اساسيا في توطيد السلام العالمي .

رائف ريد

نحن قوم بلا أدب !...

بقلم اديب مروة

●

نحن قوم بلا ادب . وهذه حقيقة مخجلة يجب ان تقال مهما كان المعنى المقصود من كلمة ادب في اصطلاحها الفكري او الخلقي ... اجل نحن قوم لا ادب لنا ، وانه لمن المعيب ان يكتشف المرء ذلك متى خرج قليلا من بلاده الى عالم اوسع منها قليلا .

وحسب أي كان ان ينظر الى ادب البلاد العربية كلها بمنظار دولي عام ، لا بمجهر يكبر الاشياء ملايين المرات كما يفعل بعض «الوطنيين» ليرى ان ليس للعرب في هذه الحقبة من التاريخ ادب ولا ثقافة فكرية تستحق الذكر او الاهتمام لدى غيرنا ...

* * *

والدليل على ذلك انه لم يظهر حتى الان في البلاد العربية البالغ عدد سكانها سبعين مليونا – حسب الاحصاءات المادية – اديب جدير بان ينال جائزة نوبل العالمية . بينما استطاع شعب ايسلندا البالغ عدده مئة وخمسين الف نسمة فقط – وبامكان القارىء ان يوجع رأسه قليلا ليبحث عن موقع ايسلندا على الخريطة الجغرافية – .. استطاع شعب ايسلندا ان ينجب اديبا نابغا استحق في العام الماضي جائزة نوبل ، وهو هالدور لاكسنس مؤلف رواية « سالكافاكا » ، وكذلك قل عن بقية الشعوب ، ما عدا العرب !

* * *

قد تقولون عندنا طه حسين ، وقد تقولون ان لجنة منح جائزة نوبل متحيزة ضدنا !!!! .

ولكن – ولنكن صريحين – أين طه حسين من ركب ادباء الطليعة في العالم ؟ واين هو الاثر الكبير الخالد الذي انتجه طه حسين ؟ونستطيع ان نقارن به اثار الادباء الغربيين الكبار ؟ – وارجوكم ان تشددوا قليلا على كلمة الكبار هذه – ... « الايام » ؟! لم اقرأ في حياتي كلها كتابا اسخف من هذا الكتاب ... ثم ماذا غير « الايام » لدى طه حسين ؟ بضعة ابحاث في النقد ، ومقالات في السياسة ، وقصص قصيرة هي اقرب الى الوصف السطحي العابر منها الى القصص حسب المفهوم العالمي ... وبعد ماذا يفعل طه حسين الان ؟... لا شيء! لقد انتهى او هو يعيد نفسه ويكرر ويكرر ثم يجتر حتى اصبحت النفس تعافه وتتركه يسير وحده في الطريق ... وليس هناك في كتاباته اي تشويق يبعث حتى على القراءة ، او ما ينم عن التجديد ، او الابتكار ...

* * *

اما غير طه حسين فليس في البلاد العربية كلها اديب واحد نستطيع ان نرشحه لنيل جائزة نوبل ، او – ولنكن متواضعين – لنضعه في مصاف كبار ادباء العالم ، او على الاقل لنعرضه على الغربيين رافعي الرأس !

اما ما يقال عن « تحيز » لجنة منح جائزة نوبل ، فليس هناك مخلوق في العالم يفكر بذلك ، او يلصق باللجنة هذه التهمة ... ثم ولماذا تريدون ان تتحيز هذه اللجنة ضدنا بالذات ... هل قتل العرب اباء اعضائها ؟ أم هل كان نوبل « صهيونيا » ؟.. وما هي المصلحة التي يجنيها اعضاء لجنة نوبل من وقوفهم بوجه اديب خالد استطاعت الامة العربية ان تنجبه ، او استطاع هو بآثاره ان يفرض ادبه على العالم ؟... لا... لا... انها حجة الضعفاء المغلوبين المقهورين على امرهم ، وشأنهم في ذلك شأن الملاكم المنهزم الذي يتهم حكم المباراة بالتحيز !!

* * *

الفرق بيننا وبين الغربيين في الادب ، هو اننا نفتش عن اللذة العابرة ، كما في الحب نفتش عن المراة السهلة العاهرة فالاديب والقارىء عندنا يهمهما الانتاج السهل الرخيص الذي لا يتطلب اي عناء او تعب.. فلا المؤلف يتعب في انتاجه ، ولا القارىء يتعب في اقباله على هذا الانتاج . وشأننا في ذلك شأن من يبحث عن الحب الرخيص ...فالمراة البغي هي دائما ايسر منالا من المراة الفاضلة الجميلة ... المهم عندنا الحصول على لذة عابرة . بينما نجد ان الاديب في الغرب – كالقارىء هناك – لا يفتش الا عن المراة الصعبة التي دون قلبها الاهوال وهو من هذه الناحية دقيق جدا يجهد نفسه لكي تكون المراة على مبلغ كبير من الجمال – الجمال الفني بكل معانيه – والجميلات يكن عادة صعبات المنال.. وهذا هو الفرق بين قيمة الادب في الغرب وقيمته عندنا .

* * *

ان اي شخص عادي في بلاد الغرب يقرأ كل يوم ، وهو في طريقه الى مقر عمله او في طريق عودته منه ، في المترو ، في الاوتوبيس قبل النوم ، في الحدائق العامة الخ.. مدة ساعتين من الانتاج الادبي الممتع ... فاذا كان هذا شأن الشخص العادي الذي لا يطمع في حياته ان يصبح اديبا ، فكيف بالاديب الصحيح او على الاقل بمن يعد نفسه ليصبح اديبا ... وهنا أسأل هؤلاء الناس الذين يطلقون على انفسهم اسم ادباء او اهل قلم ، او اصحاب فكر هل يقرأ احدهم يوميا ساعتين فقط من الادب والثقافة ذات الينبوع الذي لا ينضب ؟ واتواضع قليلا في هذا السؤال فاقول : هل يخصص احدهم نصف ساعة فقط من وقته للقراءة ؟..

* * *

ان الاديب الغربي – وحتى طالب الادب او المتأدب في الغرب – يستطيع ان يستغني عن الاطلاع على الادب العربي ، وهو لو قرأه او لم يقرأه ، فلن يقدم ذلك في ثقافته او يؤخر شيئا ... بينما يتحتم على من يشتغل بالادب عندنا ان يطلع على الادب الغربي باجمعه لكي يلم من الثقافة الضرورية له بطرف . ومن هنا كانت المهمة الملقاة على عاتق الاديب عندنا صعبة ومزدوجة ، اذ عليه اولا ان يحفظ الادب العربي ، ثم عليه ثانيا ان يأخذ بمجامع الثقافة الغربية ، والا اعتبر ناقص الثقافة قصير التفكير

والفكر .

ولذلك بامكاننا ان نتصور كم هي مهمة الاديب عندنا شاقة وعسيرة ، وكم عليه ان يضحي وان يكرس من وقت وجهد وتعب لكي يصل او يحقق ما يجب ان يكون عليه الاديب الحق العالم ...

* * *

ان من يطمع في ان يصبح اديبا يوما ما عليه ان يكرس كل حياته ووقته وجهده للادب لكي يستوعب كل ما هو مطلوب منه ولكي يجد وقتا ينتج فيه ما هو مفروض عليه حسب كفاءاته وطاقته وملكاته ... وهذا معناه ان يضحي بكل شيء ... بعمله اليومي الذي يعتاش منه اذا كان لديه عمل ، والا كيف يمكن لاي اديب ان ينتج ادبا حيا ، وهو مشغول الفكر بعمل اخر ... اما اذا احتاج الى اللقمة فان الادب الحي يغني صاحبه ، والا فان عليه ان يحتال على الحياة ليعيش فقط ، لا ان يعيش ليحتال على الحياة دوما ...

اما الاديب الذي يتزوج ، فقد فرض على نفسه بالا يكون اديبا ... اذ كيف يستطيع ان يقسم حياته تجاه تبعتين في آن واحد ... لا سيما وان الاديب خلق ليعيش في فترة محدودة قصيرة من الزمن في تاريخ عصره . ولذلك عليه ان يستغل هذه الفترة بكاملها لينتج ...

* * *

اذا كان الانتاج لم يات بشيء جديد ، ولم يصدم القارىء ويزلزل نفسيته ... فهو غير جدير بالنشر ولا بان ينتج ويقرأ ...

* * *

سألت صاحبي : لماذا نجد سبيل الشهرة عندنا في الشرق يسيرا ممهدا لكل انسان ، اذ يكفي ان يكتب احدهم مقالين او ثلاثة ، حتى يصبح معروفا ويصاب بداء الشهرة فقال : لان الشهرة عندنا ليست لها اية قيمة .. بينما نجد ان الشهرة في الغرب تقتضي جهودا متواصلة ، ومتاعب جمة ، ولا ينالها صاحبها الا بعد كد وتعب وعناء ... هذا اذا كان هو حقا بها جديرا ، وانه على شيء كبير من العبقرية والنبوغ ... وعلى هذا الاساس لنطلب الى هؤلاء المشهورين منهم ان يتفضلوا ويشهروا انفسهم في اي بلد غربي اذا كانوا يستطيعون ذلك ؟؟؟

اننا في الشرق ذوو انفاس قصيرة في الادب والكتابة ... فلا الاديب عندنا يستطيع او يجرب ان يكتب القصص الطويلة ، او يجد القدرة والشجاعة على مواصلة عمله الادبي حتى نهايته ... ولا القارىء يقبل على الاثار الطويلة الكاملة ... ومن هنا فقدت عندنا عناصر الرواية ــ الرواية بمفهومها الغربي الصحيح ــ والمحاولة .

والمسرحية والملحمة ... لانها كلها اثار طويلة النفس تحتاج الى جهد وجلد وصبر ووقت لانتاجها والى مران وتشوق لقراءتها والاستمتاع بها واكتناه اعماقها البعيدة ... لان الادب او الفكر اذا لم يكن عميقا متعمقا فهو ليس بادب ولا بفكر !

وبعد : ألم اقل اننا قوم بلا ادب ؟ واننا في الانتاج والقراءة نفتش عن المراة السهلة العاهرة ؟ من يستطيع ان يكذبني ... انني اتحداه .

اديب مروة

صور من الناس

امرأة شجاعة : قصة مثيرة ملهمة لامرأة فقدت ذراعيها ، ومع ذلك تعلمت كيف تحيا حياة طبيعية سعيدة

لا تكاد مارجريت تشانين تختلف عن سائر الامهات في شيء ، فهي ام لصبيين صغيرين ترعاهما ، مع زوجها ، الرعاية الكاملة . وهي تحيا حياة طبيعية لا تشوبها شائبة . ولكن مارجريت مع ذلك تختلف عن معظم الامهات في انها بلا ذراعين ...

حدثت المأساة التي افقدتها ذراعيها قبل خمسة عشر عاما ، وكانت مارجريت آنذاك في الرابعة والعشرين من عمرها ، شابة جميلة ذكية تتدفق صحة وحيوية ، وكانت قد أنهت السنة الثانية في كلية طب الاسنان بهيوستون ، تكساس . وفي يوم الحادث ، خرجت مارجريت مع صديق لها ، ومعهما صديق اخر وزميلته ، في نزهة على قارب شراعي في خليج المكسيك ، وقد حدث ان لامس صاري القارب عند الشاطىء سلكا كهربائيا مشحونا ، فسرت الكهرباء في الاسلاك ومنها الى سلسلة المرساة ، وكانت مارجريت تمسك المرساة بكلتا يديها . وشاءت الصدفة السيئة ايضا ان يحتك بها رفيقها في تلك اللحظة ــ وكان واقفا على الارض ــ فسرت الكهرباء في جسده وقتلته لفوره . اما هي ، فقد احترقت ذراعاها واضطر الاطباء الى بترهما تحت الكتفين مباشرة .

وفي المستشفى ، ظل الاطباء يعطون مارجريت العقاقير المهدئة دون ان يخبروها بما فقدت . فلما انبأها به اطباؤها بعد ان استردت بعض قواها راحت تصلي الى الله طالبة الموت ، ولكن صلاتها ــ كما تقول الان ــ لم تكن صادرة عن اخلاص . فهي لم تتساءل ابدا لماذا اصابتها تلك المأساة دون سائر الناس ولكنها كانت تتساءل عن معنى حياتها بعد ان فقدت ، وهي المرأة ، ذراعيها ...

خرجت مارجريت من المستشفى وذهبت لتقيم مع بعض اقربائها في هيوستون . وفي احد الايام ، اعلنت عن نيتها الخروج الى السوق لشراء شريط حريري لشعرها ، رافضة كل مساعدة . فارتدت ثوبا له جيوب امامية كبيرة تتسع لوضع ما تريد شراءه فيها ،وطلبت من اقربائها ان يضعوا اجرة الاوتوبيس في احد هذه الجيوب ، لتكون في متناول السائق . وفي المتجر ، وضع الكاتب مشترواتها في احد الجيوب ، وتناول الثمن من جيب اخر . وبعد ذلك عادت الى المنزل سعيدة بنجاح اولى مغامراتها في السوق .

غير ان مارجريت كانت تكره فضول أعين الناس ، فحولت كل ثيابها الى برانس فضفاضة بدون اكمام ، لتخفي عاهتها عن اعين الغرباء. ولكن حدث بعد ذلك ان انهار خط دفاعها هذا مرة واحدة وذلك عندما طلبت من السائق كالمعتاد ان يخرج النقود من جيبها ، فصاح بها مزمجرا : واين يديك ؟ الا يمكنك اخراج النقود بنفسك ؟..

وهنا اكتشفت مارجريت ان « البرانس » لن تستطيع حمايتها طويلا من اعين الناس والسنتهم ، فقررت مجابهة هذه الحقيقة ، وطرحت برانسها جانبا . كما استطاع عميد كلية طب الاسنان ان يقنعها بالعودة الى الكلية ، فعادت اليها والى زملائها القدامى الذين عاملوها كما كانوا يعاملونها دائما ، دون ان يبذلوا لها عطفا زائدا يزيد من حرجها اويذكرها بعاهتها . وقد ساعدت معاملة زملائها لها كثير ى شفائها من الصدمة العاطفية التي اصابتها نتيجة لفقد ذراعيها .

وبعد عام واحد من الحادث ، ذهبت مارجريت الى منيابوليس بولاية مينسوتا لتركيب ذراعين صناعيتين . ولكن الاخصائيين اصطدموا بعقبة كبرى ، اذ لم تبق من ذراعها الايمن عند الكتف سوى جذامة لا يزيد طولها عن عشر سنتمترات ، ومن ذراعها الايسر سوى خمس سنتمترات . ولكنها عادت الى كليتها بذراعين صناعيتين ، لم تكن لهما فائدة ، كما تقول ، سوى ملء الاكمام ...

وبعد تخرجها من الكلية عام ١٩٤٣ ، التحقت مارجريت بجامعة ميشغان لدراسة علم الصحة العامة كمؤهل اضافي لاشتغالها بالتدريس . وهناك ، في آن آربور عام ١٩٤٥ قابلت مارتن تشانين ، الذي كان يدرس الكيمياء الاحيائية

في نفس الجامعة . وكان مارتن قد رأى مارجريت في حرم الجامعة، فسعى حتى تعرف اليها

دامت العلاقة بين مارتن ومارجريت بعد ذلك اللقاء عاما ونصف العام ، وفي اواخر هذه المدة حصلت مارجريت على وظيفة في دوائر الصحة المدرسية بمدينة فلنت المجاورة وقد عرض مارتن على مارجريت الزواج عدة مرات خلال هذه المدة ، ولكن مارجريت كانت تجيبه في كل مرة بالرفض لانها لم تكن تتصور كما تقول : «ان يقدم رجل يتمتع بكامل قواه العقلية على الزواج من فتاة بدون ذراعين » . ولكن مارتن انتصر اخيرا ، وتم الزواج في عام ١٩٤٦ ، بعد يوم واحد من حصول مارتن على درجة الدكتوراه في الفلسفة من الجامعة .

بقي العروسان عاما واحدا في آن آربور ، مارتن يعلم ومارجريت تعد اطروحتها لنيل درجة علمية اخرى . وهي تذكر اليوم تلك الايام وتقول : « كان يقف فوق رأسي ، يستحثني على انجازها ، ولولاه لما انتهيت منها ابدا ». والواقع ان موقف مارتن منذ البداية كان له ابلغ الاثر في ابلال مارجريت من جراحها العاطفية ، ونجاحها كانسانة وكزوجة فقد كان يستحثها دون ضغط ولا اكراه ، على الاعتماد على نفسها ، ويشجعها على ان تكون شريكة كاملة في حياتهما الزوجية .

وفي ايفانسفيل ، انديانا ، ولد ابنهما البكر فيليب . وبعد عامين ولد ابنهما الثاني روبرت . وقد وجدت من جيرانها خلال هذه الفترة كل عون ومساعدة ، كما كانت تحضر احدى الخادمات لمساعدتها اثناء النهار . ولكن عندما كان يخلو البيت من احد سواها ، كانت تعتمد الى قدميها تفتح بهما الابواب ، واسنانها تقبض بهما على حلمة زجاجة الحليب ، كلما ارادت رفع الزجاجة او نقلها من مكان لاخر ...

وفي سنة ١٩٥٢ ، صنعت لها ذراع يمنى جديدة افضل من سابقاتها ، ولكنها كانت معقدة وغير مريحة . وفي العام التالي انتقلت العائلة الى كاليفورنيا حيث التحق مارتن باحدى المؤسسات الطبية . وقد تمكن الاخصائيون في هذه المؤسسة من صنع ذراع صناعية لمارجريت حققت لها قدرا اكبر من الراحة والاستقلال . وهي تستطيع بهذه الذراع اعداد الطعام (بمساعدة فيليب) ، والذهاب الى السوق ورفع الاشياء اذا لم تكن ثقيلة جدا ، وتنظيف البيت ، وغسل الثياب وكيها. وفضلا عن كل ذلك ، تستطيع مارجريت اليوم ان تتناول طعامها بنفسها ، وان تقود سيارتها . وقد غطيت عجلة القيادة باطار من المطاط لتفرس فيه كلاب يدها الصناعية . وهي تستخدم ساقيها في ادارة المحرك واشارات الاتجاه والضغط على البوق . اما ناقل السرعة فاوتوماتيكي .

ومن اهم الاسباب التي تدفع مارجريت الى الاعتماد على النفس ، وعمل كل شيء بنفسها ، هو ان تحول دون شعور ولديها بعبء ام بدون ذراعين ... كما انها لا تريد ان يشعر ولداها بان رعاية الام تنقصهما في قليل او كثير ...

وتعترف مارجريت ، كذلك ، بان ايمانها بالله قد ساعدها كثيرا على اجتياز محنتها بسلام . وهي تذكر كلمات امها لها في ساعة من ساعات اليأس عندما كانت تتساءل عما بقي لها لتعيش من اجله ... «سيأتي يا بنيتي اليوم الذي ترين فيه انه لا يزال لحياتك هدف .. وستدركين ان امامك رسالة تؤدينها ..» وتعتقد مارجريت ان رسالتها هذه هي ان تكون حياتها عزاء وسلوى وتبصرة للاخرين ...

[عن مجلة كورونت الاميركية]



١٦ يوليو ١٩٥٦ ــ دعا الاتحاد السوفييتي الولايات المتحدة وبريطانيا الى عقد اتفاق معه لايقاف كل التجارب الذرية .

١٧ ــ صرح سفير مصر في امريكا بان مصر قررت نهائيا الاستعانة بالمساعدات الغربية لبناء مشروع السد العالي في اسوان .

١٩ ــ اعلن رسميا في وشنطن ان الولايات المتحدة سحبت عرضها السابق لمساعدة مصر في تمويل السد العالي لان تطورات الموقف في الشهور السبعة الاخيرة التي تلت العرض لم تكن مؤاتية لانجاح المشروع .

٢٠ ــ على اثر زيارة الرئيس جمال عبد الناصر والبنديت جواهر لال نهرو ليوجسلافيا والمحادثات التي جرت مع المارشال تيتو صدر بلاغ مشترك طالب الرؤساء الثلاثة فيه بحل مشكلة فلسطين على اساس القرار المتخذ في مؤتمر باندونج وبحل مشكلة الجزائر على اساس الاعتراف بالحقوق الطبيعية المشروعة للشعب الجزائري وذكر البيان ان المصالح المتعارضة للدول الكبرى في الشرق الاوسط تؤدي الى تعقيد حل هذه المشاكل التي يجب ان يكون حلها على اساس الاقرار بالمصالح المشروعة الاقتصادية لشعوب الشرق الاوسط والاعتراف بحريتها وارادتها الخاصة .

ــ عاد الى القاهرة الرئيس جمال عبد الناصر وبرفقته رئيس وزراء الهند البانديت نهرو .

٢١ ــ اعلنت بريطانيا انها قررت سحب عرض المساعدات المالية لمصر لبناء السد .

ــ اكد البنك الدولي في وشنطن ان سحب عرض امريكا وبريطانيا مساعدة مصر لمشروع السد العالي يجر بصورة الية الى الغاء عرض البنك الدولي ايضا .

ــ وصل الى القاهرة المستر داغ همرشولد السكرتير العام للامم المتحدة قادما من عمان في زيارة لمنطقة الشرق الاوسط للبحث في وسائل تخفيف حدة التوتر على خطوط الهدنة

٢٢ ــ اعرب المسيو شبيلوف وزير خارجية السوفييت عن استعداد روسيا للمساهمة في تصنيع مصر .

٢٤ ــ اصيب اثنان من مراقبي الهدنة الدوليين الكنديين واحد الضباط الاردنيين عندما انفجر لغم اسرائيلي تحت اقدامهم في منطقة مجردة من السلاح .

ــ رد الرئيس جمال عبد الناصر بعنف على الغرب فاكد ان اقتصاد مصر سليم لا كما زعموا وان مصر ستمضي في مشاريعها دون ان تلتفت الى المستعمرين .

٢٥ ــ وصل من اوروبا سيف الاسلام الامير بدر ولي عهد اليمن الى بيروت في زيارة رسمية للبنان .

ــ فتحت القوات الاسرائيلية في الخطوط الغربية نيران اسلحتها على القرى والمواقع العربية وقد وقعت اصابات بين جنود الجيش الاردني والحرس الوطني وسكان المنطقة .

٢٦ ــ خطب الرئيس جمال عبد الناصر في ذكرى خلع الملك السابق فاروق في الاسكندرية فكشف عن خفايا النضال المصري وعن اسرار دولية خطيرة وقد اعلن تاميم قناة السويس

٢٧ ــ ارسلت الحكومة البريطانية مذكرة شديدة اللهجة الى الحكومة المصرية بخصوص تاميم شركة قناة السويس فرفضتها مصر . وارسلت الحكومة الفرنسية ايضا مذكرة احتجاج شديدة جدا ورفضها السفير المصري في باريس . اما الولايات المتحدة فقد اعلنت انها تتشاور مع الحكومات الاخرى المختصة .

٢٨ ــ عاد الرئيس جمال عبد الناصر الى القاهرة فاستقبل استقبالا عظيما وقد جاء في الخطاب الذي القاه ان مصر ستدفع تعويض اسهم القناة كاملا وستبقى القناة مفتوحة للجميع وقال اننا نستعد لكل الاحتمالات وسنقابل العدوان بالعدوان ولن نتهاون في حقوقنا .

ــ قررت بريطانيا تجميد رصيد مصر من العملة الاسترلينية ولمصر في بريطانيا ١٣٠ مليون جنيه ، ويسري هذا التجميد ايضا على الشركات والافراد . كما جمدت بريطانيا ارصدة وممتلكات شركة القناة في بريطانيا .

٣٠ ــ اعلن رئيس الحكومة البريطانية ان بريطانيا اوقفت شحن المواد الحربية الى مصر.

ــ يواصل وزير خارجية بريطانيا وفرنسا والمستر مورفي موفد الخارجية الامريكية اجتماعهم في لندن لبحث قضية تاميم القناة.

٣١ ــ اعلنت حكومة بورما ان جنود الصين الشعبية اجتازوا الحدود واحتلوا عدة مواقع داخل بورما بعد معارك عنيفة بين الجيشين .

ــ قال وزير خارجية اليابان في محادثات الصلح الجارية في موسكو بان اليابان لا تستطيع التنازل عن الجزر شمال اليابان مقابل توقيع معاهدة الصلح مع روسيا .

اول اغسطس ١٩٥٦ ــ وصل لندن السيد دالس ناظر الخارجية الامريكية للاشتراك بالمحادثات حول قضية القناة .

٢ ــ صدر بلاغ ثلاثي مشترك اعلنت فيه حكومات امريكا وبريطانيا وفرنسا انها اخذت علما بالاجراء الذي قامت به مصر لتاميم شركة قناة السويس وهي مع اعترافها بحق مصر بالتاميم تريد تامين حق المرور بالقناة ولذلك قررت عقد مؤتمر يضم الدول المعنية بالملاحة في القناة للتوصل الى انشاء جهاز دولي يستطيع الاشراف على حرية الملاحة مع مراعاة مصالح مصر المشروعة . ويعقد المؤتمر في ١٦ الشهر الحالي . وكانت انجلترا وفرنسا ترغبان في استعمال القوة المسلحة مع مصر فعبأتا قواتهما ونصحتا رعاياهما بترك مصر .

٤ ــ اطلق في طهران سراح الدكتور محمد مصدق رئيس وزراء ايران سابقا الذي قام بتاميم شركة الانجلو ايرانيان البترولية بعد ان قضى في السجن ثلاث سنوات .

٦ ــ اذيع في عمان ودمشق نص اتفاقية الوحدة الاقتصادية بين سوريا والاردن وهي وحدة كاملة تشمل انتقال الاشخاص والرساميل وحرية العمل والاستخدام ووحدة النقد .

٧ ــ وصل ادريس الاول ملك ليبيا الى استنبول في زيارة رسمية لتركية .

٨ ــ اعلن الرئيس ايزنهاور ان حكومته تامل بان تحل مشكلة القناة بالطرق السلمية .

٩ ــ وافق الاتحاد السوفييتي على الاشتراك بمؤتمر لندن للنظر في مشكلة قناة السويس مع تحفظات عديدة شرحتها الحكومة السوفييتية بمذكرة مفصلة ايدت فيها تاميم القناة وقالت ان الاجراءات العسكرية الفرنسية الانجليزية تعتبر تحديا لقضية السلام العالمي .

١٠ ــ رفض الاتحاد السوفييتي في محادثات الصلح الجارية مع اليابان اعادة جزر الكوريل الوقعة الى الشمال من الجزر اليابانية .

١٢ ــ اعلن الرئيس جمال عبد الناصر رفض حضور مؤتمر لندن واعلن ان مصر مستعدة لعقد مؤتمر مع حكومات الدول الموقعة على اتفاقية سنة ١٨٨٨ ومع بقية الحكومات التي تمر سفنها بالقناة للبحث في عقد اتفاق يضمن حرية الملاحة في القناة .

ــ وافق مجلس جامعة الدول العربية على قرار اللجنة السياسية القاضي بتأييد مصر الى ابعد الحدود .

١٣ ــ اتخذ حزب العمال البريطاني قرارا بمعارضة استعمال القوة ضد مصر .

١٦ ــ افتتح مؤتمر لندن للبحث بازمةالقناة وقدم وزير خارجية امريكا المشروع الغربيومن اهم نقاطه ان يتولى ادارة القناة مجلس دولي تمثل مصر فيه ويرتبط بالامم المتحدة وعدم تمكين دولة او مجموعة دول من السيطرة وذلك لضمان حرية الملاحة للجميع .

ــ اعلنت الاقطار العربية الاضراب العام هذا اليوم تضامنا مع مصر .